الآداب الشرعية

من الأحاديث النبوية

الشيخ

عبدالرحمن بن فهد الودعان الدوسري

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الآدَابُ الشَّرعِيَّةُ
مِن
الأَحادِيثِ النَّبَوِيَّةِ

كتَبَه

عبد الرحمن بن فهد الودعان الدوسري

مشرف مناهج العلوم الشرعية

بوزارة التربية والتعليم السعودية

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الطبعة الأولى ١٤٣٢

حقوق الطبع مباحة لكل مسلم
من غير تحريف أو تعديل أو إضافة

المقدمة

الحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، أما بعد[1]:

فهذه مجموعة صحيحة من أحاديث سيد الناس ﷺ انتقيتها لتكون مدخلا مناسبا للآداب الشرعية، وقد كان سبب انتقائها رغبة الإخوة الفضلاء في مكتب الدعوة بالروضة في مدينة الرياض، لتكون مقررا دراسيا للطلبة الذين يتلقون تعليمهم في المكتب، فعقدت العزم، وجردت القلم، وحدَّدتُ جملة من الآداب الشرعية المهمة، ثم انتقيت من الأحاديث النبوية ما يتناسب مع هذه الآداب، ثم كتبت تحت كل حديث منها إرشاداتٍ في موضوعه.

وقد راعيت أن أكتب من الإرشادات ما يتوافق مع العنوان الذي عنونت به للحديث، ولم أستقص فوائد الحديث نفسه مما لا يكون له علاقة مباشرة بالعنوان المذكور، ثم إني أذكر تحت العنوان ما يناسبه من الإرشادات وإن لم تكن مأخوذة من الحديث نفسه، فيكون الحديث كالأصل أو المفتاح الذي يدخل منه للموضوع.

وحرصت أن تكون الإرشادات المذكورة ثرية متوسطة ليست بالطويلة المملة، ولا بالقصيرة المخلة، بلغة مناسبة لأبناء الزمان، متضمنة ما يضيء طريقهم، ويجعلهم يفهمون هذا الدين ويستمسكون به، عاملين به، داعين إليه، مدركين صلاحيته لكل زمان ومكان.

وأردت بالأدب هنا: السلوك الذي ينبغي أن يسلكه المسلم في حياته، اعتقادًا وقولاً وعملاً، سواء أكان واجبا أم مستحبا، فعلا أم تركا.

وختامًا أسأل الله تعالى أن يجعله كتابا نافعا مباركا، وأن يرزقني الإخلاص فيه، ويثيبني عليه، وأن يعاملني بلطفه ورحمته وكرمه، ويجزل لي عطاءه، ويعفو عما قد يكون فيه مِن الزلل والتقصير الذي لا يسلم منه الأكابر فكيف بمن لا يلحق غبارهم، كما أسأله تعالى أن ينفع به جميع المسلمين، وأخص منهم كلَّ مَن نظر فيه وأفاد منه، أو نصح لمؤلفه، أو دعا له، كما أشكر الإخوة الأفاضل القائمين على مكتب الدعوة بالروضة على حرصهم ورغبتهم وإحسان ظنهم بأخيهم مع قلة العلم وضعف البضاعة، كما أسأله جل وعلا أن يغفر لنا ولوالدينا ووالدِيهم، وإخواننا وأخواتنا وأزواجنا وذُرِّياتنا،

---

(١) هكذا السنة (أما بعد)كما هو متواتر عن النبي ﷺ في أحاديث كثيرة، وبعض المتقدمين وكثير من المتأخرين يقولون أو يكتبون: وبعد، والثابت في السنة أولى لمن أراد الاقتداء، وبعضهم يزيد : (ثم) فيقول: (ثم أما بعد)،ولا أصل لها ولا معنى في هذا الموضع، والله أعلم.

ولجميع شيوخنا وأساتذتنا وتلاميذنا وعلمائنا وأحبتنا، وأن يجعل الفردوس مأوانا جميعا، كما أسأله جلَّ وعلا أن يغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات... آمين؛؛؛

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين ؛؛؛

أدَبُ النِّيَّةِ

١- عن عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ ﷺ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لامرئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كانت هِجْرَتُهُ إلى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إلى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كانت هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أو امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إلى ما هَاجَرَ إِلَيْهِ».متفق عليه.(١)

إرشاداتُ الحديث:

١- **النِّيَّةُ هيَ**: قصدُ الشيءِ، والعزمُ عَلَى فِعْلِهِ، والقصدُ والعزمُ مِن أعمالِ القلوبِ، فمجرَّد عَزْمِ الإنسانِ على فِعلِ شيءٍ فهو نِيَّتُه له شَرعًا، فمَن عَزَمَ على الوضوءِ فقد نوى الوضوء، ومَن عَزَمَ على صلاةٍ معيَّنة فقد نواها، وهكذا.

٢- لا يُشرع للمسلِمِ أنْ يَتَلَفَّظَ بالنِّيَّة في شيءٍ مِن أعمالِهِ؛ فإنه لا يُعلَمُ عن النبيِّ ﷺ أنه كانَ يجهر بِنِيَّتِهِ أو يتلفظُّ بِهَا في شيءٍ مِنَ الأعمالِ، ولا يُعْرَفُ هَذا عن أحدٍ من أصحابِهِ ﷺ ولا التابعينَ لهم بإحسانٍ، فَمَنْ فَعَلَ ذلك فقد فَعَلَ ما لَمْ يفعلهُ النبيُّ ﷺ وأصحابُه ﷺ، وهذا هو وصفُ البِدْعَةِ، قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّة رحمه الله فيمن يقول: نَويتُ أصلِّي صلاةَ الظهرِ ونحوه: لو مَكَثَ أحدُهم عُمرَ نوحٍ عليه السلام يفتِّش: هل فعلَ رسولُ الله ﷺ أو أحدٌ مِن أصحابِه شيئًا مِن ذلك لَمَا ظَفِرَ به؛ إلا أن يجاهِرَ بالكذبِ البَحْتِ، فلو كانَ في هذا خيْرٌ لسَبقونا ولَدَلُّونا عليه، فإنْ كانَ هذا هُدَى فقد ضلُّوا عنه، وإن كان الذي كانوا عليه هو الْهُدَى والحقُّ ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ**﴾اهـ(٢)

٣- لِلنِّيةِ سِتُّ فوائدُ أسَاسيَّةٌ:

الفَائِدةُ الأولى: تَمْيِيزُ المقصودِ بالعملِ، فإنْ كانَ المقصودُ بالعملِ وجهُ الله تعالى فهو: (التوحيد والإخلاص)، قال تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ)(٣).

---

(١) رواه البخاري في كِتَاب الْحِيَلِ، بَاب في تَرْكِ الْحِيَلِ وَأَنَّ لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى في الأَيْمَانِ وَغَيْرِهَا ٦/٢٥٥١ (٦٥٥٣)، ومسلم في كتاب الإمارة، بَاب قَوْلِهِ ﷺ:« إنما الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ»، وَأَنَّهُ يَدْخُلُ فيه الْغَزْوُ وَغَيْرُهُ من الأَعْمَالِ ٣/١٥١٥(١٩٠٧)، واللفظ له.

(٢) نقله ابن القيم عن شيخه في إغاثة اللهفان ١/١٣٨-١٣٩ ، والآية من سورة يونس رقم ٣٢.

(٣) سورة البينة آية ٥.

وإن كانَ المقصودُ غيرُ الله فهو: (الرِّياء الذي هو منَ الشركِ الأصغرِ)، وإذا كان عبادةً لغير الله تعالى فهو: (الشركُ الأكبر)، ومثال ذلك:

أ- مَنْ حَسَّن صَلاتَهُ اتِّباعًا للسُّنة، أو تصدَّقَ طلبًا لمرضاة الله تعالى فهو مخلِصٌ مُثابٌ.

ب- مَنْ حَسَّن صَلاتَهُ ليراه الناس أو دَفَعَ صدقةً لفقيرٍ ليُثني عليه الناس فهو مُراءٍ آثِمٌ.

ت- مَنْ سَجَدَ لغير الله، أو ذَبَحَ لغير الله، أو نَذَرَ لغير الله؛ فقد أشركَ شركًا أكبرَ.

الفَائِدةُ الثَّانيةُ: تَصحيحُ العمل، فلا يصحُّ العملُ ولا تبرأُ بِهِ الذِّمَّةُ إلا بالنيةِ الصحيحةِ، فالنيَّةُ شرطٌ لصِحَّةِ العملِ، ومِثالُ ذلكَ:

أ- مَن عَمِلَ أعمالَ المتوضئِ وليسَ في نيتِهِ الوضوءُ ولا الطهارةُ ونحوهما لم يصحَّ وضوؤُهُ.

ب- مَن صلَّى الظهرَ يظنها العصرَ لم تصحَّ منه الظُّهرُ.

ت- مَن صلَّى المغربَ ثم ذَكَرَ أنه لم يصلِّ العصرَ فقطع نِيَّةَ المغربِ بَطَلَتْ مِنهُ المغرب، ولم يصحَّ أن يبنِيَ على صَلاتِهِ هذِهِ وينويها العصرَ، ولا يُكمِلُها بِنِيَّةِ المغربِ أيضًا لأنه قَطَعَ نيَّتَها.

ث- مَن دَفَعَ مالا بِنِيَّةِ صدقَةِ التطوع لم يجزئْهُ عن الزكاةِ المفروضةِ.

ج- مَنْ وَهَبَ شخصًا مالاً، ثم تبيَّن أنه يطلبُهُ بدَينٍ لَمْ يجزئْهُ ما دَفَعَ عن دَيْنِهِ.

الفَائِدةُ الثَّالثةُ: حصولُ الثَّوابِ، ومِنَ القواعدِ الفِقهيةِ التي استنبطَهَا الفقهاءُ رحمهم الله تعالى مِن هذا الحديثِ قاعدةُ: «لا ثوابَ إلا بِنِيَّةٍ»[1]، فكُلُّ عَمَلٍ عَارٍ عن النِّيَّةِ فلا ثوابَ فيهِ، ومِثالُ ذلكَ:

أ- الْمُكث في المسجدِ بِنِيَّةِ الاعْتكافِ أو انتظارِ الصلاةِ المفروضةِ يُثابُ عَليه، ومُجَرَّدُ الجلوسِ في المسجدِ بِغَيْرِ نِيَّةٍ لا ثوابَ فيهِ.

ب- الاغتسالُ للطَّهارةِ المشروعةِ يُثابُ عَليه، والاغتسالُ لِمُجَرَّدِ اللَّهْوِ أو التَّبَرُّد لا ثوابَ فيهِ.

الفَائِدةُ الرَّابعةُ: تَمْيِيزُ العبادَةِ عن العَادَةِ، ومِثالُ ذلكَ:

أ- تَمْيِيزُ الإمساك عن المفطِّرات المتعبَّدِ به في الصيامِ عنِ الإمساكِ لتَحليلِ الدَّمِ أو للحِمْية أو غير ذلك، مما يُعدّ مِن قَبيل العلاجِ الذي هو عادةٌ من العَاداتِ.

ب- تَمْيِيزُ الغُسلِ الواجبِ لرفعِ حدثٍ أكبرَ، أو المسنونِ للجمعةِ وغيرِها عن غُسلِ التَّبَرُّدِ والتنظُّفِ.

الفَائِدةُ الخامسةُ: تَمْيِيزُ العباداتِ الْمُتَمَاثِلَةِ في الصورةِ عن بعضِها، ومِثالُ ذلكَ:

---

(١) ينظر: الوجيز في القواعد الفقهية للدكتور محمد صدقي البورنو ص٦٣، والأشباه والنظائر لابن نجيم الحنفي ص١٩ .

أ- تَمْيِيزُ صومِ النَّفل عن صومِ القَضاءِ.

ب- تَمْيِيزُ سنَّةِ الفجرِ عن صَلاةِ الفجرِ.

الفَائِدةُ السَّادِسَةُ: تَحويلُ العَادَاتِ الْمُبَاحَةِ إلى عباداتٍ، وذلك بأن يعمل الْمُسلمُ شيئًا مِن الْمُباحاتِ ينوي به الخير، كالاستجابةِ لأمرِ اللهِ ورسولِهِ، أو أن يكونَ وسيلةً لِمَا أُمر به شرعًا؛ فإنه يؤجر عليه، ومثالُ ذلكَ:

أ- الإنفاقُ على الزوجةِ والأولادِ ينوي به الاستجابَةَ لأمرِ اللهِ تعالى ورسولِهِ ﷺ.

ب- الأكلُ والشُّربُ، ينوي بهمَا التَّقَوِّي على طاعةِ اللهِ تعالى.

ت- النومُ، ينوي به التَّقَوِّي عَلَى طاعةِ اللهِ تعالى مِن قيامِ اللَّيلِ وصِلاةِ الفَجْرِ وقِراءةِ القُرآنِ وغيرِ ذلكَ.

ويدلُّ على هذا الأصل العظيم نصوصٌ كثيرةٌ منها: حديثُ سعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ ﷺ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ لَهُ: «إنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إلاَّ أُجِرْتَ عليها، حَتَّى مَا تَضَعُ فِي فِي امْرَأَتِكَ». متفق عليه.(١)

٤- كانَ الصحابةُ ﷺ والسَّلَفُ الصالِحُ يحرصون عَلَى تصحيح النيةِ واستحضارِها عندَ أعمالِهم ولو في أمورِ الدنيا لتحويلها إلى عباداتٍ نافعة، ومن ذلك:

أ- قال معاذُ بن جبلٍ لأبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنهما: يا عبدَ اللهِ كيفَ تقرأُ القرآنَ؟ قال: أتفَوَّقُه تفوُّقًا(قائمًا وقاعدًا وعلى راحِلَتي).قال: فكيفَ تقرأُ أنتَ يا معاذ؟ قال: أنام أولَ الليلِ فأقومُ وقد قضيتُ جُزئي من النومِ، فأقرأُ ما كتبَ اللهُ لي، فأحتسبُ نومَتي كما أحتسبُ قَوْمَتي.رواه البخاري(٢)، وفي رواية لابن أبي شيبة وغيره: أَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ وأتَقَوَّى بِهِ على آخِرِهِ، وَإِنِّي لأَرْجُو الأَجْرَ في رَقْدَتِي كما أَرْجُوهُ في يَقَظَتِي.(٣)

ب- قال التابعيُّ الجليلُ زُبيدُ بنُ الحارث اليامِيُّ رحمه الله: يسرُّني أن يكونَ لي في كُلِّ شيءٍ نيَّةٌ، حَتَّى في الأكلِ والنومِ.(٤)

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة ١/٣٠ (٥٦)، ومسلم في كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث ٣/١٢٥٠(١٦٢٨).

(٢) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما إلى اليمن قبل حجة الوداع ٤/١٥٧٨(٤٠٨٦)، والزيادة بين قوسين من رواية أخرى له في الباب نفسه برقم(٤٠٨٨).

(٣) رواه ابن أبي شيبة ٢/٧٣ (٦٦١٦)، وأبو عوانة في مسنده ٥/١٠١ (٧٩٥١)، والبيهقي في شعب الإيمان ٢/٤٠٢ (٢٢٠٠).

(٤) شعب الإيمان ٥/٣٥٠، صفة الصفوة ٣/٩٩.

٥- يَجِبُ عَلَى الْمُسلِمِ الإخلاص، بأن يقصِدَ بجميع أعمالِهِ وجهَ الله تعالى والدارَ الآخرة، كَمَا قال تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء)[١]، وهو شرطٌ لقَبول العمل، فإن الله تعالى لا يقبلُ من الأعمالِ إلاَّ مَا كانَ خالصًا لله تعالى، صوابًا موافقًا لشَريعَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وهذان هُمَا شَرْطَا قَبولِ كلِّ عَمَلٍ.

٦- **الرِّيَاءُ** بالْعَمَلِ حَرَامٌ، **وهو** مِنَ الشِّرْكِ الأَصْغَرِ، **ومعنى الرِّيَاءِ**: أن يعمل المسلمُ العملَ ليراه الناسُ ويُثنوا عليه، ومِثَالُ ذلكَ: أن يحَسِّنَ الإنسان صلاتَهُ لِيَرَاهُ الناسُ، أو يتصدَّقَ لِيُثْنِي عليهِ الناسُ، وإذا كان الرِّيَاءُ في أصلِ العملِ أفسدَهُ، وفي الحديثِ القُدْسِيِّ: «قالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَن عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ».رواه مسلم[٢].

٧- لا تتركُ الأعمالُ الصالحةُ خَوفًا مِن الرِّياءِ، قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ رحمه الله: مَن كانَ لَهُ وِرْدٌ مشروعٌ مِنْ صَلاةِ الضُّحَى أو قِيَامِ لَيْلٍ أو غيرِ ذلكَ فإنَّهُ يُصَلِّيهِ حَيْثُ كَانَ، ولا يَنْبَغِي لَهُ أن يَدَعَ وِرْدَهُ المشروعَ لأَجْلِ كَوْنِهِ بَيْنَ الناسِ- إِذَا عَلِمَ اللهُ مِنْ قَلْبِهِ أنهُ يَفعَلُهُ سِرًّا لِلَّهِ- مَعَ اجتهادِهِ في سلامَتِهِ مِنَ الرِّياءِ ومُفْسِدَاتِ الإخْلاصِ...والأعْمَالُ الْمَشْرُوعَةُ لاَ يُنْهَى عَنْهَا خَوْفًا مِن الرِّيَاءِ، بَلْ يُؤْمَرُ بِهَا، وَبِالإِخْلاَصِ فِيهَا.اهـ[٣]

---

(١) سورة البينة آية ٥ .

(٢) رواه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله ٤/٢٢٨٩(٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٣/١٧٣-١٧٤.

الأَدبُ مَعَ اللهِ تَعالى

٢- عنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فقالتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هذا يَا رَسُولَ اللَّهِ وقد غَفَرَ الله لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ ومَا تَأَخَّرَ؟ قالَ: «أَفَلا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا».متفق عليه[١]، ولَهُمَا مِنْ حديثِ الْمُغِيرَةِ بنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه قالَ: «كانَ النبيُّ ﷺ يُصَلِّي حَتَّى تَنْتَفِخَ قَدَمَاهُ» الحديثَ.[٢]

إرشادات الحديث

١- العُبودِيَّةُ لله تعالى هي أعلَى وأشرفُ مَقَامَاتِ العبدِ، وكَمالُ الإنسانِ في تحقيقِ عُبودِيَّتِهِ لله تعالى، وكُلَّمَا ازدَادَ العبدُ تحقيقًا لعُبودِيَّتِهِ لِربِّهِ ازدَادَ كَمَالُهُ وعَلَتْ مَنزلتُهُ، ومَنْ تَوَهَّمَ أنَّ كمالَهُ في الخروجِ عنهَا فهو مِنْ أجهَلِ الخلقِ وأضَلِّهِمْ؛ فإنَّ العبدَ إن لَمْ يكنْ عَبْدًا لله تعالى كانَ عبدًا لغيرِه.

٢- ذَكَرَ الله تَعَالَى أَنْبِيَاءَهُ عَلَيْهِم السَّلاَمُ بوَصْفِ العُبودِيَّةِ في مواضعَ كثيرةٍ مِنْ كِتَابِهِ الكريمِ وهَذَا دليلٌ على عُلُوِّ مَقَامِ الْعُبُودِيَّةِ وشرفِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[٤]، وقال: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾[٥].

٣- ذَكَرَ الله تَعَالَى نبيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بوصفِ الْعُبُودِيَّةِ في أعلَى الْمَقَامَاتِ، ومنها[٦]:

أ- مَقَامُ الدَّعوةِ: قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾[٧].

ب- مَقَامُ إنزالِ الوحيِ: قال تعالى: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾[٨].

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة الفتح، بَاب قوله: (لِيَغْفِرَ لك الله ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ) ٤/١٨٣٠(٤٥٥٧)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، بَاب إِكْثَارِ الأَعْمَالِ وَالاجْتِهَادِ فِي الْعِبَادَةِ ٤/٢١٧٢(٢٨٢٠).

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق، بَاب الصَّبْرِ عن مَحَارِمِ اللَّهِ، وَقَوْلِهِ عز وجل: (إنما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) ٥/٢٣٧٥(٦١٠٦)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، بَاب إِكْثَارِ الأَعْمَالِ وَالاجْتِهَادِ فِي الْعِبَادَةِ ٤/٢١٧١(٢٨١٩).

(٣) سورة ص آية ٤٥.

(٤) سورة ص آية ١٧.

(٥) سورة القمر آية ٩.

(٦) ينظر: مفتاح دار السعادة ١/٥، والجواب الكافي ص١٣٢، وشرح العقيدة الطحاوية ص١٥٧.

(٧) سورة الجن آية ١٩.

(٨) سورة النجم آية ١٠.

ت- **مَقَامُ الإسراءِ**: قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾[1].

٤- عِبادةُ الله تعالى وحده لا شَريكَ له هي الغايةُ مِنْ خَلقِ الجنِّ والإنسِ، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2]، ومَعنى يَعبدوني: يُوَحِّدوني، فيَجِبُ صَرْفُ كلِّ عِبَادَةٍ لله تعالى وحده لا شريكَ له، وهذا هو معنى توحيدِ الألوهيَّةِ، ولأجلِ هذا أرسلَ اللهُ الرسلَ وأنزلَ الكُتُبَ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[3]، فلا يُدعَى إلاَّ اللهُ، ولا يُستَغَاثُ يُستَغَاثُ إلاَّ باللهِ، ولاَ يُذبَحُ إلاَّ لِلَّهِ، ولاَ يُنْذَرُ إلاَّ لِلَّهِ، ولا يُخَافُ خَوْفَ السِّرِّ إلاَّ مِنَ اللهِ[4]، وهذا هو معنى كَلِمَةِ التوحيدِ «لاَ إِلَهَ إلا اللهُ».

٥- **العِبادَةُ في الاصطلاحِ الشَّرعيِّ** هي: اسمٌ جامعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ ويَرضاهُ مِنَ الأقوالِ والأعمالِ الباطِنَةِ والظَّاهِرَةِ.اهـ[5] مثل: قولِ: «لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ»، والدعوةِ إلى التوحيدِ، والنهيِ عن الشرك ووسائِلِهِ، والدعاءِ والذكرِ، وحبِّ الله ورسولِه ﷺ، والتوكُّلِ على الله، ورجاءِ رحمتِهِ، والخوفِ مِنْ عذابِهِ، والصلاةِ والزكاةِ والصيامِ والحجِّ، وجهادِ الكفارِ والمنافقينَ، وبِرِّ الوالدين، وصِلَةِ الأرحامِ.

٦- **للعبوديةِ ثلاثةُ أَرْكَانٍ**، لا تصيرُ العبادةُ عبادةً إلا باجتماعها، وهي:

الرُّكْنُ الأَوَّلُ: الْمَحَبَّةُ لله تعالى، فيجبُ أن يُعبَدَ الله تعالى مَعَ مَحَبَّتِهِ، ويجبُ أن تكونَ محبتهُ مقدَّمَةً على كلِّ محبوبٍ.

الرُّكْنُ الثَّانِي: الخوفُ مِنَ الله تعالى، فيجبُ أن يُعبَدَ الله تعالى مَعَ الخوفِ منهُ، والخوفِ مِنْ عِقَابِهِ في الدنيا والآخرةِ.

الرُّكْنُ الثَّالِثُ: الرَّجاءُ مِنَ الله تَعَالَى، فيجبُ أن يُعبَدَ الله تعالى مَعَ رَجَاءِ مَا عِنْدَهُ مِنَ الثوابِ والمغفرةِ والعطاءِ.

٧- صَرْفُ شيءٍ مِنَ العِبَادَةِ لِغَيْرِ اللهِ تعالى شركٌ أكبر، مِثلُ: دُعاءِ غيرِ الله، أو الاسْتِغَاثَةِ بغيرِ اللهِ، أو الذبحِ لغيرِ اللهِ، أو النذْرِ لغيرِ الله، أو السجودِ لغيرِ اللهِ، قال عبدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: سَأَلْتُ

---

(1) سورة الإسراء آية ١.

(2) سورة الذاريات آية ٥٦.

(3) سورة النحل آية ٣٦.

(4) **خَوْفُ السِّرِّ هو**: أن يخاف العبد من غير الله تعالى أن يصيبه مكروه بمشيئته وقدرته وإن لم يباشره، فهذا شركٌ أكبر لأنه اعتقاد للنفع والضر في في غير الله، قال الله تعالى: (فإياي فارهبون)، وقال: (فلا تخشوا الناس واخشون) (ينظر: تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ص٢٤).

(5) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٠/ ١٤٩.

النبيَّ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قال: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وهو خَلَقَكَ».متفق عليه[1]، والنِّدُّ هو الشَّريكُ، وقال تعالى: (فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)[2].

٨- شُكْرُ الله تعالى واجبٌ بالْقَلْبِ واللِّسانِ والْجَوارِحِ، **ومعناه**: ظُهورُ أَثَرِ نِعْمَةِ اللهِ عَلَى لِسانِ عَبْدِهِ بَالثَّناءِ والاعْتِرافِ، وعَلَى قَلْبِهِ بِشهودِ النِّعْمَةِ ومَحَبَّةِ الْمُنْعِمِ، وعَلَى جَوَارِحِهِ بالانْقِيَادِ والطَّاعَةِ[3]، قالَ ابنُ الْقَيِّمِ رحمه الله تعالى: والشُّكْرُ مَبْنِيٌّ عَلَى خَمْسِ قَوَاعِدَ: خُضوعُ الشَّاكِرِ لِلْمَشْكُورِ، وحُبُّهُ لَهُ، واعْتِرَافُهُ بِنِعَمِهِ، وَثناؤُه عَلَيْهِ بِهَا، وأن لاَّ يَسْتَعْمِلَهَا فِيمَا يَكْرَهُ.اهـ.[4]

٩- مُراقبةُ الله تعالى في السِّرِّ والعَلَنِ مِنْ أعظمِ منازِلِ العِبادَةِ، وقَدْ بيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ معناها لَمَّا سُئلَ عن الإِحْسَانِ فقالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإِنَّهُ يَرَاكَ».متفق عليه[5]، فَمَنْ اسْتَشْعَرَ مُرَاقَبَةَ اللهِ تعالى لَهُ حَمَلَهُ ذلكَ عَلَى إِحْسَانِ العِبَادَةِ وإِتْمَامِهَا، والإِخْلاصِ فيهَا، وتَرْكِ مُراقَبَةِ الناسِ وعَدَمِ الْمُبَالاةِ بِهِمْ.

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة البقرة، بَاب قَوْلُهُ تَعَالَى: (فلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)٤/١٦٢٦(٤٢٠٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، بَاب كَوْنِ الشِّرْكِ أَقْبَحُ الذُّنُوبِ وَبَيَانِ أَعْظَمِهَا بَعْدَهُ ١/٩٠(٨٦).

(٢) سورة البقرة آية ٢٢.

(٣) ينظر: مدارج السالكين، منزلة الشكر ٢/٢٥٤.

(٤) مدارج السالكين، منزلة الشكر ٢/٢٥٤.

(٥) رواه البخاري في كتاب الإيمان، بَاب سُؤَالِ جِبْرِيلَ النبي ﷺ عن الإِيمَانِ وَالإِسْلامِ وَالإِحْسَانِ وَعِلْمِ السَّاعَةِ١/٢٧(٥٠)، ومسلم في كِتَاب الإِيمَانِ، بَاب بَيَانِ الإِيمَانِ وَالإِسْلامِ وَالإِحْسَانِ ١/٣٩(٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

الأَدبُ مَعَ النبيِّ ﷺ

٣- عن عَبْدِ اللَّهِ بن هِشَامٍ رضي الله عنه قالَ: كُنتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وهو آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ، فقالَ لَهُ عُمَرُ: يا رَسُولَ اللَّهِ، لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كلِّ شَيْءٍ إلاَّ مِنْ نَفْسِي! فقالَ النَّبِيُّ ﷺ :«لا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ»، فقالَ له عُمَرُ: فإنَّهُ الآنَ واللهِ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي. فقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الآنَ يا عُمَرُ».رواه البخاري.(١)

إرشادات الحديث:

١- لا يَصِحُّ إيمانُ أحَدٍ ولا إسلامُهُ حَتَّى يشهدَ أنَّ محمَّدًا رسولُ الله ﷺ، ومعنى هذِهِ الشهادةِ: الإقرارُ والاعترافُ والإيمانُ الصادِقُ بأنَّ محمَّدًا ﷺ رسولُ الله إلى الناسِ كَافَّةً، وَمُقتضَاهَا: تَصْديقُهُ فيمَا أخبَرَ، وَطاعَتُهُ فيمَا أَمَرَ، واجتنابُ مَا نَهَى عنهُ وَزَجَرَ، وَأن لاَّ يُعبَدَ اللهُ إلاَّ بِمَا شَرَعَ.

٢- قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ رحمه الله: مَحَبَّةُ اللهِ بَلْ مَحَبَّةُ اللهِ ورَسُولِهِ مِنْ أعظَمِ واجباتِ الإيمانِ، وأكبرِ أصولِهِ، وأجَلِّ قواعِدِهِ، بَلْ هِيَ أصْلُ كُلِّ عَمَلٍ مِنْ أعمَالِ الإيمانِ والدِّينِ.اهـ(٢)، قالَ القُرطُبِيُّ رحمه الله: لا خِلافَ بَيْنَ الأُمَّةِ أنَّها مُقَدَّمةٌ عَلَى كُلِّ مَحْبوبٍ.اهـ (٣)، وفي الصحيحينِ أن النَّبِيَّ ﷺ قالَ: «لا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إليهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ».(٤)

٣- مِن عَلاماتِ مَحَبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ وهيَ أيضًا مِن أسبابِ زيادةِ مَحَبَّتِهِ وتَنْميتِهَا في النفوسِ ما يلي:

أ- طاعَتُهُ فيمَا أَمَرَ، والانتهاء عمَّا نَهَى عنه وزَجَرَ.

ب- الاقتداءُ بِهِ في جَميعِ أمورِكَ الْمَشروعَةِ، في عباداتِك كالصلاةِ والصيامِ، وذِكْرِ اللهِ تعالى واسْتِغفَارِهِ وقيامِ اللَّيْلِ، وكذلك في غيرِ العباداتِ الْمَحضَةِ، كاللِّباسِ والزِّينةِ وسُنَنِ الفِطْرَةِ والنَّومِ، والأخلاقِ ومُعامَلةِ الناسِ.

ت- مَحَبَّةُ السُّنَّةِ، والْغَيرةُ عليهَا، والدَّعوةُ إليها ونشرها، والفرح بالعمل بها.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، بَاب كَيْفَ كانت يَمِينُ النبي ﷺ ٦/٢٤٤٥(٦٢٥٧).

(٢) التحفة العراقية ص٥٧.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٨/ ٩٥ تفسير سورة التوبة آية ٢٤ (قُلْ إِن كَانَ ءابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وإخوانُكُمْ وأزواجكم وَعَشِيرَتُكُمْ وأموالٌ قْتَرَفْتُمُوهَا وتجارة تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ومساكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حتى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِى القوم الفاسِقِينَ).

(٤) رواه البخاري في كتاب الإيمان، بَاب حُبُّ الرَّسُولِ ﷺ من الإِيمَانِ ١/١٤(١٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، بَاب وُجُوبِ مَحَبَّةِ رسول اللَّهِ ﷺ أَكْثَرَ من الأَهْلِ وَالْوَلَدِ وَالْوَالِدِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ وَإِطْلاقِ عَدَمِ الإِيمَانِ على من لم يُحِبُّهُ هذه المحبة ١/٦٧(٤٤).

ث- كثرةُ الصَّلاةِ والسَّلامِ عليهِ ﷺ، وبِخَاصَّةٍ عندَ ذِكْرِهِ، ويومَ الْجُمُعَةِ.

ج- معرفةُ سِيرَتِهِ بقِراءتها في الكتب المخصصة لذلك، وكتب السنة عموما، أو الاستماع إليها عن طريق المحاضرات والدروس، أو ممن يقرؤها مباشرة أو عن طريق الأشرطة المسجلة في ذلك، أو غيرها من الوسائط؛ فَمَنْ لا يَعرِفُ عنهُ إلاَّ اسْمَهُ كيفَ يزدَادُ لَهُ مَحَبَّةً؟ وكيفَ يَقتدِي بِهِ؟

ح- معرفةُ أحادِيثِهِ والاستماعُ إليها، وإكثارُ المطالَعَةِ فيها، والحرصُ على حفظِها وفهمِ معانيها وتبليغِها للناسِ، والاستدلالُ بها في مسائلِ العِلمِ ومحبةُ ذلكَ والفرحُ بها، والاستنباطُ منها لمن هو متأهِّلٌ لذلك.

خ- تَمَنِّي رُؤيتِهِ، فعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا: نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ».رواه مسلم [1].

د- مَحَبَّةُ أصحَابِهِ ﷺ ومطالَعَةُ سِيَرِهِم ونشرُها بين الناسِ.

ذ- مجالسةُ المحبِّين له ﷺ، الذين يُكثرون مِن ذِكرِهِ وقراءةِ سِيرتِهِ وأحاديثِهِ وشمائلِهِ ﷺ، وعدمُ النُّفْرَةِ مِن هذهِ المجالس.

ر- مَحَبَّةُ الذين يحبونَهُ ﷺ، وبغضُ الذين يبغضونَهُ، ومحبةُ ما يحبهُ الرسولُ ﷺ، وبُغضُ مَا يُبغضُهُ.

ز- تربيةُ أولادِنَا على مَحَبَّتِهِ ﷺ، وتنميةُ مَحَبَّتِهِ ﷺ في قلوبِهم.

٤- مِنْ صورِ مَحَبَّةِ السَّلَفِ للنبيِّ ﷺ:

أ- قال عمرُ بنُ الخطابِ ﷺ لفاطمةَ رضي الله عنها: يا بنتَ رسولِ اللهِ ﷺ، ما كانَ أحدٌ مِن الناسِ أحبَّ إلينَا مِن أبيكِ، وَمَا أحدٌ بعدَ أبيكِ أحبَّ إلينَا منكِ[2].

ب- قال جابرُ بنُ عبدِ الله رضي الله عنهما: لَمَّا حضرَ أُحُدٌ دَعاني أبي مِن الليلِ فقالَ: ما أراني إلا مقتولاً في أولِ مَن يُقتل مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ، وإني لا أتركُ بعدي أعزَّ عَلَيَّ منكَ غيرَ نفسِ رسولِ الله ﷺ، وإنَّ عَلَيَّ دينًا فاقضِ، واستوصِ بأَخواتِكَ خيرًا..... [3]

ت- قالَ أَنَسُ بنُ مَالِكٍ ﷺ: لَمَّا كان يَوْمُ أُحُدٍ انْهَزَمَ نَاسٌ منَ الناسِ عن النبيِّ ﷺ، وأبو طَلْحَةَ بين يَدَي النبيِّ ﷺ مُجَوِّبٌ عليه بِحَجَفَةٍ[4]، قالَ: وكان أبو طَلْحَةَ رَجُلاً رَامِيًا شَدِيدَ النَّزْعِ، وَكَسَرَ

---

(١) رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، بَاب فِيمَنْ يَوَدُّ رُؤْيَةَ النبي ﷺ بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ ٤/٢١٧٨(٢٨٣٢).

(٢) رواه أحمد في فضائل الصحابة١/٣٦٤ والخطيب في تاريخ بغداد ٤ / ٤٠١.

(٣) رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب هل يخرج الميت من القبر واللحد لعلة ١/ ٤٥٣ (١٢٨٦).

(٤) أي: مُتَتَرِّسٌ وَمُنْحَنٍ عليهِ بِتُرسٍ ليقيهِ سِلاَحَ الكفَّارِ(مشارق الأنوار ١/١٨٢، وشرح النووي على صحيح مسلم ١٢/١٨٩).

يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أو ثَلاثًا، قال: فَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ معه الْجَعْبَةُ مِنَ النَّبْلِ فيقول:«انْثُرْهَا لأَبِي طَلْحَةَ»، قال: «وَيُشْرِفُ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ إلى الْقَوْمِ»، فيقول أبو طَلْحَةَ: يا نَبِيَّ اللَّهِ، بِأَبِي أنت وَأُمِّي، لا تُشْرِفْ، لا يُصِبْكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ.متفق عليه.(١)

٥- هناك أسبابٌ كثيرةٌ تدعو المسلم لحب النبيِّ ﷺ، منها:

أ- أنَّ الرسولَ ﷺ ناصحٌ أمينٌ لأُمَّتِهِ، فعلى يديه استقبلَ الناسُ الوحيَ الذي هو نجاة لهم من الظُّلماتِ، وطريقٌ لهم للنور، وهو السببُ في نجاةِ كلِّ مَن اتَّبعه.

ب- كمالُ رأفتِهِ ورحمتِهِ بأُمَّتِهِ وحِرصِهِ على هدايتِهَا.

ت- أنَّ الله تعالى أوجب على المسلمين محبَّةَ النبيِّ ﷺ وطاعتَه واتِّبَاعَهُ، وجَعَلَ ذلك علامةً على محبَّةِ الله وطاعته.

ث- الثِّمَارُ العظيمة التي يجنيها المؤمنُ من محبَّتِهِ ﷺ، وهي كثيرة منها: مرافقتُهُ في الجنة، وذَوْقُ حَلاوةِ الإيمانِ.

٦- مِن أعظمِ آثارِ محبَّتِهِ ﷺ متابعتُهُ والاستجابةُ لأمرِهِ ونَهيِهِ، وقد ضَرَبَ السلفُ أروعَ الأمثلةِ في ذلك:

أ- قالَ أَنَسٌ ﷺ: لَمَّا فَتَحَ رسولُ اللَّهِ ﷺ خَيْبَرَ أَصَبْنَا حُمُرًا خَارِجًا مِنَ الْقَرْيَةِ فَطَبَخْنَا مِنهَا، فَنَادَى مُنَادِي رسولِ اللَّهِ ﷺ: «ألاَ إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَنْهَيَانِكُمْ عنهَا؛ فَإِنَّهَا رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ»، فَأُكْفِئَت الْقُدُورُ بِمَا فيهَا، وَإِنَّهَا لَتَفُورُ بِمَا فيهَا.متفق عليه.(٢)

ب- قالَ أَنَسٌ ﷺ: كُنتُ سَاقِيَ الْقَوْمِ في مَنْزِلِ أبي طَلْحَةَ فَنَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ، «فَأَمَرَ[رسولُ اللَّهِ ﷺ] مُنَادِيًا [يُنَادِي ألاَ إِنَّ الْخَمْرَ قد حُرِّمَتْ]»، فَنَادَى، فقالَ أبو طَلْحَةَ: أُخرُجْ فَانْظُرْ ما هذا الصَّوْتُ؟ قال: فَخَرَجْتُ فقلتُ: هذا مُنَادٍ يُنَادِي ألاَ إِنَّ الْخَمْرَ قد حُرِّمَتْ، فقالَ لي: اِذْهَبْ فَأَهْرِقْهَا، قال:[فَخَرَجْتُ فَهَرَقْتُهَا]، فَجَرَتْ في سِكَكِ الْمَدِينَةِ. [قالَ: فَمَا سَأَلُوا عَنْهَا ولاَ رَاجَعُوهَا بَعْدَ خَبَرِ الرَّجُلِ].متفق عليه.(٣)

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ﷺ، بَاب مَنَاقِبُ أبي طَلْحَةَ ﷺ ٣/١٣٨٦(٣٦٠٠)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، بَاب غَزْوَةِ النِّسَاءِ مع الرِّجَالِ ٣/١٤٤٣(١٨١١)، وهذا لفظه.

(٢) رواه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، بَاب لُحُومِ الْحُمُرِ الإِنْسِيَّةِ ٥/٢١٠٣(٥٢٠٨)، ومسلم في كتاب الصيد والذبائح، بَاب تَحْرِيمِ أَكْلِ لَحْمِ الْحُمُرِ الإِنْسِيَّةِ ٣/١٥٤٠(١٩٤٠)، هذا لفظه.

(٣) رواه البخاري في كتاب التفسير، سورة المائدة، بَاب: (ليس على الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا) ٤/١٦٨٨(٤٣٤٤)، ومسلم في كِتَاب الأَشْرِبَةِ، بَاب تَحْرِيمِ الْخَمْرِ وَبَيَانِ أنها تَكُونُ من عَصِيرِ الْعِنَبِ وَمِنْ التَّمْرِ وَالْبُسْرِ وَالزَّبِيبِ وَغَيْرِهَا مِمَّا يُسْكِرُ ٣/١٥٧٠(١٩٨٠)، والزيادات

ت- رَوَى الإمامُ الشافعيُّ ﷺ يومًا حديثًا وقالَ: إنه صحيحٌ، فقالَ له قائلٌ: أتقولُ به يا أبا عبدِالله؟ فاضطَرَبَ، وقالَ: يا هذا أرأيتني نَصرانيًّا؟! أرأيتني خارجًا مِنْ كنيسةٍ؟! أرأيتَ في وَسَطِي زُنَّارًا[1]؟! أَرْوِي حديثًا عن رسولِ الله ﷺ ولا أقولُ بِهِ.[2]

ث- قال إبراهيم بنُ هانئ: اختفى عندي أحمد بن حنبل ثلاثة أيام، ثم قالَ: أُطلب لي موضِعًا حتى أتحوَّلَ إليهِ، قلتُ: لا آمنُ عليكَ يا أبا عبدِالله، قالَ: إذا فعلتَ أفدتُكَ. فطلبتُ له موضعًا فلمَّا خَرَجَ، قالَ لي: اختفى رسولُ الله ﷺ في الغار ثلاثةَ أيام ثم تَحَوَّلَ، وليس ينبغي أن نتبعَ سنةَ رسولِ الله ﷺ في الرَّخاء، ونترَكَهَا في الشِّدة.[3]

الأولى والثانية والثالثة عند البخاري في كتاب المظالم، بَاب صَبِّ الْخَمْرِ فِي الطَّرِيقِ ٢/٨٦٩(٢٣٣٢)، والزيادة الرابعة لهما، البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة المائدة، بَاب قَوْلِهِ: (إِنما الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ من عَمَلِ الشَّيْطَانِ) ٤/١٦٨٨(٤٣٤١)، ومسلم في الموضع نفسه ٣/١٥٧١.

(١) الزُّنَّارُ: حزام النصارى.

(٢) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة للسيوطي، ت/ عبدالرحمن فاخوري ص١٤٨، وطبقات الشافعية الكبرى ٢ /١٤١.

(٣) حلية الأولياء ٩/١٨٠، وطبقات الحنابلة ١/٩٧ في ترجمة إبراهيم بن هانىء، ومناقب أحمد لابن الجوزي ص ٣٤٩- ٣٥٠.

الأَدَبُ مَعَ القُرآنِ الكَرِيمِ

٤- عن أبي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ [وَيَعْمَلُ بِهِ] كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذي لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لا رِيحَ لَهَا، وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذي لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيسَ لَهَا رِيحٌ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ».متفق عليه.(١)

إرشادات الحديث:

١- القرآنُ الكريمُ: كلامُ اللهِ تعالى الَّذي أنزَلَهُ عَلَى رَسولِهِ مُحمدٍ ﷺ، والْمؤمنُ يَعرفُ للقرآنِ مَنزلتَهُ العَظيمةَ، فيحرصُ عَلَى تِلاوَتِهِ والعَمَلِ بِهِ، ولا يَهْجُرُه فَيهملَ قراءتَهُ، وقد وَصَفَ النَّبِيُّ ﷺ الْمُؤمِنَ الَّذي يَقرأُ القُرآنَ الكريمَ ويَعْمَلُ بِهِ بالأُتْرُجَّةِ الَّتِي رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وذلكَ لأنَّ القرآنَ الكريمَ بِهِ حياةُ القلوبِ، فَمَنْ قَرَأَهُ وعَمِلَ بِهِ، طَابَ ظَاهِرًا وبَاطنًا.

٢- ينبغي لِلْمُسْلِمِ أنْ يكونَ لَهُ وِرْدٌ يَوْمِيٌّ مِنْ كِتَابِ اللهِ تعالى، يُحافِظُ عليهِ، ويَقضيهِ إذَا فَاتَهُ، وإنْ تَيَسَّرَ لَهُ أنْ يَخْتِمَ القرآنَ كلَّ أسبوعٍ أو كلَّ شهرٍ أو كلَّ أربعينَ يومًا فهذا حَسَنٌ، فعن عبداللَّهِ بن عَمْرٍو رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ لَهُ: «اقْرَأِ الْقُرْآنَ في أَرْبَعِينَ».رواه أبو داود والترمذيُّ وقال: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وحسَّنه الألبانِيُّ(٢)، قالَ إسحاقُ بنُ رَاهُويَهْ: ولا نُحِبُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يَأْتِيَ عليهِ أَكْثَرُ مِنْ أَرْبَعِينَ ولَمْ يَقْرَأِ الْقُرْآنَ لهذا الحديثِ(٣).

٣- لقد اشْتَكَى الرَّسولُ ﷺ مِنْ هَجْرِ الْقُرْآنِ، قالَ تعالى: (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً)(٤)، وقد ذَكَرَ العُلَماءُ رحمهم الله تعالى أنَّ هَجْرَ القرآنِ أنواعٌ(٥):

أحَدُهَا: هَجْرُ الإيمانِ بِهِ.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأطعمة، بَاب ذِكْرِ الطَّعَامِ ٥/٢٠٧٠(٥١١١)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، بَاب فَضِيلَةِ حَافِظِ الْقُرْآنِ ١/٥٤٩(٧٩٧)، والزيادة بين قوسين من رواية أخرى للبخاري في كتاب فضائل القرآن، بَاب إِثْمُ من رَاءَى بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ أو تَأَكَّلَ بِهِ أو فَخَرَ بِه ٤/١٩٢٨(٤٧٧٢).

(٢) رواه أبو داود في أبواب قراءة القرآن، باب تحزيب القرآن ٢/٥٦(١٣٩٥)، والترمذي ٥/١٩٧(٢٩٤٧) وقال: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وهذا لفظه، والنسائي في السنن الكبرى (٨٠٦٧)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥١٢)، و صحيح الجامع (١١٥٤).

(٣) سنن الترمذي ٥/١٩٧، والتذكار في أفضل الأذكار للقرطبي ص٨٤، والمراد ختمه في هذه المدة.

(٤) سورة الفرقان آية ٣٠.

(٥) ينظر: الفوائد لابن القيم ص٨٢، وتفسير ابن كثير ٣/ ٣١٨ تفسير الآية ٣٠ من سورة الفرقان، وكتاب: هجر القرآن العظيم، أنواعه وأحكامه، للدكتور محمود بن أحمد الدوسري.

والثاني: هَجْرُ قراءتِهِ والاستِمَاعِ إليهِ.

والثالثُ: هَجْرُ العَمَلِ بِهِ والوقوفِ عندَ حَلالِهِ وحَرَامِهِ.

والرابعُ: هَجْرُ تَحْكيمِهِ والتَّحَاكُمِ إليهِ في أصولِ الدِّينِ وفُروعِهِ، واعتقادُ أنَّهُ لا يفيدُ في هذا الزَّمانِ، وإنَّما كانَ يصلُحُ في الأزمنَةِ الْمَاضِيَةِ.

والخامسُ: هَجْرُ تَدَبُّرِهِ وتَفَهُّمِهِ.

والسادس: هَجْرُ الاسْتِشْفَاءِ والتَّداوِي بِهِ مِنْ جَمِيعِ أمْراضِ القُلوبِ والأَبْدَانِ.

٤- الناسُ في قِراءةِ القرآن عَلَى مَرتَبَتَيْنِ:

المرتبةُ الأولى: من يتعلَّمُ القراءةَ فيتقنُها حَتَّى تَسهُلَ عليهِ ويجتهدُ في الحفظِ، فهذا مُشَبَّهٌ بِالْمَلائكةِ الكِرامِ حَمَلَةِ الْوَحيِ وسُفراءِ اللهِ تعالى إلى خَلْقِهِ، قالَ العُلماءُ رحمهم الله تعالى: وهذِهِ الْحالةُ مِنَ القِراءةِ هي الأكمَلُ والأفْضَلُ، وهي الَّتِي ينبغي لِلمُسلِمِ الْحرصُ عليها(١).

المرتبةُ الثانيةُ: من تَثْقُلُ عليهِ القِراءةُ ويَثْقُلَ عليهِ الْحِفظُ، فيقرأُ بِصُعوبَةٍ ومَشَقَّةٍ وهو يَتَتَعْتَعُ فيهِ، فهذا على أَجْرٍ وخَيْرٍ، فإنَّ لَهُ بِذلكَ أجْرَيْنِ: أجْرُ القِراءةِ نَفْسِهَا، وأجْرُ الْمَشَقَّةِ.

فعن أمِّ المؤمنين عَائِشَةَ رضي الله عنها أن النبيَّ ﷺ قالَ: «مَثَلُ الذي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وهو حَافِظٌ له مع السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَمَثَلُ الذي يَقْرَأُ وهو يَتَعَاهَدُهُ وهو عليه شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ»، متفق عليه(٢).

٥- ينبغي على الْمُسْلِمِ أن يَتَعَلَّمَ كِتابَ اللهِ تعالى ويُحْسِنَ تِلاوَتَهُ وحفظَهُ وإن شقَّ عليه ذلك وكلَّفَهُ كثيرًا مِنَ الوقتِ والعَنَاء، وقد تَيَسَّرَتْ أسْبَابُ ذلكَ في عَصْرِنا مِن خلالِ الأساتذةِ الْمُتَخَصِّصِينَ، أو تَكْرَارِ استماعِ أشرطةِ القرآنِ الكريمِ، ولْيَتَرَيَّثْ في القِراءةِ حَتَّى يُتقنَهَا ولوْ بَقِيَ في الصَّفْحَةِ الوَاحِدَةِ عِدَّةَ ساعاتٍ، أو بَقِيَ فيهَا أيَّامًا حَتَّى يُتْقِنَهَا، وفي صحيحِ البُخاريِّ عن عُثْمَانَ رضي الله عنه أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ».(٣)

٦- مِن آدابِ تلاوةِ القرآنِ الكريمِ:

أ- استحضارُ عظمةِ القرآنِ أثناءَ التلاوةِ، وأنه كلامُ اللهِ جلَّ في علاه.

---

(١) ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض ١٦٧/٣، و المفهم لما أشكل من تلخيص كلام مسلم لأحمد بن عمر القرطبي ٤٢٥/٢، والتذكار في أفضل الأذكار للقرطبي ص٧٩، و شرح النووي على صحيح مسلم ٨٥/٦.

(٢) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب تفسير سُورَةُ عَبَسَ ١٨٨٢/٤(٤٦٥٣)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، بَاب فَضْلِ الْمَاهِرِ بالقرآن وَالَّذِي يَتَتَعْتَعُ فيه ٥٤٩/١(٧٩٨).

(٣) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن، بَاب خَيْرُكُمْ مَن تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ ١٩١٩/٤(٤٧٣٩).

ب- حضورُ القلبِ والخشوعُ أثناءَ التلاوةِ.

ت- تدبُّرُ معاني آياتِهِ.

ث- التطهُّرُ عندَ تلاوتِهِ مِنَ الْحَدَثَيْنِ الأصغرِ والأكبرِ:

- ولا يجوزُ للجُنُبِ قراءةُ القرآنِ؛ وإن لم يمسَّ المصحف.
- وتجبُ الطهارةُ مِنَ الْحَدَثَيْنِ الأصغرِ والأكبرِ لأجلِ مَسِّ المصحفِ.
- ويجوزُ للحائضِ قراءةُ القرآنِ على الصحيح من غير مَسِّ المصحفِ.
- ولا تجبُ الطهارةُ مِنَ الْحَدَثِ الأصغرِ إذا كانتِ قراءةُ القرآنِ مِن الأجهزة الإِلِكْتُرونِيَّةِ.

ج- التَّسَوُّكُ قبل القراءةِ.

ح- الاستعاذةُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ عندَ ابتداءِ القِراءة، سواءٌ قَرَأَ مِن أوَّلِ السُّورَةِ أو مِنْ أثْنَائِهَا.

خ- ترتيلُ القرآنِ الكريمِ وتجويدُ قراءتِهِ، وتحسينُ الصوتِ بِهِ.

د- السجودُ عندَ قراءةِ آيةٍ فيهَا سجدَةٌ، أو الاستماعِ إليهَا.

٧- على المسلمِ تعظيمُ القرآنِ الكريمِ، ولذلكَ مظاهرُ كثيرةٌ منها:

أ- الاعتقادُ الجازمُ بأنه محفوظٌ منَ التحريفِ.

ب- التصديقُ بكلِّ ما فيهِ.

ت- العملُ بأحكامِهِ.

ث- الاستماعُ إليه إذا قُرِئَ، وعدمُ التشاغلِ عنهُ.

ج- الإنصاتُ عند استماعِهِ، وهو: السكوتُ.

ح- احترامُ المصاحِفِ التي كُتِبَ فيهَا.

خ- احترامُ كلِّ موضعٍ كُتِبَ فيهِ شَيءٌ مِنَ القرآنِ الكريمِ.

الأَدَبُ مَعَ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ

٥- عن أبي نُجَيحٍ العِرباضِ بنِ ساريةَ ﷺ قالَ: صلَّى بِنَا رسولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ منها الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ منها الْقُلُوبُ، فقالَ قَائِلٌ: يا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّ هذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ؛ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فقال: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فإِنَّهُ مَن يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عليها بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ».رواه أحمدُ وأبو داودَ والترمذيُّ وهو صحيح.(١)

إرشادات الحديث

١- السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ هي المصدرُ الثاني للتَّشريعِ بعدَ القرآنِ الكريمِ، وهي حُجَّةٌ في الأحكامِ الشرعيةِ الاعتقادِيَّةِ والعَمَلِيَّةِ، وهي مِثْلُ القرآنِ الكريمِ مِن حيثُ وجوبُ الاتِّباعِ ولزومُ التَّحَاكمِ إليها، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾(٢)، وقد حذّر النبيُّ ﷺ مِن نبذ سنتهِ فقالَ: «يُوشِكُ الرَّجُلُ مُتَّكِئًا على أَرِيكَتِهِ، يُحَدَّثُ بِحَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِي فيقول: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ؛ فما وَجَدْنَا فيه مِنْ حَلالٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ، وما وَجَدْنَا فيه مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ، أَلاَ وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ مِثْلَ ما حَرَّمَ الله».رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه.(٣)

٢- لَمَّا انتَشَرَ الإسلامُ وظَهَرَ عَلَى أُمَمِ الكُفرِ أظهر بعض الزَّنَادِقَةِ الإسلامَ وأبطنوا الكفر، وبَدأوا يخطِّطونَ للكيدِ بِالمسلمين، فظَهَرَتْ بِسببهم كثيرٌ مِنَ البِدعِ والانحرافَاتِ منها: إنكارُ حُجِّيَّةِ السُّنَّةِ

---

(١) رواه أحمد ١٢٦/٤، وأبو داود ٢٠٠/٤ (٤٦٠٧) وهذا لفظه، والترمذي ٤٤/٥(٢٦٧٦)، والدارمي ٥٧/١(٩٥)، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه ابن حبان ١٧٨/١(٥) وقال الحاكم في المستدرك على الصحيحين ١٧٤/١: هذا حديث صحيح ليس له علة،وقال في رواية أخرى: هذا إسناد صحيح على شرطهما جميعا ولا أعرف له علة، وقد ذكر له عدة طرق ثم قال: وقد استقصيت في تصحيح هذا الحديث بعض الاستقصاء على ما أدى إليه اجتهادي وكنت فيه كما قال إمام أئمة الحديث شعبة في حديث عبد الله بن عطاء عن عقبة بن عامر لما طلبه بالبصرة والكوفة والمدينة ومكة ثم عاد الحديث إلى شهر بن حوشب فتركه ثم قال شعبة: لأن يصح لي مثل هذا عن رسول الله ﷺ كان أحب إلي من والدي وولدي والناس أجمعين، وقد صح هذا الحديث والحمد لله، وصححه الألباني في الإرواء (٢٤٥٥).

(٢) سورة الحشر آية ٧.

(٣) رواه أحمد ١٣٢،١٣٠/٤، وأبو داود في كتاب السنة، باب لزوم السنة ٢٠٠/٤ (٤٦٠٤، ٤٦٠٥)، والترمذي في كتاب العلم، بَاب ما نُهِيَ عنه أَنْ يُقَالَ عِنْدَ حديث النبي ﷺ ٣٨/٥(٢٦٦٤)، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وابن ماجه في المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه ٦/١-٧ (١٢، ١٣) وهذا لفظه، قال ابن مفلح(الآداب الشرعية ٢٩١/٢): أخرجه أبو داود وإسناده جيد، ونقل هو وابن القيم في(إعلام الموقعين ٣٠٧/٢) عن البيهقي أنه قال: إسناده صحيح، وقال ابن تيمية(القواعد النورانية ص٣): هذا المعنى محفوظ عن النبي ﷺ من غير وجه، وصححه ابن حبان ١٨٩/١(١٢)، والألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨٧٠)، وصحيح الجامع(٢٦٤٣).

النَّبَوِيَّةِ، والزَّعْمُ بأنَّ القُرآنَ وَحْدَهُ كَافٍ في بيانِ أحكامِ الشَّريعةِ، **وإنَّما غرضُهُمْ مِنْ ذَلِكَ**: هَدْمُ الدِّينِ وإفسَادُهُ مِنَ الدَّاخِلِ؛ وذلك بِهَجْرِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ التي هي بيانٌ لِلقرآنِ الكريمِ.

٣- تَبَنَّى هذا الاتجاهَ المنحرفَ عن السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ وهَدي السَّلف الصالحِ بعضُ الفِرَقِ المعروفةِ بِزَيغِهَا وضَلالِها وانحرافِها؛ كالخوارجِ والمعتزلةِ والروافضِ قَديمًا، والمستشرقينَ وأذنابِهم مِنَ المستغربينَ المنتسبينَ للإسلامِ وبعضِ الكتَّاب حَديثًا، ومِنْهُم: الذين يسمُّونَ أنفسَهُمْ بِـ(القُرْآنِيُّونَ)، والقُرآنُ منهم بَرَاءٌ.

٤- ذَهَبَ بعضُ أهلِ الأهواءِ والبِدَعِ قديمًا وحديثًا إلى رَدِّ بَعْضِ أحَادِيثِ النبيِّ ﷺ بأهوائِهِمْ، والتّحَكُّمُ فيمَا يقبلونَهُ منهَا، فمن ذلك:

أ- رَدُّ خَبَرِ الآحَادِ في مسائل العقيدة، وهذا مَسلَكٌ مبتدعٌ فاسدٌ مخالفٌ لإجماعِ السلف، قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيميَّةَ عن خبر الآحاد: إنه يفيد العلم اليقيني عند جماهير أمة محمد ﷺ من الأوَّلين والآخرين، أما السَّلَفُ فَلَمْ يكنْ بينهم في ذلك نزاعٌ، وأمَّا الخَلَف فهذا مَذْهَبُ الفُقهاءِ الكبارِ مِنْ أصحَابِ الأَئِمَّةِ الأَرْبَعَةِ.اهـ[1] وقال ابنُ القَيِّمِ عن قَبول خَبَرِ الواحدِ الصحيحِ أن عليهِ: إجماعُ الصحابَةِ المعلومُ بالضَّرورَةِ، وإجماعُ التابعينَ، وإجماعُ أئِمَّةِ الإسْلامِ.اهـ[2] ولقد كانَ النبيُّ ﷺ يرسلُ رُسُلَهُ ودُعَاتَهُ أفرادًا، وكانوا حجةً على مَن يُرسِلُهمْ إليهِمْ.

ب- رَدُّ بَعْضِ الأحاديثِ التي يزعمونَ أنَّها تُخالفُ العقلَ، وإنَّما الخلَلُ في عُقولِهم مثل: (حديثِ الذُّبابِ)، وهو قولُ النبيِّ ﷺ: « إذا وَقَعَ الذُّبَابُ في شَرَابِ أحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ، ثُمَّ لْيَنْزَعْهُ، فإنَّ في إحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءً، والأخْرَى شِفَاءً».رواه البخاري[3]، والسُّنَّةَ وَحْيٌ مِنَ الله تعالى، ولا يمكنُ أن تخالِفَ الواقعَ، وإذا لَمْ يَتَبَيَّنْ لنَا معنَى حديثِ النَّبِي ﷺ فهوَ لِقُصورٍ في عُلومِنَا وَأفْهَامِنَا، وقد ظَهَرَ للناسِ في هذا العَصْرِ- بالدِّرَاسَةِ والتَّجْرِبَةِ- مَا أخْبَرَ بِهِ النبيُّ ﷺ مِنْ أنَّ في أَحَدِ جَنَاحَي الذُّبَابِ داءً، وفي الآخَرِ شِفَاءً، فتبارك الله أحسن الخالقين.

٥- يُبَيِّنُ الحديثُ العظيمُ أهَمَّ مَصْدَرٍ لِتَلَقِّي هذِهِ الشريعةِ الْمُبَارَكَةِ عندَ سلفِ الأمَّةِ ﷺ، وهو هَدْيُ النَّبِيِّ وطريقتُهُ وسُنَّتُهُ، وهذا يشملُ جميعَ المنهجِ الذي جاءَ به النبيُّ ﷺ مِن ربِّهِ جَلَّ وعَلا، وسَارَ عَلَيْهِ

---

(1) نقله ابن القيم عن شيخه كما في مختصر الصواعق المرسلة ٣٧٣/٢، وانظره أيضا في ٤١٢/٢، ٤١٣، ٤٣٣، ٤٣٥.

(2) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ٣٦٢/٢.

(3) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه فإن في إحدى جناحيه داء وفي الأخرى شفاء ١٢٠٦/٣ (٣١٤٢).

إلى أنْ تَوَفَّاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ هَدْيُ أصْحَابِه مِن بَعْدِهِ، وهذا هو مَسْلَكُ أهلِ السُّنَّةِ والْجَمَاعَةِ؛ بِخَلافِ أهلِ الْبِدَعِ والضَّلالَةِ الذينَ يَتَّبِعُونَ الأَهواءَ، ولاَ يَسْتَمْسِكُونَ بالسُّنَنِ.

٦- في الْحديثِ إشارةٌ إلى طريقَةِ التَّعَامُلِ مَعَ السُّنةِ النبويةِ، وذلكَ بأنْ تؤخَذَ بَالتَّعظِيمِ والاحْتِرَامِ، ويُسْتَمْسَكَ بِها أَشَدَّ الاسْتِمْسَاكِ، وتأَمَّلْ عِباراتِ الْحديثِ الدَّالةِ عَلَى ذلكَ حيثُ قالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي»، ثُمَّ قالَ: «تَمَسَّكُوا بها»، ثُمَّ أكَّد هذا التَّمَسُّكَ بقوله ﷺ: «وَعَضُّوا عَلَيْهَا»، ثُمَّ قالَ: «بِالنَّوَاجِذِ» وهي آخِرُ الأضراسِ، والْعَضُّ عليهَا أقوى، وهذا دالٌّ على غايَةِ الاسْتِمْسَاكِ بالْهَدْيِ النَّبَوِيِّ، ومُجَانَبَةِ كلِّ سبيلٍ فيهِ بُعْدٌ عنهُ ومُجَافاةٌ لَهُ.

٧- تأتي السُّنَّةُ النَّبويَّةُ مِنَ القرآنِ الكريمِ على ثلاثَةِ أنحاءٍ:

أ- بيانُ مَا أُجْمِلَ في القرآنِ الكريمِ، وتوضيحُ تفاصيلِ أحكامِهِ، مثلُ: تفصيلِ أحكامِ الصلاةِ والزكاةِ والحجِّ والصيامِ.

ب- تأكيدُ الأحكامِ الواردةِ في القرآنِ الكريمِ، مثلُ: التأكيدِ على إيجابِ صِلَةِ الأرحامِ، وتحريمِ الزنا والسَّرِقَةِ.

ت- إثباتُ أحكامٍ سَكَتَ عنها القرآنُ الكريمُ، مثلُ: تحريمِ نِكاحِ المرأةِ على عَمَّتها وخالتِهَا، وتحريمِ أكلِ كلِّ ذي نَابٍ من السِّباعِ وكُلِّ ذي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ، وتحريمِ سَفَرِ الْمَرْأةِ مِنْ غيرِ محرَمٍ.

٨- على المسلم أن يكون حريصًا على اتِّبَاعِ السُّنَّةِ في كُلِّ مَا يستطيعُهُ، أمْرًا ونَهْيًا، فِعْلاً وَتَرْكًا، سَواء أكَانَ الْمَأمورُ بِهِ واجبًا أم مُسْتَحَبًّا، والمنهيُّ عنه محرَّمًا أو مكروهًا، وهذا هو هدي السلف الصالح ﷺ، قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾.(١)

(١) سورة الأحزاب آية ٢١.

أَدَبُ الذِّكْرِ

٦- عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قالَ: كانَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ يَسِيرُ في طَرِيقِ مَكَّةَ، فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ (جُمْدَانُ) فقالَ: «سِيرُوا، هَذَا جُمْدَانُ، سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ»، قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ».رواه مسلم.(١)

إرشادات الحديث

١- ينبغي على الْمُسْلِمِ أنْ يكونَ مُرتَبِطًا بِاللهِ سبحانَهُ وتعالى في جميعِ أحوالِهِ، ومِنْ أعْلَى سُبُلِ الارتباطِ بِهِ وأهَمِّها ذِكرُهُ سبحانه وتعالى، وهو مِنْ أعظمِ القُرباتِ، وأجَلِّ الطَّاعاتِ، العملُ بِهِ يسيرٌ، وأجرُهُ كَثيرٌ، وهو عندَ اللهِ تعالى محبوبٌ وعظيمٌ، والمقصودُ بالطَّاعاتِ كلِّها ذِكرُ الله تعالى، قال تعالى: (اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون). (٢)

٢- ذِكْرُ اللهِ تعالى هو: ما يَجرِي على اللِّسانِ والقَلبِ مِنْ تَسْبيحِ الله تعالى وحَمْدِهِ وقراءةِ كِتابِهِ ودُعائِهِ، والتَّفَكُّرِ في مَخْلوقاتِهِ، كَمَا يَدخُلُ فيهِ: تنفيذُ أوامِرِهِ مِنَ الصَّلاةِ والزكاةِ والصيامِ والحجِّ وبِرِّ الوالدينِ، والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن الْمُنكَرِ والدَّعوةِ إلى الله تعالى، يقولُ الإمامُ النَّوَوِيُّ رحمه الله: فضيلَةُ الذِّكْرِ غيرُ مُنْحَصِرَةٍ في التسبيحِ والتهليلِ والتحميدِ والتكبيرِ ونحوِها، بَلْ كلُّ عَامِلٍ للهِ تعالى بِطاعةٍ فهو ذاكرٌ للهِ تعالى، كذا قالَ سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ وغيرُه مِنَ العُلماءِ(٣).

٣- ذِكْرُ اللهِ تعالى يكونُ بالقلبِ واللِّسانِ والجوارحِ، ويكون بِهَا مَعًا، وَبِبَعْضِهَا، وهو أنواعٌ كثيرة، منها:

أ- قراءةُ القرآن، وهي أفضلُ مِنَ الأذكارِ المطْلَقَةِ، وينبغي أن يكونَ للمسلم وِرْدٌ يوميٌّ يَتلو فيهِ كتابَ الله تعالى حتَّى يختمه في أسبوعٍ أو شهرٍ أو أربعينَ يومًا أو أكثرَ.

ب- التسبيحُ، والتهليلُ، والتحميدُ، والتكبيرُ، ومن أحسنِهِ ما وَرَدَ الحثُّ عليهِ مِنَ النبيِّ ﷺ ومنه:

---

(١) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى ٤/٢٠٦٢(٢٦٧٦).

(٢) سورة العنكبوت آية ٤٥.

(٣) الأذكار للنووي ص٩، وللزيادة ينظر: الوابل الصيّب، لابن القيّم ص١٠٨-١١٠.

- حديثُ أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ في الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إلى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ».متفق عليه.(١)
- حديثُ أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، ولا إِلَهَ إلاَّ اللهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ؛ أَحَبُّ إليَّ مِمَّا طَلَعَتْ عليهِ الشَّمْسُ».رواه مسلم(٢)، وعن سَمُرَةَ بن جُنْدَبٍ ﷺ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحَبُّ الْكَلاَمِ إلى اللَّهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، ولا إِلَهَ إلا اللهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ؛ لاَ يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ».رواه مسلم.(٣)
- الذِّكرُ المضاعفُ الثابتُ في حديث أمِّ المؤمنينَ جُوَيْرِيَةَ رضي الله عنها أَنَّ النبي ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حين صلَّى الصُّبْحَ وهي في مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ، فقال: «مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عليها؟»، قالتْ: نَعَمْ، قالَ النبيُّ ﷺ: «لَقَدْ قلتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، لَو وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ».رواه مسلم.(٤)

ت- الدُّعَاءُ، وهو مِنْ أفضلِ الأذكارِ؛ لأنَّهُ لُجوءٌ إلى الله تعالى، وافتقارٌ إليهِ وتَذَلُّلٌ بين يديْهِ، وسؤالٌ لَهُ تعالى بأسمائِهِ وصِفاتِهِ لِتَلْبِيَةِ حَاجاتِ العبدِ الدُّنيويَّةِ والأُخْرَويَّةِ.

ث- الاستغفارُ، ويستحبُّ الإكثارُ منهُ كلَّ حينٍ، ويكفي في الاستغفارِ أن يقولَ: أستغفرُ الله، أو أستغفرُ الله وأتوبُ إليه، أو اللَّهمَّ اغفِرْ لي، ونحو ذلك، وأفضلُهُ: سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ، قال النبيُّ ﷺ: «سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إلا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ، وأنا على عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ من شَرِّ ما صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي؛ فإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا أَنْتَ»، قال: «وَمَنْ قَالَهَا مِن النَّهَارِ مُوقِنًا بها فَمَاتَ من يَوْمِهِ قبل أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ من أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا من اللَّيْلِ وهو مُوقِنٌ بها فَمَاتَ قبل أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ من أَهْلِ الْجَنَّةِ».رواه البخاري.(٥)

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب إذا قال: والله لا أتكلم اليوم، فصلى، أو قرأ، أو سبح، أو كبر، أو حمد، أو هلل، فهو على نيته ٦/٢٤٥٩(٦٣٠٤)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، بَاب فَضْلِ التَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ وَالدُّعَاءِ ٤/٢٠٧٢(٢٦٩٤).

(٢) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، بَاب فَضْلِ التَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ وَالدُّعَاءِ ٤/٢٠٧٢(٢٦٩٥).

(٣) رواه مسلم في كتاب الآداب،باب كراهة التسمية بالأسماء القبيحة وبنافع ونحوه ٣/١٦٨٥(٢١٣٧).

(٤) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، بَاب التَّسْبِيحِ أَوَّلَ النَّهَارِ وَعِنْدَ النَّوْمِ ٤/٢٠٩١(٢٧٢٦).

(٥) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار ٥/٢٣٢٣(٥٩٤٧)، وباب ما يقول إذا أصبح٥/٢٣٣٠ (٥٩٦٤).

ج- التفكُّرُ في مخلوقاتِ الله تعالى بالقلبِ، فهذَا مِنْ أعظَمِ الذِّكرِ.

ح- الذِّكرُ بعملِ الجوارحِ، وذلك بعملِ الطاعاتِ المختلفةِ، مِن الصلاةِ، والصيامِ، وبِرِّ الوالدينِ، وصلةِ الأرحامِ، وتعلّمِ العِلمِ وتعليمِهِ، وغيرِ ذلك كلُّه مِنَ الذِّكرِ؛ لأن المقصودَ بالأعمالِ الصالحةِ الذِّكرُ.

خ- الذِّكْرُ المقيّد بوقتٍ أو حالٍ أو مكانٍ، مثلُ: أذكارِ الصباحِ والمساءِ، ووقتُها مِنْ بعدِ طلوعِ الفجرِ إلى طلوعِ الشمسِ، ومِن بعدِ العصرِ إلى غروبِ الشمسِ، وكذا الأذكارُ عندَ النومِ، وعندَ الاستيقاظِ منهُ، وعندَ دخولِ المنزلِ، والمسجدِ، والخروجِ منهمَا، وعندَ الرُّكوبِ، والسَّفَرِ، ونزولِ المطرِ، وغيرها.

٤- لذِكْرِ اللهِ تعالى فوائدُ كثيرةٌ، وفضائِلُ جليلةٌ يَصْعُبُ حَصْرُهَا، وقد ذَكَرَ الإمامُ ابنُ القَيِّمِ رحمه الله في كتابه: (الوابل الصيّب من الكلم الطيب) للذِّكرِ أكثَرَ مِن سبعينَ فائدةً مِنْهَا:

أ- سَعادةُ القَلْبِ وطُمأنينتُهُ، يقولُ سبحانه وتعالى: (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر لله تطمئن القلوب)[1]، وكلَّمَا ازداد المؤمنُ ذكرًا لله تعالى ازدَادَ راحةً وطُمأنينةً، وكلَّمَا ابتعَدَ عن ربِّهِ جل وعلا ازدَادَ ضِيقًا وَحَرَجًا في صدرِهِ، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾[2]، قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ رحمه الله: الذِّكرُ للقلبِ مِثْلُ الْمَاءِ لِلسَّمَكِ؛ فكيفَ يكون حالُ السَّمَكِ إذا فارَقَ الْمَاءَ؟اهـ[3]

ب- أنَّ اللهَ العظيمَ جلَّ في عُلاهُ يذكُرُ مَنْ ذَكَرَهُ، كَمَا قالَ تعالى: (فاذكروني أذْكُرْكُمْ)[4]، ولَوْ لَمْ يَكُنْ في الذِّكر إلا هذِهِ وحْدَهَا لَكَفَى بِهِ فَضْلاً وشَرَفًا.

ت- كثرةُ الثوابِ حَتَّى إنَّ ثَوابَهُ لَيَربُو عَلَى إنفاقِ الأمْوالِ كَمَا دَلَّتْ عَلَى ذلكَ الأحاديثُ الصَّحيحةُ[5]، قالَ أبو بَرْزَةَ الأسلميُّ ﷺ: لو أن رَجلاً في حَجْرِهِ دَنانيرُ يُعطيها، وآخَرَ يذكرُ اللهَ عزَّ

---

(1) سورة الرعد آية ٢٨.

(٢) سورة طه آية ١٢٤ .

(3) نقله عنه تلميذه ابن القيم في الوابل الصيب ص٦٣.

(4) سورة البقرة آية ١٥٢.

(5) منها: حديث أبي الدَّرْدَاءِ ﷺ قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وارفعها في دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ من من إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِن أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟»، قالوا: وَذَلِكَ ما هو يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: «ذِكْرُ اللَّهِ عز وجل». رواه أحمد٥/١٩٥، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ١/٦٧٣ وقال: صحيح الإسناد، وصححه الألباني في صحيح الجامع(٢٦٢٩).

عزَّ وجلَّ؛ لكانَ الذَّاكِرُ أفضلَ[1]، وقالَ أبو الدَّردَاءِ ﷺ: لأَنْ أُكبِّر مِئَةَ مَرَّةٍ أحبُّ إِلَيَّ مِنْ أنْ أتَصَدَّقَ بِمِئَةِ دِينارٍ.[2]

ث- أنه حِصنٌ حصينٌ يُحْرِزُ بِهِ العَبدُ نفسَهُ مِنَ الشيطانِ الرَّجيمِ، فإنه يَتَسلَّطُ عَلَى الذينَ لا يَذكرونَ اللهَ تعالى، ويُشارِكُهُمْ في طَعامِهِمْ وشَرَابِهِمْ ومَبِيتِهِمْ دَاخِلَ مَنَازِلِهِمْ فيَزرعُ، بَلْ إنَّهُ يُشارِكُهُمْ في جِماعِ زَوْجَاتِهِمْ، قالَ تعالى: (وَمَن يَّعْشُ) يعني: يُعرضُ (عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ)[3]، وفي الحديث: «وَآمُرُكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ كَثِيراً، وإنَّ مَثَلَ ذلكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُوُّ سِرَاعاً في أَثَرِهِ، فأَتَى حِصْناً حَصِيناً فَتَحَصَّنَ فيهِ، وإنَّ الْعَبْدَ أَحْصَنُ ما يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذَا كانَ في ذِكْرِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ».رواه أحمد والترمذي.[4]

٥- يأمرنا الله تعالى بالإكثار من ذكره: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً)[5]، وقالَ في وصْفِ عِبادِهِ الْمُؤمنينَ: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ)[6]، وقد كانَ النَّبِيُّ ﷺ يَمْتَثِلُ ذلكَ، قالتْ أُمُّ الْمُؤمِنينَ عائشةُ رضي الله عنها: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أحيانِهِ».رواه مسلم[7]، ولنَا فيهِ ﷺ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ، والإكْثارُ مِن ذِكر الله تعالى دليلُ الْمَحَبَّةِ؛ فإنَّ مَنْ أحَبَّ شَيْئًا أكثرَ مِن ذِكرِهِ.

---

(١) حلية الأولياء ٣٣/٢ .

(٢) حلية الأولياء ١٧٨/٦.

(٣) سورة الزخرف آية ٣٦.

(٤) رواه أحمد ٢٠٢،١٣٠/٤، والترمذي في كتاب الأمثال، بَاب ما جاء في مَثَلِ الصَّلاةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ ١٤٨/٥(٢٨٦٣)، وقال: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، وصححه ابن خزيمة ١٩٥/٣(١٨٩٥)، وابن حبان ١٢٤/١٤(٦٢٣٣)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ٥٨٢/١، وصححه ابن القيم في إعلام الموقعين ٢٣١/١، والألباني في صحيح الجامع (١٧٢٤) وصحيح الترغيب والترهيب(٥٥٢).

(٥) سورة الأحزاب آية٤١.

(٦) سورة آل عمران آية ١٩١.

(٧) رواه مسلم في كتاب الحيض، باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها ٢٨٢/١ (٣٧٣).

الأَدَبُ مَعَ النَّفْسِ

٧- عن وَهْبِ الْخَيْرِ أبي جُحَيْفَةَ وَهْبِ بنِ عبدِ اللهِ السُّوَائِيِّ ﷺ قالَ: آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أبو الدَّرْدَاءِ ليس له حَاجَةٌ في الدُّنْيَا. فَجَاءَ أبو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ له طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ فَإِنِّي صَائِمٌ. قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أبو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، فَقَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ، فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ آخِرُ اللَّيْلِ، قَالَ سَلْمَانُ: قُمِ الآنَ، قَالَ: فَصَلَّيَا. فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: «إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ». فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ سَلْمَانُ».رواه البخاري.(١)

إرشاداتُ الحديث:

١- نَفْسُ الإنسانِ هي مَطِيَّتُهُ التي يسيرُ بِها إلى عَالَمِهِ كُلِّهِ، فَتُوصِلُهُ إلى سَعادَةِ الدَّارَيْنِ، فَلِذَلِكَ يَجِبُ عليهِ الاهتِمَامُ بِهَا وَرِعَايَتُهَا وحِفْظُهَا مِنْ كُلِّ مَا يُسِيءُ إليهَا أو يُتْلِفُهَا أو يُنْقِصُ مِنْ أَهْلِيَّتِهَا، وذلك يشمل أمرين:

الأولُ: حِفْظُهَا مِنْ كُلِّ مَا يؤدِّي إلى عَذَابِها في الآخرة، ويكون ذلك بالاستقامَةِ على دِينِ الله تعالى بِفِعْلِ مَا أَمَرَ الله بِهِ وَرسُولُهُ ﷺ، واجتنابِ مَا نَهى الله عنهُ ورَسولُهُ ﷺ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾(٢).

الثاني: حِفْظُهَا مِنْ كُلِّ ما يؤذيها في الدُّنيا ويؤدِّي بها إلى واحدٍ مما يلي:

أ- التَّهْلُكَةِ الكَامِلَةِ، وذلك بقتلها قَتْلاً مُبَاشِرًا، أوبطيئًا كَمَا هو الحالُ في التَّدْخينِ وتعاطِي الْمُخَدِّرَاتِ بأنواعِهَا، قال تعالى: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾(٣).

ب- إهلاكُ جزءٍ منها، بقطعِ عضوٍ أو إتلافِهِ بأيِّ وسيلةٍ.

ت- الإضْرارُ بِهَا، أو إمْرَاضُهَا، أو تَعْرِيضُهَا لأَسْبَابِ المَرَضِ، أو التهاونُ في أسبابِ حِفْظِهَا.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، بَاب صُنْعِ الطَّعَامِ وَالتَّكَلُّفِ لِلضَّيْفِ ٥/٢٢٧٣(٥٧٨٨)، وفي كتاب الصوم، بَاب من أَقْسَمَ على أَخِيهِ لِيُفْطِرَ في التَّطَوُّعِ ولم يَرَ عليه قَضَاءً إذا كان أَوْفَقَ له ٢/٦٩٤(١٨٦٧).

(٢) سورة التحريم آية ٦.

(٣) سورة البقرة آية ١٩٥.

٢- مِنَ الواجباتِ الشرعيةِ: تَزكيةُ النفسِ، **ومعناه**: تطهيرُهَا مِنْ جميعِ الرَّذَائِلِ، وإكسابُها عُمومَ الفضائِلِ، قال تعالى: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا** ﴾[١]، ويكونُ ذلك باتِّباعها ما جاءَ بِهِ النبيُّ ﷺ مِن ربِّه جلَّ وعلا، قال تعالى: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ** ﴾[٢]، ولا تَتَزَكَّى النفسُ بغيرِ ذلك مِنَ الطُّرُقِ الْمُجَانِبَةِ لِلسُّنَّةِ مِمَّا أحدَثَهُ أهلُ البِدَعِ كالصُّوفِيَّةِ وغيرِهِمْ.

٣- تحصُلُ تَزكِيةُ النَّفْسِ على التفصيلِ بِسُلوكِ خَمْسِ مَرَاتِب:

الأولى: الْعِلْمُ، وذلكَ بمعرفةِ النَّفسِ مَا يريدهُ اللهُ منهَا فعلاً وتركًا حَتَّى تعملَ على بَيِّنَةٍ مِنَ الشرعِ، وبِقَدْرِ ما عندَ الإنسانِ مِنَ العِلْمِ بشرعِ اللهِ تعالى، وصفةِ العَمَلِ بِهِ، يكونُ مِقْدَارُ تَزكيتِهِ لنَفْسِهِ التزكيةَ الشرعيةَ، ويتجنبُ التزكيةَ البدعيةَ.

الثانيةُ: الْمُجَاهَدَةُ، وذلك بتربيةِ النفسِ على العملِ بما عَلِمَتْهُ مِمَا يريدهُ اللهُ منهَا، سواءٌ أكانَ ذلك مِن الحقوقِ التي أوجبَهَا لنَفْسِهِ، أو التي أوجَبَهَا لِبَعْضِ خَلْقِهِ.

الثالثة: المراقَبَةُ، وتشملُ ثلاثةَ أنواعٍ مِن المراقبةِ:

أ- مُراقبةُ اللهِ في أصلِ العملِ، فإذا كانَ مأمورًا بِهِ: فهلْ أتيتَ بِهِ كَمَا أمَرَكَ، وإذا كانَ مَنهيًّا عنهُ فتراقبُ اللهَ أن لاَّ تعمَلَهُ، وتَحذرُ منهُ أن يَفقدَكَ حيثُ أمَرَكَ، أو يَرَاكَ حيثُ نَهَاكَ.

ب- مُراقبةُ اللهِ في العملِ بإخلاصِهِ للهِ تعالى، فإذا كانَ مأمورًا به فتجرِّدُ العملَ للهِ وحدَهُ، وإذا كان منهيًّا عنه فتجرِّدُ التَّرْكَ للهِ وحدَهُ، وتستشعرُ أنه يراكَ في فِعلِكَ وتَركِكَ.

ت- مُراقبةُ العملِ نفسِهِ مِنْ حيثُ موافقتُهُ لشَريعَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ عَدَمِهِ، وهذا مَا يُسَمَّى بـ: (توحيد المتابعة).

الرابعةُ: المحاسبةُ، وذلك بسؤالِ النفسِ هل قامتْ بالعملِ؟ وإذا قامتْ به، هل كانَ للهِ؟ وإذا كانَ للهِ، فهلْ هو موافق لشريعةِ محمدٍ ﷺ؟ وإذا كانَ موافقًا فهل أتتْ به على أكمل الوجوه؟ وهكذا فيما فُعِيَتْ عنه: هلْ تَرَكَتْهُ؟ وهل كان التَّركُ للهِ تعالى؟ وهل كان التَّركُ كاملا؟

الخامسةُ: التوبةُ والإنابةُ، وتكون بعد المحاسَبةِ، وتشملُ: التوبةَ الواجبةَ مِنَ التَّقصيرِ في الواجباتِ وفِعلِ المحرماتِ، والتوبةَ المستحبةَ مِنَ التَّقصيرِ في المستحباتِ وفِعلِ المكروهاتِ.

٤- النفسُ على ثلاثِ درجاتٍ، بيانُها فيما يلي:

---

(١) سورة الشمس آية ٩.

(٢) سورة الجمعة آية ٢.

الدَّرَجَةُ الأُولَى: النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، وهي التي وصلتْ أعلى درجاتِ الكمالِ، فَرَضِيتْ بالله تعالى وبِشَرْعِهِ فَلَمْ تَعْتَرِضْ عَليهِ، وَرَضيتْ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ فَسَلَّمَتْ لَهُ، واطْمَأَنَّتْ بِفِعْلِ الطَّاعَاتِ وهي راضيةٌ شَاكِرةٌ، وبتركِ المنكَرَاتِ وهي مُنْقَادَةٌ مُسْتَسْلِمَةٌ.

الدَّرَجَةُ الثانيةُ: النَّفْسُ اللَّوامَةُ، وهي التي تَلومُ صاحبَهَا على التقصيرِ في الْمَأمورات، وعلى الإتيانِ بالْمَنهيَّاتِ، وتُزيِّنُ له فعلَ الخيراتِ وتركَ المنكراتِ.

الدَّرَجَةُ الثالثةُ: النَّفْسُ الأمَّارةُ بالسُّوءِ، وهي التي تأمُرُ صَاحبَها بالسُّوءِ، وتُزَيِّنُهُ لَهُ، وتُسَهِّلُ عليهِ الإقدامَ عليهِ، وتُكَرِّهُ لَهُ فِعْلَ الخيرِ وتَنْهَاهُ عَنهُ، وتُثَقِّلُهُ عليهِ، وتُوصِدُ أبوابَهُ دونَهُ.

فليحرص المؤمن على تربية نفسه ليوصلها إلى أكمل الدرجات.

٥- مِن أعظمِ حقوقِ الإنسانِ على نفسِهِ أنْ يقيَهَا عذابَ الله تعالى في الدنيا والآخرةِ، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)(١)، وإنما تحصُلُ وقايةُ النفسِ من النَّارِ بتقوى الله تعالى، بفعلِ ما أمَرَ بِهِ، واجتنابِ ما نَهَى عنهُ.

٦- على المسلمِ أن يَرْفُقَ بنفسِهِ ويتَجَنَّبَ إرهَاقَهَا بأي أمْرٍ من أمورِ الدِّين أو الدُّنْيَا، ومن ذلك:

أ- تكليفُها ما لا تطيقُ مِن العبادَةِ، والإثقالُ عليها بالكثيرِ من نوافلِ الصَّلاةِ أو الصيامِ وغيرها.

ب- الإقلالُ من النومِ بحيثُ يجهد نفسَهُ ويُضِرُّ بِها.

ث- إثقالُها بالديونِ مِن غيرِ حاجةٍ ماسَّةٍ إلى ذلك، بل لِمُجرَّدِ التوسُّعِ الذي لا حَاجَةَ لَهُ، أو السفر للنُّزْهَةِ، أو لِمُجرَّد ضغطِ الزوجةِ والأولادِ، مَعَ العَجْزِ عن سَدَادِهِ في وقتٍ قريبٍ.

٧- مِن أشدِّ آفاتِ النفسِ: التعالي بها ورؤيتها فوقَ الآخرينَ، والْكِبْرُ والْغُرورُ والْعُجْبُ، واحتقارُ الناس وردُّ الحقِّ الذي معَهم، وحُبُّ الشُّهْرَةِ والسعيُ إليهَا، فَمِنْ حَقِّ النفسِ على صاحِبِهَا تَجنيبُها هذه الآفاتِ الْمُرْدِيَةِ، والحذرُ مِنَ الانزلاقِ فيها.

٨- بيَّن الإسلامُ حقيقةَ الحياةِ الدنيا بالنسبةِ للإنسانِ فمَا هي إلا دارُ مُرورٍ لا استقرَارٍ، فعلى المسلمِ أن يَتنَبَّهَ لهذا فَلاَ يتَّخِذهَا دارَ قَرَارٍ فَيَرْكَنَ إليها وينسى الدارَ الحقيقيَّةَ، وبذلك يُضِرُّ بِنَفْسِهِ،

(١) سورة التحريم آية ٦ .

ويخسرُ آخرتَهُ، قال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[1]، وقالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ».رواه البخاري.[2]

٩- ينبغي للمسلمِ أن يخالطَ الناسَ في الأوقاتِ المعتادَةِ، ويدعوَهم ويعلِّمَهُم ويتعلَّمَ مِنهم، ويصبرَ على أذَاهم إنْ وُجِدَ، كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يفعلُ وأصحَابُهُ ﷺ، وإنما تُشرَعُ العُزْلَةُ في حَالاَتٍ خَاصَّةٍ، مثل: حالِ انتشارِ الفَسَادُ وكَثرَةِ الفِتَنُ معَ عْجَزِ الإنسانِ عن التَّغْيِيرِ، وحالِ خَوفِ الإنسانِ على نفسِهِ مِنَ الفِتْنَةِ بالمخالطة، ويشرعُ اعتزالُ مَن يحصلُ بمخالطتهِ الأذى في الدِّينِ أو الدُّنيا.

١٠- على المسلم أن يكون حريصًا على كلِّ ما من شأنِهِ نَفْعُهُ وفائِدَتُهُ، ومن ذلك:

أ- تنميةُ إيمانه وتقويتُهُ، وتجنبُ ما من شأنه أن يُضعفَهُ.

ب- أن يكونَ له نصيبٌ من العِلم النافع، وهو علمُ الكتابِ والسُّنةِ.

ت- أن يكونَ مشَارِكًا بما يمكنه في الدعوةِ إلى الله تعالى والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ.

ث- تكوينُ أسرةٍ صالحة، يحرصُ عليها ويحوطُها بنصحِهِ وتربيتِهِ.

ج- أن يكون حريصًا على إصلاحِ قلبِهِ وتزكيتِهِ.

ح- أن يكون حريصًا على تهذيبِ أخلاقِهِ وتنميتِها.

خ- أن يكون حريصًا على إنقاذِ الآخرينَ من النَّار، وأولاهُمْ بذلك: أبواهُ، وأولادُهُ، وزوجُهُ، وإخوانُهُ، وأقاربُهُ، وجيرانُهُ.

د- التَّخَفُّفُ مِن حقوقِ الناس وتركُ ظُلمِهِمْ.

١١- مِن حقِّ النَّفْسِ على صاحبِهَا أن يعطيَها ما تريدُه وتشتهيهِ مِن المباحِ من غيرِ إسرافٍ، ولا ينبغي حِرمانُ النفسِ من ذلك كما يقعُ مِن بعضِ العُبَّاد والصُّوفِيَّةِ[3]، ومن ذلك:

أ- إعطاؤُها مَا تشتهيه مِنَ الطعامِ والشرابِ المباحينِ، فعن عَائِشَةَ رضي الله عنها «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُسْتَقَى لَهُ الْمَاءُ الْعَذْبُ مِنْ بُيُوتِ السُّقْيَا».رواه أحمد وأبو داود وصححه الحاكم وابن

---

(١) سورة الحديد آية ٢٠.

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» ٥/٢٣٥٨(٦٠٥٣).

(٣) وليس فيهم قدوة، إنما القدوة بالنبي ﷺ، وكثيرا ما يقع في كتب الزهد والتصوف أشياء من هذا القبيل فيجب الحذر منها، والمؤسف أن كثيرا مِنْ كُتبِ السلوك دخلها هذا النَّفَس الصوفي؛ كما يقع كثيرا في إحياء علوم الدين وغيره، وينقله عنه مَن بعده ويظنون ذلك مشروعا، وهو مضاد للشرع، فعلى المسلم الحذر من ذلك، وللإمام ابن الجوزي رحمه الله نقد جيد لذلك في كتابه (تلبيس إبليس)، فليراجعه من شاء.

حبان[1]، ويشربُ الْمَاءَ الطَّيِّبَ مِنْ بِئْرٍ بِحَدِيقَةٍ لأَبِي طَلْحَةَ ﷺ يقالُ لَها: بَيْرُحَاء[2]، وقالتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: «كَانَ النبيُّ ﷺ يُحِبُّ الْحَلْوَاءَ وَيُحِبُّ الْعَسَلَ».متفق عليه.[3]

ب- التَّجَمُّلُ ولُبْسُ الملابسِ الحسَنَةِ المتوسطَةِ النظيفةِ مِن غيرِ إسرافٍ ولا خُيلاء، فعن عبد اللَّهِ بن مَسْعُودٍ ﷺ أن رجلاً قالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. فقالَ له: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ».رواه مسلم[4].

ت- إراحةُ النَّفْسِ وإجمامُها بالخروجِ للمزارعِ والرياضِ الخضراءِ ونحو ذلك، وقد كانَ النبيُّ ﷺ وأصحابُهُ ﷺ يفعلونَ ذلك.

---

(1) رواه أحمد ٦/١٠٠، وأبو داود في كتاب الأشربة، بَاب في إِيكَاءِ الآنِيَةِ ٣/٣٤٠(٣٧٣٥)، إسحاق بن راهويه في مسنده ٢/٣١٧(٨٤١)، وصححه ابن حبان ١٢/١٤٩(٥٣٣٢)، وقال الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٤/١٥٤: صحيح على شرط مسلم، وقال الحافظ فتح الباري (٧٤/٠): سنده جيد. وبُيُوتِ السُّقْيَا: عَيْنٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ المدينةِ يَومانِ (قاله قُتَيْبَةُ أحد الرواة عند أبي داود).

(2) رواه البخاري في مواضع منها في كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب ٢/٥٣٠(١٣٩٢)، ومسلم في كتاب الزكاة، بَاب فَضْلِ النَّفَقَةِ وَالصَّدَقَةِ على الْأَقْرَبِينَ وَالزَّوْجِ وَالأَوْلادِ وَالْوَالِدَيْنِ وَلَوْ كَانُوا مُشْرِكِينَ ٢/٦٩٣(٩٩٨).

(3) رواه البخاري في كتاب الحيل، بَاب ما يُكْرَهُ من احْتِيَالِ الْمَرْأَةِ مع الزَّوْجِ وَالضَّرَائِرِ وما نَزَلَ على النبي ﷺ في ذلك ٦/٢٥٥٦(٦٥٧١)، ومسلم في كتاب الطلاق، بَاب وُجُوبِ الْكَفَّارَةِ على من حَرَّمَ امْرَأَتَهُ ولم يَنْوِ الطَّلاقَ ٢/١١٠١(١٤٧٤).

(4) رواه مسلم في كتاب الإيمان، بَاب تَحْرِيمِ الْكِبْرِ وَبَيَانِهِ ١/٩٣(٩١).

الأَدَبُ مَعَ الوَالِدَيْنِ والأَقَارِبِ

٨- عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قالَ: جاءَ رَجُلٌ إلى رَسولِ اللَّهِ ﷺ فقالَ: يا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ الناسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قالَ: «أُمُّكَ»، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ»، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ»، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ».متفق عليه(١)، وفي روايةٍ لِمُسلِم: «ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ».

إرشادات الحديث:

١- إنَّ أحقَّ الناسِ بِحُسْنِ خُلُقِكَ ولَطِيفِ صُحْبَتِكَ هُمَا: والداكَ الكريمانِ اللذانِ كَلِفَا بِكَ، وَتَعِبَا عَلَيْكَ، واجْتَهَدَا في تَربِيتِكَ، والنفقَةِ عليكَ، ومَنْ رَفَعَ اللهُ حَقَّهمْ حَتَّى جَعَلَهُ مقرونًا بِحَقِّهِ جَلَّ في عُلاهُ فقال الله تعالى: (وقضى ربُّك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا)(٢)، ورسولُ اللهِ ﷺ يؤكِّدُ هذا الْحَقَّ العظيمَ، فواجِبٌ عَلَى الأولادِ أنْ يُحْسِنوا صحْبَةَ والِدَيْهِمْ؛ لِيَنَالُوا بِذلكَ رضَا اللهِ تعالى وَجَنَّتَهُ.

٢- لقد أَمَرَ الله تعالى بحسنِ صُحبةِ الوالدينِ فقال: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾(٣)، وهذا مطابقٌ لِمَا في هذا الحديثِ مِنَ الأمرِ بِحسنِ الصُّحبةِ، ويَدخلُ في ذلكَ آدابٌ كثيرةٌ منها: أن لاَّ يَدْعُوَهُمَا بِاسْمِيهِمَا، ولا يَجلسَ قَبْلَهُمَا، ولا يَمشي أَمَامَهُمَا إلا أنْ يَتَقَدَّمَهُمَا لِيَرْفَعَ عنهُمَا أذًى، أو يَفْتَحَ لَهُمَا بَابًا، ونحوَ ذلك، وعَلَيْهِ أنْ يَخدِمَهُمَا، ويُجيبَ دَعوتَهُمَا، ويتكلمَ مَعَهُمَا بِلِينٍ ولُطْفٍ، ولا يَقطَعَ حديثَهُمَا، أو يُخَطِّئَهُمَا، وليَحْرِص الابنُ أو البنتُ عَلَى زِيَادَةِ الأُلْفَةِ بَيْنَهُ وبَيْنَ والِدَيْهِ، وذلكَ بأخْذِ رَأيِهِمَا ومُشاوَرَتِهِمَا، والإهداءِ إليهِمَا، وإسعادِهما بكلِّ مشروعٍ ومُباحٍ.

٣- مِمَّا يَدُلُّ على عِظَمِ فضلِ الوالدين: تَقديمُ حَقِّهِمَا عَلَى الْجِهادِ غيرِ الواجبِ، فعن عبدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قالَ: جاءَ رَجُلٌ إلى النَّبِيِّ ﷺ يَسْتَأْذِنُهُ في الْجِهَادِ، فقالَ: «أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟»، قالَ: نَعَمْ. قالَ: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ».متفق عليه(٤)، وفي لفظٍ لِمُسْلِم: «فَتَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ اللَّهِ؟» قالَ: نَعَمْ، قالَ: «فَارْجِعْ إلى وَالِدَيْكَ؛ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا».

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة ٥/٢٢٢٧(٥٦٢٦)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به ٤/١٩٧٤(٢٥٤٨).

(٢) سورة الإسراء آية ٢٣.

(٣) سورة لقمان آية ١٥.

(٤) رواه البخاري في كتاب الأدب، بَاب لا يُجَاهِدُ إلا بِإِذْنِ الأَبَوَيْنِ ٥/٢٢٢٧ (٥٦٢٧)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به ٤/١٩٧٥ (٢٥٤٩)، وهذا لفظه.

٤- مِنْ كبائرِ الذنوبِ التي حذَّرَ منها الإسلامُ: عُقُوقُ الوالِدَين، **والعُقوقُ**: إيذاءُ الوالِدَينِ بفعلٍ أو قَولٍ أو تَركٍ[١]، وقد روى أبو بَكْرَةَ ﷺ قالَ: كُنَّا عِنْدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ- ثَلاثًا-: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ أو قَوْلُ الزُّورِ»، وكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ.متفق عليه[٢]، **وَمِنَ العُقوقِ**: الغضبُ عليهمَا، وتركُ طَاعَتِهِمَا، والإعراضُ عن حديثِهِمَا، وَزَجْرُهُمَا والتأفُّفُ مِنْ حَاجَتِهِمَا وكلامِهِمَا، قال تعالى: (فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً). [٣]

٥- مِمَّا يجبُ على الوَلَدِ ابنًا أو بِنْتًا: الاحتسابُ على الوَالِدَيْنِ وَدَعْوَتُهُمَا بالرِّفقِ، وتَوجيهُهُمَا إلى مَا يَنْفَعُهُمَا في آخِرَتِهِمَا، وَهَذَا مِنْ أجَلِّ حقوقِهِمَا وأعظمِ البِرِّ بِهِمَا، ولَيْسَ مِن الإحسانِ أن يَرى الوَلَدُ مِنْ والِدَيهِ بُعْدًا عَنِ الله تعالى وصُدودًا عَن طَرِيقِهِ ثُمَّ لاَ يَهْتمُّ بذلك ولا يبالي بِهِ، ولكنْ يجبُ عليهِ أنْ يَتَحَرَّى في النُّصحِ أرْفَقَهُ وأَرَقَّهُ حَتَّى لا يَقَعَ في العُقوقِ المنهيِّ عنهُ، قالَ الإمامُ أحمدُ رحمه الله تعالى: إذا رَأى أبَاهُ عَلَى أمْرٍ يَكْرَهُهُ، يُعَلِّمُهُ بغيرِ عُنفٍ، ولا إساءَةٍ، ولا يُغْلِظُ لَه في الكلامِ، وإلاَّ تَرَكَهُ، وليسَ كَالأَجْنَبِيِّ.اهـ[٤]، وهكذا ينبغي الاهتمام بالأقاربِ مِنَ الإخْوةِ والأخواتِ، والأعمَامِ والعمَّاتِ، والأخوالِ والخالاتِ.

٦- دَلَّ الحديثُ على تفضيلِ الأمِّ في الْبِرِّ على الأبِ، وهذا يدلُّ على استحقاقِهَا لأكبرِ الْبِرِّ مِنَ الولَدِ[٥] فيكونُ عطفُهُ عليهَا وتَلَطُّفُهُ بِهَا وإحسانُهُ إليهَا أعظمَ الإحسانِ، ولو قُدِّرَ التَّعَارُضُ في بعضِ الأحوالِ بينَ بِرِّ أحَدِ الوَالِدَيْنِ وتساويَا في الحقِّ، ولَمْ يُمكنهُ الجمعُ فإنَّ الأمَّ تُقَدَّمُ في الْبِرِّ، ومثال ذلك:

أ- إذا توفي والِدَاهُ ولَمْ يَحُجَّا حَجَّةَ الإسلامِ، وقدْ وَجَبَتْ عَلَيهِمَا، وأرادَ أنْ يَحُجَّ عنهُمَا فيُقَدِّمُ الْحَجَّ عن الأُمِّ ثُمَّ الأبِ.

ب- إذا كانَ على والدَيْهِ دَيْنٌ ولا يَتَمَكَّنُ مِن قضاءِ جميعِهِ فإنَّ دَيْنَ الأُمِّ مُقَدَّمٌ عَلَى دَيْنِ الأَبِ.

٧- مِنْ بِرِّ الوالِدَيْنِ طَاعَتُهُمَا فيما يأمرانِ به، أوينهيانِ عنه، وهي واجبةٌ بثلاثةِ شروطٍ:

---

(١) إلاَّ أنْ يكونَ ذلكَ لِمُسَوِّغٍ شرعيٍّ، فعندها لا يكون عُقوقاً، كَمَا لو أَمَرَ الوالدانِ بفعلٍ معصيةٍ، أو تركِ فريضةٍ.

(٢) رواه البخاري في كتاب الشهادات، بَاب ما قِيلَ في شَهَادَةِ الزُّورِ ٢/٩٣٩(٢٥١١)، ومسلم في كتاب الإيمان، بَاب بَيَانِ الْكَبَائِرِ وَأَكْبَرِهَا ١/٩١(٨٧)، وهذا لفظه.

(٣) سورة الإسراء آية ٢٣.

(٤) الآداب الشرعية ١/٤٤٩.

(٥) الولد هنا وفي اللغة يشمل الذكر والأنثى.

الأول: أن تكونَ في غيرِ معصيةِ الله تعالى فإنهُ لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالقِ، والوالدانِ يحرمُ عليهمَا أمرُ ولدِهما بالحرامِ، ولو أمَرَاهُ حَرُمَ عليهِ الاستجابةُ لَهمَا، ويَرُدُّ أمْرَهُمَا بِلطْفٍ ورِفْقٍ قَدْرَ مَا يمكِنُهُ.

مِثَالُهُ: أَمْرُ الأبِ وَلَدَهُ بِحلقِ لِحيتِهِ أو شُربِ الخمرِ أو التدخينِ، وأمْرُ البنتِ بتركِ الحجابِ، أو الاختلاطِ بالرِّجالِ الأجانبِ في الحفلات ونحوها.

الثاني: أن يكون مستطيعًا لذلك، فلا يجبُ على الوَلَدِ طَاعَتُهُمَا فيما يعجَزُ عنه، أو يشقُّ عليه مشقَّةً بالغَةً، كما لا يجوزُ لهما أمرُهُ بذلك، والاستطاعةُ في جميع الواجباتِ قاعدةٌ شرعيةٌ كبيرةٌ، دلَّتْ عليها أدلة كثيرة مِنَ الكتابِ والسنةِ.

مِثَالُهُ: أمْرُ الوَلَدِ بتوفيرِ مَسْكَنٍ خَاصٍّ بِهما وهو يعجَزُ عنه، أو شِراءِ سيارةٍ لَهما وهو يعجَزُ عن ثَمَنِهَا.

الثالث: عدَمُ تَرَتُّبِ ضَرَرٍ مُحقَّقٍ على الوَلَدِ في ذلك، ونفيُ الضَّرَرِ قاعدةٌ شرعيةٌ دلَّت عليها أدلةٌ كثيرة مِنَ الكتابِ والسنةِ، من أجمعِها قولُه ﷺ: «لا ضَرَرَ، ولا ضِرَارٌ».رواه الحاكم والبيهقي والدارقطني، وحسّنه النووي وابنُ الصلاح.(١)

مِثَالُهُ: إذا أَمَرَهُ الوالدانِ بتطليقِ زوجَتِهِ مِن غير رِيبة، أو تركِ وظيفَتِهِ مِن غير سببٍ وجيهٍ، أو أَمَرَا البِنْتَ بتركِ زوجِها وعصيانِهِ، فلا تجبُ طاعتُهُمَا في هذه الأحوالِ، ولكنْ يُتَرَفَّقُ في رَدِّ أَمْرِهِمَا بِلُطْفٍ.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٥٨، والبيهقي ٦٩/٦، والدارقطني ٧٧/٢ من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، وأخرجه أحمد ٣١٣/١، وابن ماجه ٧٨٤/٢ (٢٣٤١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه أيضا أحمد ٣٢٦/٥، وابن ماجه ٧٨٤/٢(٢٣٤٠) من حديث عبادة بن الصامت ﷺ، كما جاء من حديث غيرهم ﷺ ، وأخرجه مالك في الموطأ ١١٥/٢ عن عمرو بن يحيى عن أبيه مرسلا، وله طرق يتقوى بها، ولذلك قال النووي في الحديث الثاني والثلاثين من الأربعين: حديث حسن له طرق يقوي بعضها بعضا، وحسنه ابن الصلاح (خلاصة البدر المنير ٤٣٨/٢، وجامع العلوم والحكم ٣٠٤/١)، وقال العلائي: للحديث شواهد تنتهي بمجموعها إلى درجة الصحة أو الحسن المحتج به (فيض القدير للمناوي ٤٣٢/٦)، وقال الحاكم في المستدرك ٦٦/٢:حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه، وصححه الألباني (صحيح الجامع (٧٣٩٣)، وإرواء الغليل (٨٨٨)، والسلسلة الصحيحة(٢٥٠).

الأَدَبُ مَعَ الأولاَدِ

٩- عن عبدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ العاصِ رضي الله عنهما أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «مُرُوا أولادَكُمْ بالصَّلاةِ وَهُمْ أبناءُ سبعِ سِنينَ، واضْرِبُوهمْ علَيْها وَهُمْ أبناءُ عَشْرٍ، وفَرِّقوا بَيْنَهم في الْمَضَاجِعِ».رواه أحمد وأبو داود وهو صحيح.(١)

إرشادات الحديث

١- المحافظةُ على النسلِ ضرورةٌ مِن الضروراتِ الخمسِ التي دَعَتِ الأديانُ السماويةُ للمحافظةِ عليهَا، فلذلك رغَّبَ الشرعُ في النسلِ وحرصَ على تكثيرِهِ، فصارَ فعلُ أسبابِ إيجادِهِ عبادةً يتقربُ بها المسلمُ إلى الله تعالى، وقطْعُ أسبابِ النسلِ محرَّم لا يجوزُ فعلُهُ، قال تعالى: ﴿فَٱلْـَٰٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾(٢) يعني: مِن الوَلَدِ، وقالَ ﷺ: «تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ، إنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأَنْبِيَاءَ يَومَ الْقِيَامَةِ».رواه أحمد وصححه ابن حبان.(٣)

٢- تربيةُ الأولادِ على شرائعِ الإسلامِ مِن أهمِّ الواجباتِ، وهو في يومِنَا هذا أشَدُّ وجوبًا بسببِ كثرةِ أسبابِ الغوايةِ وأساليبِ الإضلالِ، حتَّى أصبحَ الطفلُ يتعلمُ الفسادَ مِن أقربِ أقاربِهِ، فلذلك كانت مسؤوليةُ التربيةِ اليومَ مِنْ أعظمِ المسؤوليَّاتِ المنوطةِ بالآباءِ والأمهاتِ.

٣- إن أوَّلَ نقطةٍ ننطلقُ منها في تربيةِ أولادِنا أن نُصحِّحَ خَطأً تربويًّا شائعًا بين الناسِ اليومَ، وهو: قَصْرُ مَفهومِ التربيةِ عَلَى توفيرِ السكنِ والطعامِ واللباسِ(٤)، ونِسيانِ المعنى الحقيقيِّ للتَّربيةِ، وقَدْ بيَّن الله لنَا مَا يجبُ علينا تُجاهَ أهلينَا ومنهمْ أولادُنا في آية من كتابه الكريم يَحسُن أن نَصِفَهَا بـ: (آيةِ

---

(١) رواه أحمد ٢/١٨٠،١٨٧، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة ١/١٣٣(٤٩٥) وهذا لفظه، وصححه الحاكم في المستدرك ١/١٩٧، وحسن إسناده النووي في رياض الصالحين ص٩٥، وصححه الألباني في إرواء الغليل ١/٢٦٦(٢٤٧) وصحيح أبي داود (٤٦٦)، ورواه بنحوه الترمذي في أبواب الصلاة، باب ما جاء متى يؤمر الصبي بالصلاة ٢/٢٥٩(٤٠٧)، والدارمي١/٣٩٣(١٤٣١) من حديث سَبْرَةَ بن مَعْبَدٍ الْجُهَنِيِّ ﷺ وقال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، ورواه البيهقي في الخلافيات من حديث سبرة وقال: إسناده صحيح (تخريج الأحاديث والآثار في تفسير الكشاف للزيلعي ١/٢٨٣).

(٢) سورة البقرة آية ١٨٧.

(٣) رواه أحمد ٣/٢٤٥، ١٥٨، وسعيد بن منصور في سننه (١) ١/١٦٤(٤٩٠)، والبيهقي في السنن الكبرى ٧/٨١ ، والطبراني في المعجم الأوسط ٥/٢٠٧، وصححه ابن حبان ٩/٣٣٨(٤٠٢٨)، والضياء في الأحاديث المختارة ٥/ ٢٦٠-٢٦١(١٨٨٨) (١٨٨٩) (١٨٩٠)، وصححه أيضا الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٩/١١١، والألباني في إرواء الغليل ٦/١٩٥(١٧٨٤)، وقال الهيثمي (مجمع الزوائد ٤/٢٥٨): إسناده حسن.

(٤) هذه الأشياء المذكورة ما هي إلا جزء يسير من الواجب، وهو ما يسمى في الفقه الشرعي: النفقة.

التربيةِ) ، وهي قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ)[1]، فحقيقةُ مُهمَّتِنا: أن نُنْقِذَ أولادَنا مِنَ النَّارِ، ولا يتحقَّقُ هذا إلاَّ بِتربيتهم التربيةَ الصحيحةَ.

٤- إنَّ الاهتمامَ بصلاحِ الأولادِ أمرٌ مطلوبٌ شرعًا، ولقد جَعَلَهُ الله تعالى وصفًا مِنْ أوصافِ المؤمنينَ الصادقينَ حينَ قال: (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً)[2]، فمِن اهتمامِهم بِهِ صَاروا يسألونَ الله تعالى صلاحَ ذُرِّيَّاتِهِمْ، وأن يُخرِجَ مِن أصلابِهم من يُطيعُه ويَعبُدُهُ وحدَهُ لا شريكَ له، قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: يعنونَ مَن يعملُ بطاعةِ الله فتَقَرُّ بِهِ أعينُهُم في الدُّنيا والآخرةِ. وقالَ عِكرمةُ: أرادُوا أنْ يكونوا مُطيعينَ. وقال ابنُ جُرَيْجٍ: يعبدونكَ فيحسنونَ عِبادَتَكَ ولا يَجُرُّون علينَا الجرائِرَ.[3]

٥- يبْدَأُ الاهتمامُ بتربيةِ الوَلَدِ قبلَ وجودِهِ بكثيرٍ، وذلك حينَ الإقدامِ على الزواجِ، ولذلك قال ﷺ: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ».متفق عليه[4]، وذلك لأنَّ الجزءَ الأكبرَ مِنْ تربيةِ الأولادِ يقعُ على الأُمِّ، فإذَا كانتْ ذَاتَ دِينٍ كَفَتْكَ أعظَمَ المؤُونَةِ، وإنْ كانَتْ غيرَ ذلكَ أتعبَتْ وأفسَدَتْ.

٦- يأمُرُ النَّبِيُّ ﷺ الآباءَ أنْ يأمُرُوا أولادَهُمْ بالصَّلاةِ ويحثُّوهُمْ على فِعلِهَا، ويربُّوهمْ عَلَى المحافظةِ عَلَى أدائِهَا، وذلكَ لأنَّهم المسؤولونَ عنهم ماداموا تَحْتَ أيديهِمْ، فأمْرُهُم هذا واجبٌ بِسَبَبِ وِلايتِهِمْ عليهِمْ، وقد قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وهو مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ».رواه البخاري[5]، والأمُّ أيضا داخلةٌ في هذا الأمرِ بحكم رعايتها لأولادِها، ففي الحديث السابق: «وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا ومَسْؤُولةٌ عن رَعِيَّتِهَا».

---

(1) سورة التحريم آية ٦ .

(2) سورة الفرقان آية٧٤.

(3) ينظر في هذه الآثار: تفسير ابن كثير ٣/٣٣٠.

(4) رواه البخاري في كتاب النكاح، بَاب الأَكْفَاءِ فِي الدِّينِ ٥/١٩٥٨(٤٨٠٢)، ومسلم في كتاب الرضاع، بَاب اسْتِحْبَابِ نِكَاحِ ذَاتِ الدِّينِ ٢/١٠٨٦(١٤٦٦).

(5) رواه البخاري في كتاب الجمعة، بَاب الْجُمُعَةِ فِي الْقُرَى وَالْمُدُنِ ١/٣٠٤(٨٥٣).

٧- يشملُ الحديثُ الأمرَ بجميعِ الصلواتِ المفروضةِ بِمَا فيها صلاةُ الفجرِ، ومثلُه قولُ الله تعالى: (وأمر أهلك بالصلاة)[١]، فلا يجوزُ للوالدينِ التساهلُ في إيقاظ أولادِهم بنينَ وبناتٍ لصلاةِ الفجرِ مُنذُ تمامِ سِنِّ السابعةِ، وهذه هي رحمتهم الحقيقية.

٨- المحافظة على الصلاة والتربية عليها مُحتاج إلى التحلِّي بالصبرِ، ولهذا قال تعالى: (وامُرْ أهلك بالصلاة واصطبر عليها)[٢]، حيث أخبَرَ الله تعالى أنهُ لا بدَّ للمُحافظةِ عَلَى الصلاة مِنَ الاصْطِبَارِ، وهو أجلُّ وأرفَعُ مِنْ مُجَرَّدِ الصَّبْرِ، قال القُشَيريُّ رحمه الله: الاصْطِبَارُ: نِهَايَةُ الصَّبْرِ[٣]، وقال ابنُ عطاء رحمه الله: أشدُّ أنواعِ الصبرِ الاصْطِبَارُ[٤]، وقالَ ابنُ القيِّمِ رحمه الله ما مُلَخَّصُهُ: الاصْطِبَارُ افتعالٌ مِنَ الصَّبْرِ، وهو مُشعِرٌ بزيادةِ الْمعنى عَلَى الصبرِ، كأنه صارَ سَجِيَّةً ومَلَكَةً، وهو أبلغُ مِنَ الصَّبْرِ وأقوى.اهـ[٥]

٩- التربيةُ بالقدوةِ مِن أعظمِ وسائلِ التربيةِ، فإن الطفلَ ينشأُ على الْمَحَاكَاةِ والتقليدِ، فهو يَتَكَلَّمُ بِالْمُحَاكَاةِ، ويتحرَّك بِالْمُحَاكَاةِ، ويحكُمُ على الأشياءِ بِالْمُحَاكَاةِ، فلذلك كان للقدوةِ أهميَّةٌ عظيمةٌ في مراحلِ الطفلِ الأولى مِن حياتِهِ، وهو يحاكي والديهِ وإخوانَهُ وغيرَهم، فالواجبُ على الوالدين أن يَمنحوهُ فرصةً لِلمحَاكاةِ الصَّالِحَةِ، وما اقتدى بهم فيه من عمل صالح فلهم مثل أجره أو سيء فعليهم مثل وزره.

١٠- يجبُ الحذرُ مِن ظُلمِ الأولادِ أو غِشِّهم، وله صورٌ منها:

أ- تركُ تربيتِهِمْ وإصلاحهم، وإهمالُهم لمن يرَبِّيهِمْ على المنكَرِ.

ب- التشديدُ عليهم وتَحميلُهُمْ مالا يُطيقونَ.

ت- أخذُ حقوقِهِمْ وأكلُ أموالِهِمْ بغير وجهِ حقٍّ.

ث- نَهيُهِمْ عن المعروفِ وتَرْكُ دَلالَتِهِمْ عليهِ، وأمرُهُمْ بالمنكَرِ ودلالتُهم عليه.

ج- جلبُ الفِتَنِ الصَّادَّةِ لهم عن طاعةِ الله تعالى والمبعدةِ عن سبيلِهِ.

---

(١) سورة طه آية ١٣٢ .

(٢) سورة طه آية ١٣٢.

(٣) عن تفسير الثعالبي ١٥/٣.

(٤) تفسير السلمي ٤٥٤/١.

(٥) مجموع من كتابيه: طريق الهجرتين ٤٠٧/١، وعدة الصابرين ص١٣باختصار وتصرف يسير، وانظر أيضا: البرهان في علوم القرآن للسخاوي ٣٤/٣، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢٣٧/٢.

أَدَبُ التَّعَامُلِ مَعَ الْحُكَّامِ

١٠- عن عبدِ اللَّهِ بن عُمَرَ رضي الله عنهما أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ: «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، ما لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فإذا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فلا سَمْعَ ولا طَاعَةَ».متفق عليه.(١)

إرشاداتُ الحديث:

١- وليُّ الأمْرِ هو كُلُّ مَن جَعَلَ اللهُ تعالى لَهُ وِلايةً عَلَى مَنْ تَحْتَهُ، وعَلَى رَأْسِ هَؤلاءِ مَن يَتَوَلَّى الإمَامَةَ الْعُظْمَى عَلى الْبِلادِ مِنَ الْمُلوكِ والأُمراءِ والرُّؤسَاءِ ونحوِهم، ويَدخُلُ في وُلاةِ الأَمْرِ العُلماءُ؛ حَيْثُ يُطَاعونَ فِيمَا يَأمرونَ بِهِ مِنَ الْمَعْروفِ ويَنهَونَ عَنْهُ مِنَ الْمُنْكَرِ، وَكُلُّ مَنْ ولاَّهُ السُّلطانُ وِلاَيَةً مِنَ الْوِلاَيَاتِ فَإِنَّهُ يُطَاعُ فِيهَا بِالْمَعْرُوفِ.

٢- لَقَدْ أوجبَ اللهُ تعالى طاعةَ وُلاةِ الأَمْرِ فيمَا يَأمُرونَ بِهِ ويَنْهَوْنَ عَنْهُ، وسواءٌ أكانَ ذلكَ مِمَّا يُحِبُّهُ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ أمْ فِيمَا يَكْرَهُهُ؛ لأنَّهُ لا يُمْكِنُ أن تَسْتَقِيمَ البِلادُ، ويأمَنَ العِبَادُ مِنْ غَيْرِ طاعةِ الوُلاةِ، ولكنَّ الشَّرْعَ جَعَلَ لِهَذِهِ الطَّاعَةِ حَدًّا لا يَجُوزُ تَجَاوُزُهُ، وهو: أنْ يَكونَ ذَلكَ فِي الْمَعروفِ، فلا طاعةَ لَهُمْ في مَعْصِيَةِ اللهِ تعالى، وفي هذا تَنْبِيهٌ لأَمْرَينِ:

أَوَّلُهُمَا: عَلَى وَلِيِّ الأَمْرِ أنْ يَجْتَنِبَ الأَمْرَ بِمَعْصِيَةِ اللهِ تعالى.

وثانِيهِمَا: عَلَى النَّاسِ جَمِيعًا أن يُقَدِّموا طاعَةَ اللهِ تعالى عَلَى طاعةِ كلِّ أَحَدٍ؛ فإنَّ الأَصْلَ أنَّ طَاعَةَ الوُلاةِ مِنْ طَاعَةِ اللهِ تعالى، فلا يُتَصَوَّرُ أنْ يَكونَ مَأمُورًا بِطَاعَتِهِمْ فِيمَا يُنَاقِضُ أمْرَ اللهِ تعالى وشَريعتَه.

٣- إذا أمَرَ وليُّ الأمْرِ بِمَا فِيهِ مَعصِيةٌ لِلَّهِ تعالى فلا تَجوزُ طَاعَتُهُ فِي هَذِهِ الْمَعْصِيَةِ فَقَطْ، لا فِي مُطْلَقِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، ولا يَجُوزُ الْخُروجُ عليهِ لأجْلِ ذلك، بَلْ يُشرَعُ لِلْمُسْلِمِ مراجعتُهُ ومُنَاصَحتُهُ بالْحِكْمَةِ، كَمَا إنَّ عَلَيْهِ مُراجَعَةَ أَهْلِ الْعِلْمِ -فيمَا أشكَلَ عَلَيْهِ- لِيَعْلَمَ كونَ الشيءِ الْمَأمُورِ بِهِ مِن الْمَعَاصي أو لَيسَ كذلكَ.

٤- السمعُ والطاعةُ لِحُكَّام المسلمينَ أصلٌ عظيمٌ مِن أصولِ أهلِ السنة والجماعة، والخروجُ عليهم وقتالُهم حَرامٌ، وهو أصلٌ مِن أصولِ أهلِ البِدعِ التي فارقوا بها أهلَ السنةِ، وقد تكاثرتِ الأحاديثُ عن النبيِّ ﷺ في تثبيتِ هذا الأصلِ، ومِن ذلك: حديثُ عبد اللَّهِ بن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أن رسول

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأحكام، بَاب السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلإِمَامِ ما لم تَكُنْ مَعْصِيَةً ٦/٢٦١٢(٦٧٢٥)، ومسلم في كتاب الإمارة، بَاب وُجُوبِ طَاعَةِ الأُمَرَاءِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ وَتَحْرِيمِهَا فِي الْمَعْصِيَةِ ٣/١٤٦٩(١٨٣٩).

اللَّهِ ﷺ قالَ: «مَنْ كَرِهَ من أَمِيرِهِ شيئًا فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ؛ فإنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِن الناسِ خَرَجَ من السُّلْطَانِ شِبْرًا فَمَاتَ عليه إلا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً».متفق عليه.(١)

٥- لا تقومُ للناسِ قائمةٌ ولا تَنْتَظِمُ لهم كلمةٌ إلا بالاجتماعِ ونَبْذِ الفُرقةِ، ولهذا يدعو الإسلامُ دائمًا للاجتماعِ ونَبْذِ الفُرقةِ، ويحذِّرُ مِن شَقِّ عَصَا الْمُسلمينَ وتفريقِ كَلمتهم، فواجبٌ على كلِّ مسلمٍ لزومُ جماعةِ المسلمينَ، والحذرُ مِن مجانَبَتِهَا، قال تعالى: (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ) (٢).

٦- الخروجُ على جماعةِ المسلمينَ وحُكَّامِهِم له آثارٌ سيئةٌ على المجتمع؛ مِن أهمِّها:

أ- تفرُّقُ الكلمةِ وانشقاقُ الصَّفِّ.

ب- تسلُّطُ الأعداءِ.

ت- انتشارُ الفِتَنِ.

ث- ضعفُ الأمْنِ والطُّمأنينة، وانقلابُها إلى خوفٍ وفَزَع.

ج- انتشارُ الجرائم بأنواعِها.

٧- مَن نَصَحَ أئمةِ المسلمينَ ولزمَ جماعتَهمْ فقد برئَ مِن الْغِلِّ والغِشِّ؛ لأنه يحبُّ لهمْ مَا يحبُّ لنفسِهِ ويكرهُ لهم مَا يكرهُ لَهَا، قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلاثٌ لا يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُؤْمِنٍ: إِخْلاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِوُلاةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ؛ فإنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِن وَرَائِهِمْ».رواه أحمد وابن ماجه والدارمي(٣)، وأمَّا مَنِ انحازَ عنهم واشتغلَ بِعَيْبِهِمْ كأهلِ البِدَعِ مِنَ الخوارجِ والمعتَزِلَةِ والرَّوَافِضِ؛ فإنَّ قلوبَهم مُمْتَلِئَةً غِلاًّ على المسلمينَ وغِشًّا لهم، وهُمْ أعوانٌ لكلِّ عدوٍّ، ومتى تَمَكَّنوا مِن أهلِ السنةِ نالوا منهمْ وأظهروا دَفَائِنَهُمْ.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الفتن، بَاب قَوْلِ النبي ﷺ: «سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا» ٢٥٨٨/٦(٦٦٤٥)، ومسلم في كتاب الإمارة، بَاب وُجُوبِ مُلازَمَةِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ وفي كل حَالٍ وَتَحْرِيمِ الْخُرُوجِ على الطَّاعَةِ وَمُفَارَقَةِ الْجَمَاعَةِ ١٤٧٧/٣(١٨٤٩).

(٢) سورة آل عمران آية ١٠٣.

(٣) رواه أحمد ٨٢/٤، وابن ماجه في كتاب المناسك، بَاب الْخُطْبَةِ يوم النَّحْرِ ١٠١٥/٢(٣٠٥٦) وهذا لفظه، والدارمي في المقدمة، بَاب الاقْتِدَاءِ بِالْعُلَمَاءِ ٨٦/١(٢٢٧)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ١٦٢/١وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين،وقال المنذري في الترغيب والترهيب ٦٢/١: إسناده حسن، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٩٢).

أَدَبُ التَّعَامُلِ مَعَ النَّاسِ

١١- عن عبدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ العاصِ رضي الله عنهما قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عن النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ؛ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وهو يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إلى الناسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إليهِ».رواه مسلم.(١)

إرشاداتُ الحديث:

١- هذا الحديثُ مِن جَوامعِ كَلِمِهِ ﷺ(٢)، فقد وَضَعَ فيه النبيُّ ﷺ قاعدةً مُهمَّةً في التعاملِ بينَ الناسِ، وهي: (أن الإنسانَ ينبغي لَهُ أن لاَّ يفعلَ مع الناسِ إلاَّ ما يُحِبُّ أن يفعلوه مَعَهُ)، وهذا يدعونا إلى التعاملِ معَ الناسِ كَمَا نُحِبُّ أن يتعاملوا بِهِ مَعَنَا في جميعِ التعاملاتِ، وكلِّ الأحوالِ، **وخُلاَصَةُ هذه القاعدة:** ضَعْ نَفْسَكَ في أيِّ مَوقفٍ، ثم انظرْ ماذا تُحبُّ أن يُفعلَ معكَ، فافعلهُ مَعَ غيرِك في الموقفِ نَفسِهِ.

٢- تُعلِّمُنا هذهِ القاعدةُ النَّبَوِيَّةُ الشريفةُ: فعلَ جميعِ الأخلاقِ والتعاملاتِ الحسَنَةِ مع الناسِ، ونبذَ جميعِ الأخلاقِ والتعاملاتِ السيئةِ معهم، مثلَ: ردِّ الحقوقِ مِن الأماناتِ والعَوارِي والدُّيونِ إلى أهلِهَا، وتركَ الكذبِ والْخِيانةِ، وغير ذلك، ولو عَمِلَ الناسُ بهذهِ القاعدةِ الْجَليلةِ لَمْ يُؤذِ بعضُهم بعضًا بِغِشٍّ أو كَذِبٍ أو غيرِ ذلكَ، ولَمْ تَتَعَطَّلْ مَصالِحُهُم الدِّينيةُ ولا الدُّنيويةُ.

٣- دلَّ الحديثُ عَلَى أن مِن أسبابِ دخولِ الْجَنَّةِ: حُسنُ الْخُلُقِ، وإشاعةُ الْمَحَبَّةِ والأُلفةِ بينَ الْمُسلمينَ، وذلكَ بوضع هذهِ القاعدةِ العظيمة في التعاملِ، وهي قوله ﷺ: «وَلْيَأْتِ إلى الناسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إلَيهِ» فإن مَن أتى للناسِ ما يُحِبُّ أن يفعلوه معه؛ لم يعاملْهُمْ إلا بالْمَحَبَّةِ وحُسْنِ الْخُلُقِ.

٤- مِن أهمِّ ما ينبغي أن يسلكَه المسلمُ في تعاملهِ مع الناسِ: طِيبُ الكلامِ وحُسنُ الحديثِ، وقد أمر الله تعالى بذلك فقال: ﴿**وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾(٣)، وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ:

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول ٣/١٤٧٢(١٨٤٤)، ومعنى قوله:«يزحزح»: يباعد، و: «منيّته»: الموت، و:«ليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه»: ليعامل الناس بما يحب أن يعاملوه به.

(٢) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٢/٢٣٣.

(٣) سورة البقرة آية ٨٣.

«وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ».متفق عليه[1]، ولذلك أَثَرٌ كبيرٌ في إشاعةِ المحبةِ بينَ المسلمينَ، يُروى عن عليٍّ ﷺ أنه قالَ: مَن لاَنَتْ كَلِمَتُهُ، وَجَبَتْ مَحَبَّتُهُ.[2]

٥- مِنْ أحسنِ مَا يَلْقَى بهِ المسلِمُ إخوانَهُ المسلمينَ: الابتسامةُ وطَلاقَةُ الوَجْهِ، ولذلك أَثَرٌ عظيم في النفوسِ، وهكذا كانَ النبيُّ ﷺ يفعلُ، قالَ جَرِيرُ بنُ عبدِ اللَّهِ البَجَلِيُّ ﷺ: «مَا حَجَبَنِي النبيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، ولا رَآنِي إلا تَبَسَّمَ في وَجْهِي».متفق عليه[3]، قال ابن عمر رضي الله عنهما: البِرُّ شيءٌ هيّنٌ: وَجْهٌ طَلِيْقٌ، وكَلامٌ لَيِّنٌ.[4] وبعكس ذلك العُبوسِ وتقطيبُ الْجَبينِ، فلا ينبغي التعاملُ بِهِ مع المسلمينَ؛ لِمَا لَهُ مِنَ الأثَرِ السَّيِّءِ في النفوسِ، وكسرِ الخواطرِ، والتنفيرِ مِنَ الحقِّ.[5]

٦- مِن الأخلاقِ الحسَنَةِ التي ينبغي للمسلمِ التخلُّقُ بها: التواضعُ ولينُ الجانبِ، ولَه الأثَرُ الحسَنُ في إشاعَةِ المحبةِ بينَ المسلمينَ، وائتلافِ قلوبِهم، واستجابتِهِمْ لِلحَقِّ، ولهذا قالَ اللهُ تعالى لرسوله ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[6]، وبعكسِ ذلك الغِلْظَةُ والفَظَاظةُ والجفَاءُ فإنَّها مِمَّا يُنَفِّرُ مِنَ الحقِّ، ويُشيعُ العَداوَةَ والبغضاءَ بينَ المسلمينَ.

٧- قد يحصلُ من الأخِ لأخيهِ تصرُّفٌ فيهِ شَيءٌ مِنَ الخطأ أو التقصيرِ أو الجفَاءِ، فينبغي لَهُ أن يُبَادِرَ حين ذَاك بالاعتذارِ لِمنْ أسَاءَ إليه بِقَوْلٍ أو فِعْلٍ، وعَلَى الآخَرِ أنْ يُبَادِرَ بِقَبولِ العُذرِ، ويعفو ويصفحُ عن أخيهِ، وإنْ كانَ ذلكَ بمبادَرَةٍ منهُ وإن لم يعتذرْ لهُ أخوهُ فهذا مِنْ أعظمِ الشِّيَمِ ومَكَارِمِ الأخلاقِ، قال الله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[7].

---

(1) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، بَاب من أَخَذَ بِالرِّكَابِ وَنَحْوِهِ ٣/١٠٩٠(٢٨٢٧)، ومسلم في كتاب الزكاة، بَاب بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ على كل نَوْعٍ من الْمَعْرُوفِ ٢/٦٩٩(١٠٠٩).

(2) رواه الخطيب في الفقيه والمتفقه ٢/٢٣١.

(3) رواه البخاري في كتاب الأدب، بَاب التَّبَسُّمِ وَالضَّحِكِ ٥/٢٢٦٠ (٥٧٣٩)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ﷺ، بَاب من فَضَائِلِ جَرِيرِ بن عبد اللَّهِ ﷺ ٤/١٩٢٥(٢٤٧٥).

(4) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٦/٢٥٥(٨٠٥٩)، وابن عساكر في تأريخ مدينة دمشق ٣١/١٧٦، وابن أبي الدنيا في الصمت وآداب اللسان ص١٨٠(٣١٦).

(5) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٦/٢٥٧(٨٠٦٦)، وابن عساكر في تأريخ مدينة دمشق ٣٢/٤٥٨.

(6) سورة آل عمران آية ١٥٩.

(7) سورة الشورى آية ٤٠.

٨- أَهَمُّ مَقَاصِدِ الْمُسْلِمِ: النجاةُ مِن النارِ ودخولُ الْجَنَّةِ، وذلك هو الفوز الحقيقي كما قال الله تعالى: (فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ)[1]، ولِذا فإنه يتعَيَّنُ عليه السعيُ في تحصيلِ كلِّ ما يُحَقِّقُ لَهُ هذه الغايةَ العظيمةَ، وقد بَيَّنَهَا النَّبِيُّ ﷺ في هذا الحديثِ وأجملها في أمرَيْنِ عظيمين:

أَوَّلُهُمَا: الإحسانُ في التعامل مَعَ الْخَالِقِ سُبحانه وتعالى، وذلك بالإيمان بالله تعالى واليومِ الآخر، والعملِ بِمُقْتَضَى هذا الإيمانِ.

وثانِيهِمَا: الإحسانُ في التعاملِ معَ الْخَلْقِ؛ بأن يُحِبَّ الْمُسْلِمُ لأخيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، ويَكْرَهَ لَهُ مَا يكرهُ لِنَفْسِهِ.

٩- دلَّ الحديثُ عَلَى أن المسلمَ يجبُ عليهُ الحرصُ على الثَّباتِ على دِينِ الله تعالى حتَّى يأتيهِ الموتُ، وهذا يدعوهُ إلى التمسُّكِ بأسبابِ الثَّبَات، وتَجَنُّبِ أسباب الانْحِرَافِ:

- **ومِن أهمِّ أسبابِ الثَّباتِ:**

أ- التَّمَسُّكُ بِهَدْيِ الكتابِ والسنةِ اعتقادًا وقولاً وعملاً، وتجنُّبُ الْهَوى والبِدَعِ.

ب- المداومةُ على فِعْلِ الصَّالِحَاتِ، ومجانبةُ السيئاتِ.

ت- محاسبةُ النفسِ ومراجعتُها، وأَطْرُهَا على الحقِّ وإنْ كرِهَتْ.

ث- تجديدُ التوبةِ وتَكرارُها.

ج- الحرصُ على ذِكر الله تعالى بأنواعِهِ.

ح- الحرصُ على قراءةِ القرآنِ الكريمِ بتدبُّرٍ وتَفَهُّمٍ.

خ- الحرصُ على مصاحبةِ الصالحينَ ومُجالستِهِمْ، وبخاصةٍ أهلِ العِلم، ومجانبةِ أصدقاءِ السوءِ، وبخاصةٍ الكافرينَ وأهلِ البِدعِ والمنحرفينَ فِكْرِيًّا وعَقَدِيًّا وأصحابِ المعاصي الكبيرةِ.

د- طلبُ العلمِ النافعِ، وهو علمُ الشريعةِ المستمدِّ مِن الكتابِ والسنةِ وهدي السلفِ الصالحِ.

- **ومن أهم أسباب الانْحِرَافِ:**

أ- تركُ التمسُّكِ بِهَدْيِ الكتابِ والسنةِ، واتباعُ الْهَوى والبِدَعِ.

ب- فعلُ المنكراتِ، وتركُ الأعمالِ الصالحةِ.

ت- الغفلةُ عن الله وعن الدارِ الآخرةِ، وتركُ محاسبةِ النفسِ حتى تتعود على التقصيرِ عن الواجبات، وفعلِ المنكراتِ.

---

(١) سورة آل عمران آية:١٨٥.

ث- البعدُ عن ذِكرِ الله تعالى؛ فإنه يجعل الشيطانَ يتمكنُ مِنَ العبدِ ويحرِفُهُ عن طريقِ الله.

ج- الجهلُ بالشريعةِ وأحكامِهَا، والجهلُ بمداخلِ الشيطانِ.

خ- مجالسةُ أصحابِ السوءِ وأهلِ البدعِ والمنحرفينَ فِكْرِيًّا وعقديًّا وأصحابِ المعاصي الكبيرةِ، ومجانبةُ الصالحينَ وأهلِ العِلمِ.

أَدَبُ النَّصِيحَةِ

١٢- عن أبي رُقَيَّةَ تَمِيمِ بنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قال: «لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، ولأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ».رواه مسلم.(١)

إرشادات الحديث:

١- النصيحةُ كلمةٌ عظيمةٌ جامعةٌ، معناها: إرادةُ الْخَيْرِ لِلمنصوحِ؛ بإصَلاحِ حَالِهِ، وتَخْلِيصِهِ مِنَ الْخَلَلِ، وهي نقيضُ الغِشِّ والْمُخَادَعةِ، قالَ الخطَّابي رحمه الله: ليسَ في الكلامِ كلمةٌ مُفرَدَةٌ تُستوفَى بِها العِبَارَةُ عن مَعْنَى هذهِ الكَلمةِ.اهـ(٢) فَمَنْ تَحَقَّقَ مَعنَاها لَمْ يَكُنْ في قَلْبِهِ ولا قَوْلِهِ ولا عَمَلِهِ غِشٌّ لأخيهِ الْمُسلِمِ؛ إذْ أنَّ تَحْقِيقَهَا يَقتضِي مَحَبَّةَ الْخَيْرِ الكاملِ لَهُ، وكراهيةَ الشَّرِّ كلِّهِ لَهُ، فلا يَغُشّهُ في دِينِهِ، ولا في نَفْسِهِ، ولا في مَالِهِ، ولا في أهلِهِ وعِرْضِهِ.

٢- لِلنَّصيحةِ في الإسلامِ مَكانةٌ عَظيمةٌ؛ لِمَا لَهَا مِن الأثَرِ الكَبيرِ في إصلاحِ الْمُجتمعِ وتعاونِ الْمُسلمينَ فيما بينهمْ على فِعْلِ الْخَيرِ، واجتنابِ الشَّرِّ، ومما يدل على مكانتها ما يلي:

أ- أنَّ النبيَّ ﷺ عبَّرَ عنها في هذا الحديثِ بأنها الدِّينُ، وذلك لأن الدِّينَ قائمٌ على النصيحةِ في كلِّ شيءٍ.

ب- أنَّ النبيَّ ﷺ كان يبايعُ أصحابَه ﷺ على النُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، فعن جَرِيرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ﷺ قالَ: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ على إِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ».متفق عليه(٣).

ت- أنَّ النبيَّ ﷺ قَرَنَهَا في هذا الحديثِ، وحديث جرير السابق بِرُكْنَيْنِ مِن أركانِ الإسلامِ هُمَا: الصَّلاةُ والزَّكاةُ.

٣- أئمةُ المسلمينَ صِنْفانِ هُمَا(٤):

الصِّنفُ الأولُ: حُكَّامُ المسلمينَ مِنَ الخلفَاءِ والملوكِ والرؤساءِ والسَّلاطينِ والأمراءِ، وكلُّ مَن تَوَلَّى وِلايةً في موضعٍ فهو وليُّ أمرِهِ، وتتضمنُ النصيحةُ لهذا الصِّنفِ أمورًا أهَمُّها:

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، بَاب بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ١/٧٤(٥٥).

(٢) نقله النووي في شرح صحيح مسلم ٢/٣٧، والحافظ في فتح الباري ١/١٣٨.

(٣) رواه البخاري في كتاب الإيمان،بَاب قَوْلِ النبي ﷺ الدِّينُ النَّصِيحَةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ ١/٣١(٥٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، بَاب بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ١/٧٥(٥٦).

(٤) وقد تجتمع الصفتان في شخصٍ كما هو الحال في الخلفاء الراشدين ﷺ حيث جمعوا بين العِلْم والخلافة.

أ- أمْرُهُم بالمعروفِ وتَزْيِينُهُ لهم، وعدمُ السكوت عن بيان الحق لهم بِكلِّ سبيل حَسَنٍ مشروع؛ كما يفعلُ ذلك الْبِطَانَةُ الصالحةُ الناصحةُ.

ب- نَهْيُهُم عن المنكرِ وتقبيحُه لهم، وعدمُ مُداهَنَتِهم في ذلك، والْحَذَرُ مِن تَزْيِينِهِ لهم وحثِّهم عليه؛ كما يفعلُ ذلك بِطَانَةُ السُّوء.

ت- الوفاءُ بِبَيْعَتِهِمْ وتَجَنُّبُ الخروجِ عليهم، أو التحريضِ عليه وإنْ جَاروا وظَلموا.

ث- تَجَنُّبُ غِشِّهِمْ بأي وجهٍ من الوجوه، ومن ذلك: اغتيابُهم والكلامُ في أعراضهم، والطعنُ عليهم، والتنقُّصُ لهم.

ج- الدعاءُ لهم بالتوفيقِ والصَّلاح.

الصِّنفُ الثاني: العلماءُ الربَّانيُّون مِن أهل السنةِ والجماعةِ، المستمسِكُونَ بكتابِ الله تعالى وسنةِ رسولِهِ ﷺ، العاملونَ بما عندهم مِن العِلْم، وتتضمنُ النصيحةُ لهذا الصِّنفِ أمورًا أهَمُّها:

أ- مُتابعتُهم على مَا عندَهُم مِن العِلم والنصحِ، والاستجابةُ لهم فيما يأمرونَ به وينهونَ عنه مِن شريعةِ الله تعالى.

ب- حضورُ مجالسهم وطلبُ العِلم على أيديهم.

ت- عدمُ تَتَبُّعِ زلاَّتِهم وتَنَقُّصِهِم والطعنِ في أعراضهم.

ت- نُصحهم-بِكلِّ سبيل حَسَنٍ مشروع- فيما ظَهَرَ أنهم أخطأوا فيه من العِلم.

٤- يتضمنُ النصحُ لعامَّةِ المسلمينَ أمورًا أهمها:

أ- تَوجيهُهُمْ لِمَا يُهمهُمْ في أمرِ دينِهِمْ التوجيهَ العامَّ وإن لم يطلبوهُ بل وإن رفضوه وكَرِهُوهُ؛ لأن الشرع أمَرَ بذلكَ وحَثَّ عليهِ، والجاهلُ والعاصي والمقصِّرُ قد يكرَهُ النصحَ وهو نافع له كالمريض يكرهُ الدواءَ مع نفعِهِ لَهُ.

ب- تَوجيهُهُمْ عندَ تقصيرِهم بتركِ ما أَمَرَ به الشرع، أو فِعل ما نَهَى عنه الشرعُ، سواءٌ أكان ذلكَ منهم تعمُّدًا، أمْ كانَ عن جَهْلٍ بالشرعِ، ولا يُتْرَكونَ على جَهلِهِمْ فَيَسْتَمِرُّونَ على عَمَايَتِهِمْ.

ت- الحذرُ مِن غِشِّهِمْ في أنفسِهِمْ أو أموَالِهِمْ أو أعراضِهِمْ.

ث- التعاونُ معهم على البِرِّ والتَّقْوى، وتركُ مَعونَتِهِمْ عَلَى الإثم والعُدوانِ.

٥- مِنَ النصيحةِ لِلمسلِمِ: توجيهُهُ لكلِّ ما ينفعُهُ في الدنيا والآخرةِ، ومِنْ ذلك:

أ- عَقيدتُهُ: فلا يتركُهُ على الشرك أو البِدعةِ بل ينصحهُ بالْحُسْنَى.

ب- صَلاتُهُ: فإذا رآه لا يصلِّي نَصَحَهُ، وإذا كان مقصِّرا في صلاةِ الجماعةِ، أو يتركُ صلاةَ الفجرِ خاصةً، أو كان يقصِّر في بعض أركانِ الصلاة أو واجباتها؛ نَصَحَهُ بالْحُسْنَى.

ت- زكاتُهُ: فإذا رآه لا يزكِّي، أو يدفعُ الزكاة لغيرِ مَن يستحقها؛ نَصَحَهُ بالْحُسْنَى.

ث - دِرَاسَتُهُ ووظيفَتُهُ وزواجُهُ.

٦- بذلُ النصيحةِ دليلٌ على وحدةِ المسلمينَ، ومظهرٌ مِن مظاهِرِ تعاونهم وتكاتُفهم، وتطبيقٍ لما أَمَرَ اللهُ به ورسولُهُ ﷺ مِنَ التناصح، وبِها صلاحُ الناسِ وفلاحُهم، ولهذا كان السلفُ رحمهم الله تعالى يهتمُّون ببذل النصيحةِ:

أ- قال إبراهيمُ النخعيُّ رحمه الله: كانوا إذا رأوا الرجلَ لا يُحْسنُ الصلاةَ علَّموهُ.[١]

ب- وقال ميمونُ بن مِهْران رحمه الله: مثَلُ الذي يَرى الرجلَ يسيء صلاتَه فلا ينهاه؛ كمَثَلِ الذي يَرى النائمَ تنهشهُ الحيَّةُ ثم لا يوقظُهُ.[٢]

٧- مِن شروطِ الناصحِ الآمرِ بالمعروفِ والناهي عن المنكرِ: أن يكون عنده عِلْمٌ شرعيٌّ بأنَّ ما يأمرُ به مِن المعروفِ، وأنَّ مَا ينهى عنه مِن المنكرِ، ولا يجوز له أن يفعلَ ذلك بغير عِلمٍ، فقد يأمرُ بما يظنه معروفًا ويكونُ منكرًا، أو ينهى عمَّا يظنه منكرًا ويكونُ معروفًا، ولكن ليسَ مِن شرطِ الآمرِ الناهي أن يكونَ عالِمًا مِن العُلماءِ، أو أن يكون عالِمًا بغير ما يأمرُ به أو ينهى عنه.

٨- على الناصحِ أن يتأدبَ بآدابِ النصيحةِ، ومنها:

أ- الإسرارُ بالنصيحةِ مَا لَمْ يكنْ ذلكَ مما يفوتُ لو أخَّرَهُ.

ب- الرِّفقُ في النصيحةِ، واستعمالُ الألفاظِ الحسَنَةِ.

ت- اختيارُ الوقتِ والمكانِ المناسبينِ لإبداءِ النصيحةِ.

ث- استعمالُ التعريضِ أو التعميمِ في النصحِ، كأن يقولَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَفْعَلونَ كَذَا»، إذا كان ذلك مجدِيًا للمنصوحِ.

ج- أن لا يكون غرضُه التَّشَفِّي مِن أخيه، أو إظهارُ عيوبه، أو أنه أحسنَ منه وأكملَ.

٩- على المنصوحِ أن يتأدَّبَ بآدابِ النصيحةِ، ومنها:

---

(١) رواه عبد الرزاق ٣٧٢/٢(٣٧٤٤) وسنده صحيح.

(٢) عن فتح الباري لابن رجب ١٤٤/٣.

أ- قَبولُ النصيحةِ ومَحَبَّتُها، وتعويدُ نفسِهِ على تقبُّلها بصدرٍ رَحْبٍ، وعدمُ ردِّها أو الاستكبارُ على الناصحِ كائنًا مَنْ كانَ، بل يفرحُ بمعرفةِ عيبِ نفسِهِ ليتخلصَ منه، قال عمر بن الخطاب ﷺ: أحبُّ الناسِ إليَّ مَن رَفَعَ إليَّ عيوبي[1].

ب- أن لا يظنَّ بأخيهِ الناصحِ إلاَّ خيرًا.

ت- المبادرةُ بالعملِ بالنصيحةِ، بفعلِ مَا أُمِرَ به مِنَ الخيرِ، وتركِ ما نُهيَ عنه مِنَ الشَّرِّ.

ث- شُكرُ الناصحِ، والدعاءُ له لِمَا أسدى إليه مِنَ المعروفِ والخيرِ.

([1]) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٩٣/٣.

الأَدَبُ مَعَ أصحابِ النَّبِيِّ ﷺ

١٣- عن عِمرانَ بنِ حُصينٍ رضي الله عنهما قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «خيرُ أمَّتي قَرْني، ثُمَّ الذينَ يَلونَهُمْ، ثُمَّ الذينَ يَلونَهُمْ»، قال عِمرانُ: فلا أدري أَذَكَرَ بعدَ قَرْنِهِ قرنينِ أو ثلاثًا.متفق عليه.(١)

إرشادات الحديث

١- المرادُ بقَرنِ النبيِّ ﷺ أصحابُهُ ﷺ، فإنَّ القَرْنَ يطلقُ ويرادُ به: الجيلُ مِن الناسِ، والذين يلونهم هم: التابعون لهم بإحسان، والصحابيُّ هو: كلُّ مَن لَقِيَ النبيَّ ﷺ مؤمِنًا به ومات على الإسلامِ، وإن تخلل ذلك رِدَّةٌ.

٢- في الحديث شهادةٌ من الصادقِ المصدوقِ ﷺ للصحابةِ ﷺ بأنهم خيرُ الناسِ، وهذه تزكيةٌ عامَّة للصحابةِ ﷺ، فهم عدولٌ بتعديلِ الله لهم ورسولِهِ ﷺ وقد أجمعَ أهلُ السُّنَّةِ على أنَّ أفضلَ الأُمَّةِ بعد نبيِّها ﷺ هم الصحابةُ ﷺ(٢)، قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ في أحاديث فضلِ الصحابةِ ﷺ: وهذه الأحاديثُ مستفيضةٌ، بل متواترةٌ في فضائلِ الصحابةِ والثناء عليهم، وتفضيلِ قرنهم على مَن بعدهم مِن القرونِ، والقدحُ فيهم قدحٌ في القرآنِ والسُّنَّةِ.اهـ (٣)

٣- لقدْ شَرَّفَ اللهُ تعالى الصحابةَ ﷺ بصحبةِ النبيِّ ﷺ ومُرافقَتِهِ وتربيتِهِ ونُصرتِهِ، كَمَا شَرَّفَهُمْ بِحَمْلِ رِسالةِ الإسلامِ إلى أقْطَارِ الدُّنيا، فلهم عَلَى مَنْ بَعدَهمْ فضلٌ كبير يتمثل في أمورٍ أهمها:

أ- فضلُ الصحبةِ نفسِهَا، واختصاصُهم باختيارِ الله لهم لصحبةِ رسولِهِ ﷺ دونَ غيرهم.

ب- نشرُ الإسلامِ وحَمْلُ رِسالَتِهِ، فكلُّ مَنْ أسلمَ فمِنْ طَرِيقِهِمْ، وكُلُّ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ مُسْلِمٌ إلى يَومِ الدِّين فهو في ميزانِهِم ﷺ.

ت- جهادُهم في سبيلِ الله تعالى لتبليغِ دِينِهِ، فأعظمُ الفتوحاتِ كانتْ في عصرِهِمْ، وبِقِيادَتِهِمْ ﷺ، وما مِنْ فتحٍ بعدهم إلا وهو في ميزانِهِم لأنهم أوَّلُ مَنْ سَنَّ الفتوحَ.

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ و ﷺ ومن صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه ٣/ ١٣٣٥(٣٤٥٠)، ورواه البخاري أيضا ٥/٢٣٦٢(٦٠٦٤)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ٤/١٩٦٤(٢٥٣٥).

(٢) والعجب من الروافض الأخباث الذين يسبون خيرة الأمة ويكفرونهم، وهم في الوقت نفسه يترضون عن الكفار الزنادقة قتلة الصحابة، كما هو حالهم مع الزنديق المجوسي الذي لم يُسْلِمْ قط (أبو لؤلؤة المجوسي)، حيث يترضون عنه، ويلقبونه (بابا شجاع الدين)، ويجعلون له مزارا شِركيًّا كما يُجعل لمن يوصفون بالولاية.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٤/٤٣٠.

ث- فهمُهم العميقُ للإسلامِ وتطبيقهم الصحيحَ له، حيثُ إنهم قد عايشوا نزولَ آياتِ القرآنِ، وعايشوا تطبيقَ النبيِّ ﷺ للإسلامِ وتربَّوا عليهِ، وعايشوا الجاهليةَ وعَرَفوا حقيقتَهَا، وتركوها رغبةً فيما عندَ الله تعالى.

٤- مَحَبَّةُ الصحابة ﷺ واجبةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، بلْ قد جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَحَبَّةَ الأَنْصَارِ ﷺ عَلامَةَ الإيمانِ، وبُغْضَهُمْ عَلامةَ النِّفاقِ؛ فَفِي حديثِ البَرَاءِ بنِ عازبٍ رضي الله عنهما قالَ: سمعتُ النَّبِيَّ ﷺ يقولُ: «الأَنْصَارُ لا يُحِبُّهُمْ إلاَّ مُؤْمِنٌ، ولا يُبْغِضُهُمْ إلاَّ مُنَافِقٌ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ، ومَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ».متفق عليه(١).

٥- مِمَّن تَجِبُ مَحَبَّتُهُ ومُوالاتُهُ مِن الصَّحَابَةِ ﷺ معاويةُ بنُ أبي سفيانَ ﷺ؛ فلا يجوزُ سَبُّهُ ولا انتقَاصُهُ؛ حَتَّى إنَّ بعضَ العُلماءِ جَعَلَ مَحَبَّتَهُ كالْمِيزانِ لِمَحَبَّةِ أصحابِ النَّبِيِّ ﷺ، قالَ ابنُ العِمَادِ الْحَنبليُّ رحمه الله: مُعَاويةُ بنُ أبي سُفيانَ ﷺ هو الْمِيزانُ في حُبِّ الصَّحَابَةِ ﷺ.(٢)

٦- كانَ السَّلَفُ ﷺ يَحُثُّونَ عَلَى مَحَبَّةِ الصَّحابَةِ ﷺ وتَقديرِهِمْ واحْتِرامِهِمْ:

أ- قالَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ ﷺ: حُبُّ أبي بكرٍ وعُمَرَ ومَعْرِفةُ فَضلِهِمَا مِنَ السُّنَّةِ(٣).

ب- وقالَ أبو جعفرٍ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيِّ بنِ الْحَسَنِ: مَنْ جَهِلَ فضلَ أبي بكرٍ وعُمَرَ فقدْ جَهِلَ السُّنَّةَ(٤).

ت- وقالَ مالكُ بنُ أنسٍ: كانَ السَّلَفُ يُعَلِّمونَ أولادَهُمْ حُبَّ أبي بكرٍ وعُمَرَ كَمَا يُعَلِّمُونَ السُّورَةَ مِنَ الْقُرآنِ(٥).

ث- وقالَ قَبيصَةُ بنُ عُقبةَ: حُبُّ أصحابِ النَّبِيِّ كُلِّهِمْ سُنَّةٌ(٦).

ج- وقالَ بِشرُ بنُ الْحَارِثِ الْحَافِي: أَوْثَقُ عَمَلِي في نَفْسِي حُبُّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ.(٧)

---

(١) رواه البخاري كتاب فضائل الصحابة، باب حب الأنصار من الإيمان ٣/١٣٧٩(٣٥٧٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، بَاب الدَّلِيلِ على أَنَّ حُبَّ الأَنْصَارِ وَعَلِيٍّ ﷺ من الإِيمَانِ وَعَلامَاتِهِ، وَبُغْضِهِمْ من عَلامَاتِ النِّفَاقِ ١/٨٥(٧٥).

(٢) شذرات الذهب ١/٦٥ .

(٣) رواه أبو القاسم اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٧/١٢٣٨(٢٣١٩).

(٤) المصدر السابق ٧/١٢٣٩(٢٣٢٤)، وأبو القاسم الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة ٢/٣٩٤.

(٥) رواه أبو القاسم اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٧/١٢٤٠(٢٣٢٥).

(٦) المصدر السابق ٧/١٢٤٠(٢٣٢٧).

(٧) حلية الأولياء ٨/٣٣٨.

٧- بغضُ الصَّحَابةِ ﷺ والطَّعنُ فيهم أو في آحَادِهِمْ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ العظيمَةِ، وقد جاءت النصوصُ الشرعيةُ بوجوبِ سلامةِ القَلْبِ واللِّسانِ تُجاهَ أصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ:

أ- قالَ الله تعالى: (وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)[١]، قالت عائشةُ رضي الله عنها: أُمِرُوا أنْ يَسْتَغْفِروا لأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَبُّوهُمْ.رواه مسلم[٢]، وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: لا تَسُبُّوا أصحابَ مُحَمَّدٍ ﷺ فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قد أَمَرَ بالاسْتِغْفَارِ لَهُمْ وهو يَعْلَمُ أنَّهم سَيَقْتَتِلُونَ[٣].

ب- وعن أبي سعيدٍ الخُدريِّ ﷺ قالَ: قالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لا تَسُبُّوا أصْحَابِي، فَلَوا أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا؛ مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ ولاَ نَصِيفَهُ».متفق عليه[٤]، وفي روايةِ مسلمٍ: «لا تَسُبُّوا أحَدًا مِن أصْحَابِي»، وعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ: «لا تَسُبُّوا أصْحَابِي، لا تَسُبُّوا أصْحَابِي» بالتَّكرار[٥].

٨- الطعنُ في الصحابَةِ ﷺ طَعْنٌ فيمَا حَمَلوهُ ونشروهُ مِنَ الدِّين، فهم الذين نَشَروا القرآنَ والسُّنةَ، وبيَّنُوا الدِّينَ وفَسَّروا القرآنَ الكريمَ، وطَبَّقُوا الإسلامَ في الواقِعِ ودَعَوا الناس إليهِ بأقوالِهِمْ وأفعَالِهم، فكلُّ مَنْ طَعَنَ فيهم فإنَّما يريدُ هَدْمَ الدِّينِ، وإنَّما طَعَنَ فيهم لأنهُ لا يُمكنه الطعنُ المباشرُ في دِينِ الله، وإلاَّ لافْتُضِحَ وظَهَرَتْ زَنْدَقَتُهُ وَنِفَاقُهُ:

أ- قالَ الإمامُ أحمدُ بنُ حَنْبلٍ رحمه الله: إذا رأيتَ أحَدًا يَذْكُرُ أصحابَ رسولِ اللهِ ﷺ بسوءٍ؛ فاتَّهِمْهُ عَلَى الإسلامِ.[٦]

ب- وقال الإمامُ أبو زُرْعَةَ الرَّازِيُّ رحمه الله: إذَا رأيتَ الرَّجلَ ينتقصُ أحَدًا مِنْ أصحَابِ رسولِ اللهِ ﷺ فاعْلَمْ أَنَّهُ زِنْديقٌ، وذلكَ أنَّ الرَّسولَ ﷺ عندنَا حَقٌّ، والقرآنَ حَقٌّ، وَإِنَّمَا أدَّى إلَيْنَا هَذَا

---

(١) سورة الحشر آية ١٠.

(٢) رواه مسلم في كتاب التفسير ٤/٢٣١٧(٣٠٢٢) .

(٣) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٧/١٢٤٥، وأبو القاسم الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة ٢/٣٩٥، والآجري في الشريعة ٥/٢٤٩١-٢٤٩٢.

(٤) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذا خليلا» ٣/١٣٤٣(٣٤٧٠)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب تحريم سب الصحابة ﷺ ٤/١٩٦٧(٢٥٤١).

(٥) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب تحريم سب الصحابة ﷺ ٤/١٩٦٧(٢٥٤٠) .

(٦) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٧/١٢٥٢، وأبو القاسم الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة ٢/٣٩٧.

القرآنَ والسُّنَنَ أَصحابُ رَسولِ اللهِ ﷺ، وَإِنَّمَا يريدونَ أنْ يَجرَحُوا شُهودَنَا لِيُبطِلُوا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَالْجَرْحُ بِهِمْ أَوْلَى، وَهُمْ زَنَادِقَةٌ. (١)

ت- وسُئلَ الإمامُ النَّسَائِيُّ صاحبُ السُّنَنِ رحمه الله عن معاويةَ بنِ أبي سفيانَ صاحبِ رسولِ اللهِ ﷺ فقالَ: إِنَّمَا الإِسْلاَمُ كَدَارٍ لَهَا بَابٌ، فَبَابُ الإِسْلامِ الصَّحَابَةُ ﷺ، فَمَنْ آذَى الصَّحَابَةَ إِنَّمَا أَرَادَ الإِسْلاَمَ، كَمَن نَقَرَ الْبَابَ إِنَّمَا يُرِيدُ دُخُولَ الدَّارِ، ثُمَّ قال: فَمَنْ أَرَادَ مُعَاوِيَةَ فَإِنَّمَا أَرَادَ الصَّحَابَةَ ﷺ. (٢)

٩- قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيميَّةَ رحمه الله: مِنْ أصولِ أهلِ السُّنةِ والجماعةِ: سَلاَمَةُ قُلوبِهِم وألسِنَتِهِمْ لأَصْحَابِ رَسولِ الله ﷺ، ويتبرؤونَ مِن طريقَةِ الروافِضِ الذينَ يُبْغضونَ الصحابةَ ويَسُبُّونَهم، وطريقَةِ النَّوَاصِبِ الذينَ يؤذُونَ أهلَ البيتِ بقولٍ أو عَمَلٍ، ويمسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بينَ الصحَابَةِ ﷺ ويقولونَ: إنَّ هذه الآثارَ المرويةَ في مساويهِم منهَا ما هو كذِبٌ، ومنهَا ما قدْ زِيدَ فيهِ ونُقِصَ وغُيِّرَ عنْ وجهِهِ، والصحيحُ منهُ هُمْ فيهِ مَعذورونَ إمَّا مُجتهِدونَ مُصيبونَ، وإمَّا مجتَهِدونَ مخطِئونَ.اهـ(٣)

---

(١) الكفاية في علم الرواية ص٤٩، وتهذيب الكمال ٩٦/١٩، وفتح المغيث ١٠٩/٣.

(٢) تهذيب الكمال ٣٣٩/١-٣٤٠.

(٣) العقيدة الواسطية مع شرحها لمحمد خليل هراس (ص١٤٢-١٥١).

الأدبُ مَعَ آلِ بيتِ النَّبِيِّ ﷺ

١٤- عن زَيْدِ بنِ أَرْقَمَ ﷺ قالَ: قامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا بين مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ؛ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عليهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قال: «أَمَّا بَعْدُ، ألا أَيُّهَا الناسُ، فَإِنَّمَا أنا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رسولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وأنا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا: كِتَابُ اللَّهِ فيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ، فَحَثَّ على كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فيه»، ثُمَّ قال: «وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُم اللَّهَ في أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُم اللَّهَ في أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُم اللَّهَ في أَهْلِ بَيْتِي».رواه مسلم.(١)

إرشادات الحديث:

١- آلُ بيتِ النَّبِيِّ ﷺ هم أشرفُ أهلِ بيتٍ وُجِدَ على وجهِ الأرضِ نَسَبًا وأجلُّه قَدْرًا، وأعظمُهُ مَكَانَةً، وآلُ بيت النبيِّ ﷺ هُمْ: أولادُهُ وذُرِّيَّتُهُمْ، وأزواجُهُ، ومَنْ تَحْرُمُ عليهِ الزكاةُ مِنْ أقَارِبِهِ ﷺ وهُمْ: آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ وَآلُ جَعْفَرٍ وَآلُ العَبَّاس ﷺ.

٢- مِنْ أصولِ أهلِ السُّنَّةِ والْجَمَاعَةِ أنَّهُمْ يُحِبُّونَ أهلَ بيتِ النَّبِيِّ ﷺ الأحياءَ منهم والأمواتَ، ويَتَوَلَّوْنَهُمْ، ويَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ النَّبِيِّ ﷺ، ويؤدُّون إليهمْ حقوقَهم الواجبةَ لهم بقرابتِهِم مِن رسولِ الله ﷺ، وعمَلاً بوصيتِهِ التي وصَّى بها أمَّتَهُ فيهم، وحقوقُهم نوعانِ:

النوعُ الأول: الحقوقُ العامَّةُ للمسلمينَ، كمحبتهم المحبةَ العامةَ الواجبةَ بالإسلامِ والسنةِ، والسلامِ عليهم، وردِّ تحيتهم، والتأدبِ معهم بعموم الآدابِ الشرعيةِ، وعدمِ الطعنِ فيهم، وتجنبِ إيذائِهم بأي نوعٍ مِن الأذى.

النوعُ الثاني: الحقوقُ الخاصةُ بهم، كزيادةِ محبتهم لقرابتِهِمْ مِن رسولِ الله ﷺ، والزيادةِ في تقديرِهم واحترامِهم وإجلالِهم مِنْ غيرِ غُلُوٍّ فيهم، وتقديمِهِم عندَ التساوي في الفضائلِ الأخرى فيقَدَّمون بقربهم مِن رسولِ اللهِ ﷺ، والإحسانِ إليهم وبِرِّهِمْ بأنواعِ البِرِّ والإحسانِ، والتَّجَاوزِ عن مُسيئِهِمْ، والصلاةِ عليهم مع الصلاةِ على النبيِّ ﷺ في الصلاةِ وخارِجِهَا، وغير ذلك.

٣- أهلُ السُّنَّةِ وسَطٌ في آلِ بيتِ النَّبِيِّ ﷺ فَيُحِبُّونَهُمْ ويُنْزِلونَهُمْ مَنْزِلَتَهُم التي أنزلَهُمُ اللهُ تعالى- بِقُرْبِهِمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ - خلافًا لفريقين مِن الناس:

---

(١) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ﷺ، بَاب من فَضَائِلِ عَلِيِّ بن أبي طَالِبٍ ﷺ ٤/١٨٧٣(٢٤٠٨).

الأول: مَنْ يطعنُ فيهمْ أو يَسُبُّهمْ ويَشْتُمُهمْ، أو يفعلُ ذلكَ بِبَعضِهِمْ كَمَنْ يطعنُ في عائشةَ أو حفصةَ رضي الله عنهما.

الثاني: مَنْ يرفعونَ أهلَ البيتِ فوقَ مَكَانَتِهِمُ الَّتِي أنزلَهُمُ الله تعالى، فيَدْعُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ تعالى، أو يدَّعونَ لَهُمُ العِصْمَةَ، أو يزعمونَ لَهُم مِنَ الفَضَائِلِ ما ليسَ لَهم مما جاء به الكتابُ الكريمُ وثبتتْ به السُّنةُ النَّبويةُ.

- كَمَا إنَّ أهلَ السُّنَّةِ لا يُفَضِّلون عَلِيًّا ﷺ عَلَى أبي بكرٍ الصديقِ وعُمَرَ رضي الله عنهما، بلْ يُنْزِلُونَ كُلاًّ مِنْهُمْ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ تعالى لَهُ، وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ جَمِيعًا ﷺ.

٤- كانَ الصحابةُ ﷺ يعرفونَ لأهلِ البيتِ فضلَهُمْ، وأخبارُهم في هذا كثيرةٌ، ومِنْ ذلكَ مَا جَاءَ عن أبي بكرٍ الصديقِ ﷺ، فَرَوَى ابنُ عُمَرَ رضي الله عنهما عن أبي بكرٍ ﷺ قال: «أُرقُبوا مُحَمَّدًا ﷺ في أهلِ بيتِهِ».رواه البخاري[1]، ومعناه: رَاعُوا النَّبِيَّ ﷺ واحْفَظوهُ وأَكْرِمُوهُ واحْتَرِمُوهُ في أهلِ بَيْتِهِ؛ فلا تُسِيؤُوا إلَيْهِمْ أو تُؤذُوهُمْ[2]، وقال أبو بكرٍ ﷺ أيضًا: «والَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَقَرَابَةُ رسولِ اللهِ ﷺ أحَبُّ إلَيَّ أنْ أصِلَ مِن قرابَتِي».[3]

٥- أفضلُ آلِ الْبَيْتِ: عليٌّ بنُ أَبي طالبٍ وزوجُهُ فاطمةُ بنتُ النبيِّ ﷺ ورضي الله عنهما، وَوَلَدَاهُمَا: الْحَسنُ والْحُسينُ رضي الله عنهما سِبْطَا رَسولِ الله ﷺ وريْحَانَتَاهُ، وبقيةُ أولادِ النبيِّ ﷺ الذكورِ والإناثِ، وعمَّاهُ حَمْزةُ والْعَبَّاسُ ابْنَا عبدِ المطَّلِبِ رضي الله عنهما، وابْنَا عَمِّهِ: عبدُاللهِ بنُ عبَّاسٍ وجَعْفَرُ بنُ أبي طالبٍ (الطيّارُ) ﷺ، وأزواجُ النَّبِيِّ ﷺ وأفضَلُهُنَّ: خَديجةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ، وعَائِشَةُ بِنْتُ أبي بَكْرٍ ﷺ.

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ومنقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ ٣/١٣٦١ (٣٥٠٩).

(٢) ينظر: فتح الباري ٧/٧٩، ورياض الصالحين ص١٧١.

(٣) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ومنقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ ٣/١٣٦٠ (٣٥٠٨).

أدبُ التعاملِ مَعَ الشبابِ

١٥- عن أبي أُمَامَةَ ﷺ قالَ: إن فَتًى شَابًّا أَتَى النبيَّ ﷺ فقالَ: يا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لي بِالزِّنَا! فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عليه فَزَجَرُوهُ، وَقَالُوا: مَهْ مَهْ، فقال :«ادْنُهْ»، فَدَنَا منْهُ قَرِيباً، قالَ: فَجَلَسَ، قالَ: «أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟»، قالَ: لاَ وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قالَ:«وَلاَ النَاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ»، قال: «أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟»، قالَ: لاَ وَاللهِ يا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قالَ: «وَلاَ النَاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ»، قالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ»، قالَ: لاَ وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قالَ: «وَلاَ النَاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ»، قالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟»، قالَ: لاَ وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قالَ: «وَلاَ النَاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ»، قالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ»، قالَ: لاَ وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قالَ: «وَلاَ النَاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاَتِهِمْ»، قالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وقالَ :«اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ»، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ- ذَلَكَ الْفَتَى- يَلْتَفِتُ إلى شَيءٍ.رواه أحمد بإسناد صحيح.(١)

إرشادات الحديث:

١- مَرحلةُ الشبابِ أخطرُ مراحِلِ العُمرِ، وفيها تبدأ المواجهةُ الحقيقيةُ مع الحياةِ، ويبدأ انطلاقُ الشابِّ إلى المجتمع، فَلَرُبَّمَا وَقَعَ في هذِهِ المرحَلَةِ فريسةً للشيطانِ وأصدقاءِ السوءِ الذينَ يزينونَ له الشهواتِ والْمَلَذَّات حَتَّى يقعَ في المحرَّماتِ، ولِذَا فإنهُ يجبُ على الشَّابِّ أنْ يحفَظَ دِينَهُ، ويتحصَّنَ بتقوى الله تعالى، ويتجنبَ أسبابَ الانحرافِ والمعاصي، كما يجبُ على المسؤولينَ عنهُ مراعَاتُهُ في هذِهِ المرحَلَةِ بتهْذِيبِهِ والمحافَظَةِ عليهِ مِن كلِّ مَا قد يحرفُهُ عنْ جَادَّةِ الصَّوابِ.

٢- في مَرحلةِ الشبابِ تكثرُ المشكِلاتُ التي تواجهُ الناشِئَةَ، فتعرضُ له قَضَايا جَديدةٌ ومشكلاتٌ قد لا يدركُ كثيرًا مِنْ حَقَائِقِهَا وأبعَادِها، ومِنْ هنَا كَانَ على الشَّابِّ أن يكونَ مُدْرِكًا أنه لا بُدَّ له في هذهِ المرحَلةِ مِنَ الاستعانَةِ بذَوي العقولِ والخبرةِ السابِقَةِ بطلبِ الاستشارَةِ والاسترْشَادِ، وليسَ هذا عَيْبًا ولاَ نقصًا في رُجولَتِهِ، بلْ إنه يضيفُ إلى رُجولَتِهِ وخِبْرَتِهِ خبْرَةَ مَن سَبقوهُ مِن الآباءِ والمعلِّمينَ والمربِّينَ.

---

(١) رواه أحمد ٥/٢٥٦، والطبراني في المعجم الكبير ٨/١٦٢،١٨٣، والبيهقي في شعب الإيمان ٤/٣٦٢(٥٤١٥)، قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار ١/٥٩٢: رواه أحمد بإسناد جيد ورجاله رجال الصحيح، وقال الهيثمي مجمع الزوائد ١/١٢٩: رجاله رجال الصحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١/٧١٢ (٣٧٠)، وقولهم: مه مه يعني: كف عن هذا، وقوله:«حصِّن»: يعني احفظه من الفواحش.

٣- ينبغي عَلَى الداعي إلى اللهِ تعالى أن يَحرصَ على هِدايةِ الناس، ويَتَحَلَّى بالرِّفقِ مَعَ مَن أَرَادَ الْمَعْصِيَةَ، ويَحرصَ عَلَى هِدَايَتِهِ ولا ينفِّرَهُ عن طريقِ اللهِ تعالى، وإن دَعَا لَهُ بِالهِدَايَةِ والصلاحِ فَهُوَ أحسنُ وأَوْلَى مِن الدُّعَاءِ عَلَيْهِ بالسُّوءِ، كما دَعَا النبيُّ ﷺ لِهذا الشابِّ بقوله: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ»، والدُّعاءُ للعاصي مِمَّا يُقَرِّبُه إلى رَبِّهِ، ويُشْعِرُهُ بِحِرْصِ الداعِي عليْهِ، ورَغبتِهِ في هِدايَتِهِ.

٤- يجبُ على العالِمِ والْمُرَبِّي أن يتحلَّى بالحكمةِ والصبرِ والْحِلْمِ والأَناةِ، يعطي لِلْجَاهِلِ والمخطئِ الفرصةَ الكافيةِ ليعرضَ مُشكلتَه بصراحةٍ ووضوحٍ، ثم يَصِفُ لَهُ العلاجَ المناسبَ بالأسلوبِ اللَّيِّن الرَّفيق، راجيا هدايته حريصا عليها، فاتحا أمامه باب التوبة والرجاء.

٥- في الحديثِ أسلوبٌ مِن أساليبِ الدعوةِ النبوية وهو: الحوار الهادئ، مع إطالة النَّفَسِ مع الْمُحاوَر، وتحمُّل ما قد يصدرُ منه مِن جهلٍ أومَسَاسٍ بالمسلَّمَاتِ رغبةً في هدايتِهِ إلى الحقِّ.

٦- كان النبيُّ ﷺ يدعو إلى الرِّفق في كل شيءٍ، ويطبِّق ذلك في حياتِهِ التي هي قدوةٌ لكلِّ الدعاة والْمُرَبِّين، ويتجلَّى رِفْقُهُ وشفقتُه بهذا الشابِّ في عدَّة وقفات:

أ- سكوتُه عنه ابتداءً وقد تَفَوَّهَ بمنكَرٍ عظيم فلم يجابِهْهُ بالإنكارِ عليه.

ب- لَمَّا أنكرَ عليه الصحابةُ ﷺ نَهاهُم عن ذلك وأمَرَهم بتركه، ففي رواية الطبراني أن النبيَّ ﷺ قال لهم: «أَقِرُّوهُ».

ت- أَمَرَهُ بِالدُّنُوِّ والاقترابِ مِنْهُ، وفي هذا تطمينٌ له.

ث- إعطاء الفرصةَ له بالجلوس بين يديه ﷺ وفي هذا مزيدٌ من التَّطمينِ له.

ج- إعطاؤُهُ الفرصةَ لِعَرْضِ مشكلتهِ بكلِّ وُضوحٍ وصَراحةٍ.

ح- محاوَرَتُهُ بهدوءٍ، وإعطاؤُهُ الفرصةَ للكلامِ بكل أريَحِيَّةٍ.

خ- وضعُ يَدِهِ عَلَيْهِ وفي رواية الطبراني: فَوَضَعَ رسول اللَّهِ ﷺ يَدَهُ على صَدْرِهِ، وفي هذا إشعارٌ له بالرِّفق والْحُنُوِّ عليه،.

د- الدعاءُ له بِمَا يناسبُ الحالَ مِن المغفرةِ وطهارة القلب وحَصَانةِ الفَرْج.

٧- التربيةُ بالإقناعِ لها أثرُها الكبيرُ في إصلاحِ الجيلِ، وذلك مِن خلالِ: ربطهم بالله تعالى، وتعميقِ محبَّته تعالى ومخافتِهِ في نفوسهم، وتقويةِ انتمائهم لهذا الدِّين العظيم، وتوعيتِهِم بما لهم على المجتمعِ ومَا عليهم تُجاهَهُ، حتَّى تتكوَّنَ لَدَيْهِم القناعاتُ الكافية بحقوقهم وواجباتِهم، فإنهم إذا اقتنعوا بالحقِّ

عمِلوا لأجلِهِ بجدٍّ ونشاطٍ، ولم يحيدوا عنه إذا غابَ الرَّقيبُ، فلذلك حَرِصَ النبيُّ ﷺ على إقناعِ هذا الشابِّ بترك المنكَر بطريقةٍ جَمَعَتْ بين العقلِ والعاطفةِ، وإثارةِ الحميَّةِ وتوجيهِهَا التوجيهَ الصحيحَ.

٨- لقد حرم الإسلامُ إشاعةَ الفاحشةِ بينَ المؤمنين بِكُلِّ وسيلة، سواءٌ أكان ذلكَ بالدعوة إلى الفجور والدعاية له، أم بِنَشْرِ الصُّوَرِ العَارِيَةِ أو شِبْهِ العَارِيَةِ في الْمَجَلاَّتِ أو على شَبَكَةِ الإنْتَرْنِتِّ أو الْجَوَّالاتِ أو أشرِطَةِ الْفِيدْيُو أو الأقراص المدمجة (السِّيدِيَّاتِ)، وقد تَوعَّدَ اللهُ تعالى مَن أحبَّ إشاعةَ الفاحشةِ بين المؤمنينَ بالعذاب الأليم فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فقال جل شأنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾[1]، وهذا فيمن أحبَّ إشاعتَهَا؛ فكيفَ بِمَنْ سَعَى في ذلك بِنَفْسِهِ ومالِهِ وفِكْرِهِ وكِتَابَتِهِ؟!

([1]) سورة النور آية ١٩.

أدبُ الاستقامةِ والتوسُّطِ والاعتدالِ في الدِّينِ وتركِ الغُلوِّ

١٦- عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قالَ: قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: «لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ»، قالوا: ولا أنتَ يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: «ولا أنَا؛ إلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَةٍ. سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِن الدُّلْجَةِ، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا».متفق عليه.(١)

إرشادات الحديث:

١- **السَّدَادُ هو**: الوصولُ إلى حَقيقَةِ الاسْتِقَامَةِ، والإصابةُ في جَميعِ الأقوالِ والأعمالِ والْمَقَاصِدِ. **والْمُقَارَبَةُ**: القُربُ مِن مَرْتَبَةِ السَّدَادِ، فَالْمُسْلِمُ مُطَالَبٌ أنْ يَجْتَهِدَ في الوصولِ إلى الْمَرْتَبَةِ الأُولى وهي: السَّدَادُ، فإن لَمْ يُصِبْهَا فَلا يَفُوتَنَّهُ القُرْبُ منها بالوُصولِ إلى الْمَرْتَبَةِ الثانِيَةِ وهي: الْمُقَارَبَةُ، ومَا سِواهُمَا تَفريطٌ وإضَاعَةٌ، وعَلَى الْمُؤمِنِ أن يَجْتَهِدَ في الوصولِ إلى أعْلاهُمَا، كالَّذي يَرمِي غَرَضًا يَجْتَهِدُ في إصَابَتِهِ، أو القُرْبِ مِنْهُ حَتَّى يُصِيبَهُ. (٢)

٢- **الاسْتِقَامَةُ هي**: سلوكُ الصراطِ المستقيمِ، وهو الدِّينُ القويم، من غير تعويجٍ عنه يَمْنَةً ولا يَسْرَةً، ويشمل ذلك: فعلَ الطاعات كلِّها الظاهرةِ والباطنةِ، وتركَ المنهياتِ، قال الله تعالى: ﴿ **فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾(٣)، وعن سُفْيَانَ بنِ عبدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ ﷺ قالَ: قلتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لي في الإسْلامِ قَوْلاً لا أَسْأَلُ عنه أَحَدًا بَعْدَكَ، قال: «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمْ».رواه مسلم.(٤)

٣- ذَكَرَ النبيُّ ﷺ في هذا الحديثِ ثلاثةَ أوقاتٍ حاثًّا على العملِ الصالحِ فيهنَّ:

أ- «وَاغْدُوا» مِن الغَدوة، والمرادُ: سَيْرُ أولِ النهارِ، ومما يُشرعُ في هذا الوقتِ: صلاةُ الفجرِ، وذِكرُ الله تعالى بأذكارِ الصباحِ.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل ٥/ ٢٣٧٣ (٦٠٩٨)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى ٤/٢١٦٩ (٢٨١٦)، وليس في مسلم آخر الحديث، ومعنى قوله:«سدِّدوا»: الزموا السداد وهو الصواب والتوسط في العمل من غير إفراط ولا تفريط، و:«قاربوا»: يعني إذا لم تستطيعوا عمل الأكمل فاعملوا ما يقرب منه، و:«اغدوا»: الغَدوة: السير أول النهار، و:«روحوا» الروحة: السير بعد الزوال، و:« الدُّلجة»: سير الليل، و:«القصدَ القصدَ»: الزموا الطريق الوسط المعتدل في أعمالكم، و:«تبلغوا»: يعني تبلغوا رحمة الله فيدخلكم الجنة.

(٢) ينظر: جامع العلوم والحكم، حديث (٢١)، ومدارج السالكين لابن القيم، منزلة الاستقامة، وشرح النووي على صحيح مسلم ١٧/١٦٠، وقد ذهب بعض العلماء إلى أنهما مرتبة واحدة (ينظر: المحجة في سير الدلجة، للحافظ عبد الرحمن بن رجب الحنبلي ص٥١-٥٢).

(٣) سورة هود آية ١١٢.

(٤) رواه مسلم في كتاب الإيمان، بَاب جَامِعِ أَوْصَافِ الإِسْلامِ ١/٦٥(٣٨).

ب- «وَرُوحُوا» مِن الرَّوحةِ، والمرادُ: سَيْرُ آخرِ النهار، ومما يُشرعُ في هذا الوقتِ: صلاةُ العصرِ، وذِكرُ الله تعالى بأذكارِ المساء.

ت- «وَشَيْءٌ مِن الدُّلْجَةِ» والمرادُ بالدُّلجة: سَيْرُ الليلِ، ومما يشرعُ في هذا الوقتِ: قيامُ الليلِ والدعاءُ فيه، والاستغفارُ بالأسحارِ، وقال: «وَشَيْءٌ» لكي لا يشق المؤمن على نفسه في ذلك؛ فيكفيه لو تزوَّدَ مِن قيامِ الليلِ باليسيرِ.

وهذه الأوقاتُ الثلاثةُ قد ذَكَرَهَا الله تعالى في آياتٍ عديدةٍ حاثًّا على العملِ الصالحِ فيها، فقال تعالى: (وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً.وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً)[1]، وهذا من مُطابقةِ السنةِ للقرآنِ.

٤- شَبَّهَ النَّبِيُّ ﷺ الْمُسْلِمَ في الدُّنيا بِالْمُسَافِرِ، ونَبَّهَهُ على عَدَمِ الإضْرارِ بِنَفْسِهِ في سَيْرِهِ إلى اللهِ تعالى، فإنَّ الْمُسافِرَ إذا سَارَ اللَّيلَ والنَّهارَ جميعًا عَجَزَ وانقطَعَ، وإذا تَحَرَّى السَّيْرَ في الأوقاتِ الْمَذْكورَةِ أَمْكَنَهُ مُواصَلَةُ السَّفَرِ والوصولُ إلى مُرادِهِ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ، وهكذا الْمُسْلِمُ إذ هو في دارِ نُقلةٍ إلى الآخرةِ، فَينبغي لَهُ أنْ يسيرَ في طريقِ اللهِ جلَّ وعَلا، ولا يَقِفَ فَيَنْقَطِعَ عن رَبِّهِ، ولا يَشُقَّ عَلَى نَفْسِهِ بَأنواعِ الْعِبَادَةِ حَتَّى يُصَابَ بَالْمَلَلِ والفُتُورِ فَيَنْقَطِعَ عن رَبِّهِ جَلَّ وعَلا.

٥- عمَلُ الإنسانِ المجرَّدُ لا يُنجيهِ مِن النارِ ولا يُدخلُهُ الجنةَ، وإنما يحصلُ له ذلك برحمةِ الله تعالى، وذلك لأنَّ الإنسانَ مَهْمَا عَمِلَ مِنَ الصالحاتِ فلا يُمْكِنُهُ أن يُؤدِّيَ شُكْرَ شيءٍ مِن نِعَمِ اللهِ تعالى عليهِ، وكيفَ يمكنهُ ذلك وكلُّ عملٍ صالحٍ يعملهُ فإنما هو بتوفيقِ الله لهُ وتفضُّلِهِ عليهِ، ومهمَا شَكَرَ فهو إنما يشكُرُ بفضلِ الله عليهِ، فلهذا كانَ عاجِزًا عن القيامِ بحقِّ الله عليهِ، فهو محتاجٌ إلى رحمةِ ربِّهِ ليَدخلَ بِها جَنَّتَهُ.

٦- لا يَجوزُ لِلْمُسْلِمِ أنْ يُدِلَّ عَلَى اللهِ تعالى بِعَمَلِهِ، وأنْ يَغْتَرَّ بِالطَّاعَاتِ الَّتِي يَعْمَلُهَا، بل يجبُ عليهِ أنْ يتواضعَ لِربِّهِ جل وعلا، وينسبَ الفضلَ كلَّه إليهِ، فلولاهُ جل في علاه لَمْ يتيسرْ لهُ شيءٌ مِنَ العملِ ولَمْ يوفَّق إليهِ، ولذلكَ أعلنَ النَّبِيُّ ﷺ -الذي هو أكملُ الْخَلْقِ- أنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الْجَنَّةَ بِمُجَرَّدِ عَمَلِهِ حَتَّى هو عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ.

٧- المرادُ بالنجاةِ في الحديثِ: النجاةُ مِن النارِ ودخولُ الجنةِ، وهي النجاةُ الحقيقيةُ والفوزُ الحقيقيُّ، قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[2]، وواجبٌ على المسلمِ الاهتمامُ بالنجاةِ

---

(١) سورة الإنسان الآيتان ٢٥-٢٦.

(٢) سورة آل عمران آية ٧٢.

في ذلك اليومِ والاستعدادُ له، وذلك إنما يكونُ بطاعةِ الله ورسولِهِ ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[1]، وقد أخبرَ الله تعالى أنه إنما يُنجّي المتقينَ دونَ غيرِهم، فقال تعالى: (ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا).[2]

٨- على المسلمِ أن يطلبَ الأسبابَ الموصِلَةَ إلى رحمةِ الله تعالى ومغفرتِهِ، وهذهِ الأسبابُ قَدْ بيَّنَهَا الله تعالى في كتابِهِ، وبيَّنَهَا رسولُه ﷺ في سنتِهِ، وهي في الجملةِ راجعةٌ إلى اتِّباعِ شرعِ الله تعالى، قال تعالى: (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ)[3]، وقال: (إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ)[4].

٩- أَمَرَ النبيُّ ﷺ بالقصدِ في العبادَةِ وهو: التوسُّطُ والاعتدالُ، وتركُ التَّكَلُّفِ والتشديدِ على النفسِ فيها، وكمَا أنَّ التقصيرَ فيما يجبُ مِن طاعةِ الله تعالى سَيِّئَةٌ، فالغُلُوُّ في العبادَةِ سَيِّئَةٌ أيضًا، وذلك لأنَّ مَنْ شَدَّدَ على نفسِهِ بالعبادَةِ يوشكُ أنْ ينقطعَ عنهَا ويتركَهَا لِثِقَلِهَا على النفسِ، وقد تواترتِ الأدلةُ الشرعيةُ على تأكيدِ هذا الأصلِ العظيمِ: وهو مراعاةِ التَّوسُّطِ والاعتدالِ دونَ الإفراطِ والتفريطِ.

١٠- الاعتدالُ المشروعُ يكون بالتمسكُ بما جاءَ في الكتابِ والسُّنةِ من غير غُلُوٍّ ولا تقصيرٍ، وليسَ باتِّباعِ الهوى والبِدعةِ وما تخترعُهُ العقولُ المريضةُ، ولذلك أنكرَ النبي ﷺ على النَّفَرِ الذين قالَ أحدُهُم: أَمَّا أنا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وقال آخَرُ: أنا أَصُومُ الدَّهْرَ ولا أُفْطِرُ، وقال آخَرُ: أنا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فلا أَتَزَوَّجُ ، فقال النبي ﷺ: «أَمَا والله إني لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَتْقَاكُمْ لهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[5]، وقال عبدُ الله بنُ مسعودٍ رضي الله عنه: الاقتصادُ في السُّنَّةِ خيرٌ مِن الاجتهادِ في البِدعةِ.[6]

١١- شرْعُ الله تعالى مبنيٌّ على الاعتدالِ والتوازُنِ، وأمَّا التقصيرُ في الواجباتِ وفعلُ المحرَّماتِ فليسَ مِن الاعتدالِ في شيءٍ، كمَا قدْ يزعُمُهُ بعضُ الجهالِ، بلْ قدْ يلمِزونَ أهلَ الاستقامَةِ والصلاحِ

---

(١) سورة الأحزاب آية ٧١.

(٢) سورة مريم آية ٧٢.

(٣) سورة الأعراف آية ١٥٦.

(٤) سورة الأعراف آية ٥٦.

(٥) رواه البخاري في كِتَاب النِّكَاحِ، بَاب التَّرْغِيبِ في النِّكَاحِ ١٩٤٩/٥ (٤٧٧٦)، ومسلم في كِتَاب النِّكَاحِ ، بَاب اسْتِحْبَابِ النِّكَاحِ لِمَنْ تَاقَتْ نَفْسُهُ إليه وَوَجَدَ مُؤَنَه ١٠٢٠/٢(١٤٠١) بنحوه، وفيه بدل الصيام: وقال بَعْضُهُمْ لا آكُلُ اللَّحْمَ.

(٦) رواه أحمد في كتاب الزهد ص١٥٩، والحاكم في المستدرك ١٨٤/١، والبيهقي في السنن الكبرى ١٩/٣.

والتمسكِ بالسُّنةِ بالغُلُوِّ والتَّشَدُّدِ وليسَ الأمرُ كذلك، إذْ لا يمكنُ أن يكونَ العملُ بالسُّنةِ تشدُّدًا مَذمومًا، ولا مخالَفَتُهَا توسُّطًا محمودًا، والعبرةُ في ذلك باتِّباعِ الكتابِ والسُّنةِ وعدمِ الْحَيْدَةِ عنهما لا إلى الغُلُوِّ والتَّشْدِيدِ، ولا إلى التفريطِ والتضييعِ.

أدبُ الحرصِ عَلَى فِعْلِ المعروفِ قليلِهِ وكثيرِهِ

١٧- عن أبي ذَرٍّ ﷺ قالَ: قالَ لِيَ النبيُّ ﷺ: «لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا؛ وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ».رواه مسلم .(١)

إرشادات الحديث:

١- **الْمَعروفُ هو**: ما عُرفَ بالشَّرْعِ أنَّهُ مِنَ الْخَيْرِ، فَيَدخُلُ في عُمُومِ هذا الْحَدِيثِ مَا لا يُحْصَى مِنَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ التي يَنبغي عَلَى الْمُسْلِمِ أنْ يَحْرِصَ عَلَى فِعلِهَا بِنَفْسِهِ، أو الإعانةِ عَلَى فِعْلِهَا بِنَفْسِهِ أو بِمَالِهِ أو بِرَأْيِهِ أو بَوَلَدِهِ أو بِخَادِمِهِ أو بِغَيْرِ ذلكَ مِنَ الوَسائِلِ.

٢- يَنْهَى الرَّسولُ ﷺ الْمُسْلِمَ عَنِ التَّقْلِيلِ مِنْ شَأْنِ الْمَعْروفِ أَيًّا كانَ مِقْدَارُهُ، وذلك لأمورٍ كثيرةٍ منها:

أ- أنَّ اللهَ تعالى يُحِبُّ الْمَعروفَ كلَّه قليلَه وكثيرَه وهو مِن دِينِهِ وشَرعِهِ.

ب- أنَّ قليلَ المعروفِ عَمِلٌ صالِحٌ في نفسِهِ، وهو مِن الخيرِ المأمورِ بِهِ فلاَ يجوزُ احتقارُهُ.

ت- أنَّ نَجاةَ العبدِ مِن النَّارِ قد تكونُ في عَمَلٍ يَسيرٍ، فَعَنْ عَدِيِّ بنِ حاتم ﷺ أن النبيَّ ﷺ قالَ: «اتَّقوا النارَ ولَوْ بِشِقِّ تَمْرةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ».متفق عليه.(٢)

ث- أنَّ المعروفَ القليلَ والصغيرَ يدعو للمعروفِ الكثيرِ والكبيرِ؛ فإن الحسنةَ تقولُ: أختي أختي.

ج- أنَّ ذلك سبيلٌ إلى تعويدِ النفسِ على الخيرِ والمعروفِ حتى تعتادَهُ فيسهلَ عليها جميعُ المعروفِ.

ح- أنَّ ذلك سبيلٌ إلى أن يملأَ المسلمُ وقتَهُ ويَشغَلَه بالأعمالِ الصالحةِ، كما هو سبيلٌ إلى أن يملأَ صحيفتَهُ بذلك.

خ- أنَّ كلَّ معروفٍ يَعملُهُ فلهُ به عشرُ حسنَاتٍ، إلى مِئَةِ ضعفٍ إلى سبعِمِئَةِ ضعفٍ، إلى أضعافٍ كثيرةٍ، فكيفَ يُحتَقَرُ ما هذا شأنُهُ.

٣- العَمَلُ اليَسِيرُ مِن الْمَعْروفِ قد يكونُ كبيرًا عندَ اللهِ عزَّ وَجَلَّ، فيتضاعفُ ويعظُمُ أجرُهُ، وذلكَ بِحَسَبِ ما قامَ بالعمَلِ أو العَامِلِ مِنَ الأحوالِ، فمِن أسباب تعظيمِ العَمَلِ:

---

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء ٤/٢٠٢٦(٢٦٢٦)، وقوله: «طلق» يعني: منبسطا مبتسما.

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب ٥/٢٣٩٥(٦١٧٤)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار ٢/٧٠٣- ٧٠٤(١٠١٦).

أ- النِّيَّةِ الصَّالِحَةِ، كَمَا قالَ عبدُاللهِ بنُ المباركِ رحمه الله تعالى: رُبَّ عَمَلٍ صغيرٍ تُعَظِّمُه النِّيَّةُ، ورُبَّ عَمَلٍ كبيرٍ تُصَغِّرُه النِّيَّةُ[1].

ب- أنْ يكونَ ذلكَ غايةَ ما يستطيعُهُ العَامِلُ، أو أنَّهُ آثرَ بِهِ مَعَ حاجتِهِ.

ت- مَا يقارِنُ العَمَلَ مِنَ شِدَّةِ الحالِ، كمَا لو كانَ العملُ مُتَعَلِّقًا بشِدَّةِ حاجةِ الشخصِ، أو كانَ زَمَنَ أو مَوضِعَ حاجةٍ.

ث- أن يكون متعلِّقًا بقرابةٍ مُحتاجةٍ.

٤- للمعروفِ اليسيرِ أمثلَةٌ كثيرةٌ منها ما قد يكونُ يسيرًا في نفسِهِ، ومنها ما هو كبيرٌ ويظنُّهُ الناسُ يسيرًا، فمن ذلك:

أ- في الأعمالِ القَلبيَّةِ: محبةُ الخيرِ لأخيكَ المسلمِ، والفَرَحُ لفَرَحِهِ، والتَّأَلُّمُ لِحُزْنِهِ، والاحتسابُ في الكَسْبِ، والاحتِسَابُ في النَّفَقَةِ.

ب- في الأقوالِ: شُكرُ الناسِ والثناءُ عليهم والدُّعاءُ لهم إذا أحسَنوا، والكلمةُ الطيِّبَةُ في كلِّ شيءٍ.

ت- في الأفعالِ: التَّبَسُّمُ للناسِ عندَ اللقاءِ، والشُّرْبُ جَالِسًا، والتيامُنُ في لُبْسِ النَّعْلَينِ والجوربينِ والثيابِ ونحوِها، والتياسُر في خَلعهَا، والابتداءُ بجهةِ الفَمِ اليُمنى عند التسوُّكِ.

ث- في التُّروكِ: كفُّ الأذَى بأنواعِهِ الفِعلي والقَولي، وتركُ التَّدَخُّلِ فيما لا يعنيهِ.

٥- يَدعو الشرعُ إلى حُسنِ الخُلقِ وطِيبِ اللقاءِ، ومِن أحسنِ مظاهرِ ذلك: طلاقةُ الوجهِ وإظهارُ التَّبَسُّمِ وانشراحِ الصدرِ عندَ لِقاءِ الإخوانِ، وذلك لِمَا له مِن الأثَرِ الحسنِ على الآخرينَ، فهو يدلُّ على المحبةِ والرِّضا، وعدمِ الجفاءِ والغِلظةِ، ويُشيعُ روحَ الأُلفَةِ والمودَّةِ بينَ المتقابِلينَ، ويلطِّفُ الأجواءَ، وقد جعلَ الشرعُ هذهِ العَادَةَ الحسَنَةَ مِنَ المعروفِ والخيرِ الذي يثيبُ الله تعالى عليها، وقد يَدخلُ المرءُ بسببِهَا الجنةِ، وأحقُّ الناسِ بِهَا أهلُ بيتِهِ مِنْ والدَيهِ وزوجِهِ وولدِهِ وإخوانِهِ، ثم أصحابِهِ وخِلاَّنِه، ثم عمومِ مجتمعِهِ.

٦- كانَ الرسولُ ﷺ يُكْثِرُ التبسُّمَ ويحرصُ عليهِ، قالَ جَرِيرُ بنُ عبد اللَّهِ الْبَجَلِيُّ ﷺ: «مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، ولا رَآنِي إلا تَبَسَّمَ في وَجْهِي».متفق عليه[2]، وقال جَابِرُ بن سَمُرَةَ

(١) جامع العلوم والحكم ١/١٣، سير أعلام النبلاء ٨/٤٠٠.

(٢) رواه البخاري في كتاب الأدب، بَاب التَّبَسُّمِ وَالضَّحِكِ ٥/٢٢٦٠(٥٧٣٩)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ﷺ، بَاب من فَضَائِلِ جَرِيرِ بن عبد اللَّهِ ﷺ ٤/١٩٢٥(٢٤٧٥).

رضي الله عنهما: «كانَ النبيُّ ﷺ لا يَقُومُ مِن مُصَلاَّهُ الذي يُصَلِّي فيه الصُّبْحَ أو الْغَدَاةَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فإذا طَلَعَت الشَّمْسُ قامَ، وَكانُوا يَتَحَدَّثُونَ فَيَأْخُذُونَ في أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَيَضْحَكُونَ، وَيَتَبَسَّمُ».رواه مسلم.(١)

٧- قد يَثْقُلُ على النفسِ فِعلُ بعضِ الخيراتِ فعلى المسلمِ أن يتجَاوَزَ هذه العَقَبَةَ بالشروعِ في العَمَلِ، وتعويدِ النفسِ عليهِ حتى تعتَادَهُ، ولا يتركُ هذا الخيرَ تَرَكًا مطلقًا بحجةِ عدمِ القدرةِ عليهِ، ومن ذلكَ الاعتيادُ على التَّبَسُّمِ، والكلامِ الطيِّبِ، والصدقةِ ولو باليسيرِ، فعنْ مُعَاوِيَةَ بن أبي سُفْيَانَ رضي الله عنهما أن رسول اللَّهِ ﷺ قال: «الْخَيْرُ عَادَةٌ، وَالشَّرُّ لَجَاجَةٌ».رواه ابن ماجه وصححه ابن حبان(٢).

(١) رواه مسلم في كتب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح وفضل المساجد ١/٤٦٣(٦٧٠).

(٢) رواه ابن ماجه في المقدمة، بَاب فَضْلِ الْعُلَمَاءِ وَالْحَثِّ على طَلَبِ الْعِلْمِ ١/٨٠ (٢٢١)، وصححه ابن حبان ٢/٨ (٣١٠)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢/١٥٠(٦٥١)، وصحيح ابن ماجه (١٨١)، وصحيح الجامع (٥٦٥٩).

أَدَبُ التَّحِيَّةِ والسَّلامِ

١٨- عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «(وَالَّذِي نَفْسِي بيده) لا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، ولا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ: أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ».رواه مسلم.(١)

إرشادات الحديث:

١- لكلِّ قومٍ تَحِيَّةٌ فيما بينهم يُحَيِّي بها بعضُهم بعضًا عندَ اللِّقاءِ، وقد شَرَعَ الله ورسولُه ﷺ لنَا تَحِيَّةً تُمَيِّزنا عن غيْرِنا، وهي تحية أبينا آدم عليه السلام، أحياها رسولُ الله ﷺ، وعن عائشةَ رضي الله عنها أن النَّبِيَّ ﷺ قالَ: «مَا حَسَدَتْكُمْ اليَهُودُ عَلَى شَيءٍ مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى: السَّلامِ، والتَّأْمِينِ».رواه ابنُ ماجَهْ والبخاريُّ في الأدبِ الْمُفْرِدِ بإسنادٍ صحيح.(٢)

٢- تَحِيَّةُ الإسلامِ الكامِلَةُ هي: (السَّلامُ عَليكُمْ ورَحْمَةُ اللهِ وبَرَكَاتُهُ)، وأَقَلُّهَا: (السَّلامُ عَليكُمْ)(٣)، وكلُّ جُمْلةٍ مِنْهَا بِعَشْرِ حَسَنَاتٍ، وهي ثلاثُ جُمَلٍ، فَمَنْ جَاءَ بِهَا كاملةً فَلَهُ ثلاثونَ حَسَنةً، فلا يَنبغِي أنْ تُبْدَلَ تَحِيَّةُ الإسلامِ الْمُبَارَكَةُ بعباراتٍ أُخرَى مِثْلُ: صباحِ الخيرِ، أو مساءِ الخيرِ، أو مَرحباً، أو غيرِ ذلك، مِمَّا قَدْ يَسْتَعْمِلُهُ بعضُ النَّاسِ جهلاً أو إعراضًا مُكْتَفِينَ بِهِ عنِ السَّلامِ الْمَشْرُوعِ.

٣- ابتداءِ السلامِ سنّةٌ مؤَكَّدَةٌ(٤)، وقد وَرَدَ في ذمّ تركِ التسليمِ ما رواه أبو هُرَيرَةَ ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «أَبْخَلُ النَّاسِ مَنْ بَخِلَ بِالسَّلامِ»(٥). وأمَّا رَدُّ السلامِ فهو واجبٌ عَيْنًا إذا قُصِد بهِ شخصٌ واحدٌ، وواجبٌ على الكفايةِ إن قُصِد به جماعةٌ، فإنْ ردَّ جميعُهم فهو أفضلُ.

٤- الواجبُ في رَدِّ السلامِ أن يكونَ مثلَ السَّلامِ، وإنْ زَادَ عليهِ فهو أفضلُ، فمَنْ سلّم فقالَ:

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ١/٧٤ (٥٤)، وما بين قوسين من رواية أخرى له في الموضع نفسه.

(٢) رواه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها،باب الجهر بآمين١/٢٧٨(٨٥٦)، وإسحاق بن راهويه في مسنده ٢/٥٤٠، وعنه البخاري في الأدب المفرد ١/٣٤٢(٩٨٨)، ورواه ابن خزيمة ١/٢٨٧(٥٧٤) مطولا، قال البوصيري(مصباح الزجاجة ١/١٠٦): هذا إسناد صحيح احتج مسلم بجميع رواته، وقال المنذري(الترغيب والترهيب ١/١٩٤): إسناده صحيح.

(٣) انظر: الآداب الشرعية ١/٣٦٠.

(٤) ينظر: غذاء الألباب ١/٢٧٥.

(٥) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٦/٤٢٩(٨٧٦٧)، والطبراني الدعاء ص٣٩(٦٠)، والمعجم الأوسط ٥/٣٧١، وقال المنذري(الترغيب والترهيب ٣/٢٨٨): إسناده جيد قوي، وجوّد إسناده السفاريني في غذاء الألباب ١/٢٧٦، ورواه الطبراني الدعاء ص٣٩(٦١)، والمعجم الأوسط ٣/٣٥٥ من حديث عبد الله بن مغفل ﷺ، قال المنذري في (الترغيب والترهيب ١/١٩٨): إسناده جيد، وجوّد إسناده السفاريني في غذاء الألباب ١/٢٧٦، ولأحمد ٣/٣٢٨، والحاكم ٢/٢٤ معناه عن جابر ﷺ، قال السفاريني في غذاء الألباب ١/٢٧٦: إسناده لا بأس به، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٠١)، وقد رواه ابن أبي شيبة ٥/٢٤٨(٢٥٧٤٧)، وابن حبان موقوفا على أبي هريرة ١٠/٣٥٠(٤٤٩٨).

(السلامُ عليكم ورحمةُ الله)، فجوابه الواجب: (وعليكم السلامُ ورحمةُ الله)، وإن زَادَ: (وبركاتُهُ)، فهو أفضلُ، لكنْ لا يجوز الاقتصار في الجواب على: (وعليكم السلامُ) فقط؛ لأنها دونَ السَّلامِ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[1]، قال ابنُ كثير رحمه الله تعالى: أي: إذا سلّم عليكم المسلِّم فرُدُّوا عليه أفضلَ مما سلَّم، أو ردُّوا عليه بمثلِ ما سلَّم، فالزيادةُ مندوبةٌ، والمماثلةُ مفروضةٌ.اهـ

٥- السُّنَّةُ إفشاءُ السَّلامِ وإظهَارُهُ وإعلانُهُ بَيْنَ النَّاسِ، حَتَّى يكونَ شِعَارًا ظاهِرًا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، لا تُخَصُّ بِهِ فِئَةٌ دونَ أُخْرَى، أو كبيرًا دونَ صَغِيرٍ، ولا مَنْ يُعْرَفُ دُونَ مَن لا يُعْرَفُ، فعن عبدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ العاص رضي الله عنهما أن رجلاً سأَلَ رسولَ اللهِ ﷺ: أيُّ الإسلامِ خيْرٌ؟ قالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وتَقْرَأُ السَّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ ومَن لَمْ تَعْرِفْ».متفق عليه[2].

٦- الأفضلُ في الابتداءِ بالسَّلامِ: أن يسلّم الصغيرُ على الكبيرِ، والماشي على الجالسِ، والراكبُ على الماشي، والقليلُ على الكثيرِ، فعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى الْمَاشِي، وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ». متفق عليه[3]، وفي رواية للبخاري: «يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ».[4]

٧- لِمشروعيةِ السلامِ حِكَمٌ وفوائدُ متعددةٌ أشارَ الحديثُ إلى أهمها وهي: إشاعةُ المحبةِ والأُلفةِ بينَ المسْلِمينَ، وله فوائدُ أخرى منها:

أ- أنهُ تحيةٌ شرعيةٌ بين المتلاقِيينِ، وذلك لأنه لا بُدَّ عندَ اللِّقَاءِ مِن كَلِمَاتٍ لِلتَّرْحيبِ والإشعَارِ بالمودَّةِ، فاختارَ الشرعُ هذه التحيةَ مقدَّمَةً على غيرها مِن التَّحَايا التي اعتَادها الناسُ.

ب- فيهِ إشعارٌ بالحضورِ إلى المكانِ، أو الدخول إلى المجلس ونحوِه.

ت- فيهِ إشعارٌ بالأمانِ والسَّلامِ مِن الداخلِ للمدخولِ عليه.

٨- من المخالفات الشرعية في السلام:

---

(١) سورة النساء آية ٨٦ ، وكلام ابن كثير في تفسيرها، ونحوه ما ذكره القرطبي في تفسير هذه الآية ٥/٢٩٩ مع بعض زيادات.

(٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب إفشاء السلام من الإسلام (الفتح ١/٨٢) رقم (٢٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب تفاضل الإسلام ١/٦٥ (٣٩).

(٣) رواه البخاري في كِتَاب الاسْتِئْذَانِ، بَاب يسلم الرَّاكِبِ على الْمَاشِي ٥/٢٣٠١(٥٨٧٨)، ومسلم في كِتَاب السَّلامِ، بَاب يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ على الْمَاشِي وَالْقَلِيلُ على الْكَثِيرِ ٤/١٧٠٣(٢١٦٠).

(٤) رواه البخاري في كِتَاب الاسْتِئْذَانِ، بَاب تَسْلِيمِ الْقَلِيلِ على الْكَثِيرِ ٥/٢٣٠١(٥٨٧٧)، وفي بَاب يسلم الصَّغِيرِ على الْكَبِيرِ ٥/٢٣٠٢(٥٨٨٠).

أ- الاكتفاءُ بالإشارةِ باليدِ أو الرأس دون التلفُّظِ بالسلام.

ب- ترك رد السلام على من لا يعرفه، أو الاستنكار عليه إذا سلَّم.

ت- السلام على الكافر بلفظ: (السلام عليكم)، ويجوز أن يسلم عليه بلفظ: (السَّلامُ على مَنِ اتَّبَعَ الهدَى)، أو تحيته بغيرِ السَّلامِ مثلُ: مساءِ الخيرِ، وصباحِ الخيرِ، وإذا سلم علينا نرد عليه بـ:(وعَليكُمْ)، وإذا حيانا بأي تحية فيُحيَّا بمثلها.

ث- ترك إعادةِ السلامِ إذَا افترقَ الشخصانِ ثُمَّ تَقَابَلا، أو الإنكار على من أعاد السلام بعد التفرق.

ج- الاكتفاء في رد السلامَ بقوله: أهلاً ومَرحبًا، ولا بأسَ بقولِها مع رد السلام.

ح- مصافحة النساء غير المحارم.

أَدَبُ الْعِلْمِ والتَّعَامُلِ مَعَ العُلَمَاءِ

١٩- عن عبدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ العاصِ رضي الله عنهما قالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «إِنَّ اللَّهَ لا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ الناسُ رُؤوسًا جُهَّالاً فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا».متفق عليه.(١)

إرشادات الحديث:

١- المرادُ بالعِلمِ في الحديثِ: العِلمُ الشرعيُّ المأخوذُ مِنَ الكتابِ والسُّنةِ، وهو أفضلُ العلومِ وأهمُّها، وأشرفُها وأرفعُها وأجلُّها، وذلك لأنه العِلمُ الموصلُ إلى معرفةِ الله تعالى وشريعتِهِ، وهو السبيلُ إلى الوصولِ إلى الغايةِ التي لأجلِهَا خلقَ اللهُ الخلقَ وهي: عبادتُهُ بِما يحبهُ ويرضَاهُ، فَحَرِيٌّ بكلِّ مسلمٍ أنْ يكونَ لَهُ نَصيبٌ مِن العِلم الشرعيِّ ليرتَقي بِهِ في دَرَجاتِ الكَمَالِ.

٢- للعُلماءِ في الشريعةِ الإسلامية مكانةٌ عظيمةٌ، تتبين فيما يلي:

أ- أنَّ اللهَ تعالى رَفَعَ دَرَجةَ العُلماءِ على غيرِهِمْ، فقال: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)(٢).

ب- أن اللهَ تعالى اسْتَشْهَدَهُمْ على أعظَمِ حَقيقَةٍ وأجلِّ قَضِيَّةٍ وهي قَضِيَّةُ التوحيدِ، وجَعَلَهمْ في مَصَافِّ الملائِكَةِ الكِرامِ حينَ قَالَ: (شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ). (٣)

ت- أنَّ العُلَمَاءَ هُمْ أهلُ الخشيةِ الكَامِلَةِ، قال تعالى: (إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ)(٤).

ث- أنَّ العُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الأنبياءِ عليهم السلامُ، وميراثُ الأنبياءِ هو العِلْمُ.

ج- أنَّ العُلَمَاءَ هُمْ الدعاةُ الحقيقيونَ، وهم الذينَ يبلِّغونَ شرعَ اللهِ تعالى للناسِ، ويُبَيِّنُونَ للناسِ مُرَادَ اللهِ مِنْ خَلْقِهِ.

---

(١) رواه البخاري في كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم ١/٥٠(١٠٠)، ومسلم في كتاب العلم ،باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان ٤/٢٠٥٨(٢٦٧٣) .

(٢) سورة المجادلة آية ١١.

(٣) سورة آل عمران آية ١٨.

(٤) سورة فاطر آية ٢٨.

ح- أنَّ العُلَمَاءَ هُم الذينَ يجدِّدُونَ مَا يَنْدَرِسُ مِن مَعَالِمِ الدِّينِ، ويقاومونَ البِدَعَ والخرَافَاتِ، ويَنْفُونَ عَنِ الدِّينِ الانْحِرَافَاتِ والضَّلالاَتِ.

٣- لِعِظَمِ مَكانةِ العلمَاءِ في الإسلامِ فقدْ كاَن السَّلَفُ رحمهم الله تعالى يُجِلُّونَهُمْ ويُحِبُّونَهم، ويعرفونَ لهم مَكَانَتهم، ومما روي عنهم في ذلك:

أ- قال الإمامُ أحمدُ بن حنبل: إنما الناسُ بشيوخِهم، فإذا ذَهَبَ الشيوخُ تُودعَ مِنَ العَيشِ.[١] وقالَ أيضا: إنما يَحيَا الناسُ بالمشايخِ، فإذَا ذَهَبَ المشايخُ فمَاذا بَقِي؟[٢]

ب- كان الإمام أحمد رحمه الله تعالى يدعو للشافعيِّ كلَّ يومٍ، وكان يقولُ: سِتَّةٌ أدعو لهم سَحَرًا أحدُهم الشافعيُّ، فلَمَّا استغرب ولده عبد الله مِن ذلك سأله فقالَ: يا أبي أيُّ رجلٍ كان الشافعيُّ؛ فإني سمعتكَ تكثرُ مِن الدعاءِ له؟ قالَ: يا بُنَيَّ كانَ كالشمسِ للدُّنيا، وكالعافيةِ للناسِ، فهلْ لهذين مِنْ خَلَفٍ، أو منهما عِوَضٌ. [٣]

ت- قال الحسين الكرابيسي: مَثَلُ الذين يذكرونَ أحمدَ بنَ حنبل(يعني بسوء) مَثَلُ قومٍ يجيئون إلى[جبل] أبي قبيسٍ يريدونَ أن يهدِموه بِنعالِهِمْ. [٤]

ث- كَتَبَ عبدُ الرحمن بنُ عمر الأصبهاني المعروف بـ: (رُستهْ) إلى الإمام أبى زُرعةَ الرازيِّ: اعلمْ رحمكَ الله أني ما أكادُ أنساكَ في الدعاءِ لكَ ليلي ونهاري أن يمتَّعَ المسلمونَ بطولِ بقائِكَ، فإنه لا يزالُ الناسُ بخيرٍ ما بقي مَن يعرفُ العِلم وحقَّهُ مِن باطِلِهِ، ولولاَ ذاكَ لذهَبَ العِلمُ، وصارَ الناسُ إلى الجهلِ.[٥]

ج- قال محمد بنُ مسلم: ما فَاتنى الدعاءُ لأبي زرعةَ في شيءٍ مِنْ صلواتِ الفرائضِ منذ ماتَ أبو زرعةَ إلا أمسِ، فإني كنتُ في التشهد فدَخَلَ عليَّ بعضُ الناسِ فاشتغلَ به قلبي فنسيتُ الدعاءَ، ثم دعوتُ له بعدَ ما صلَّيتُ.[٦]

٤- حاجةُ الناسِ لِلعلمِ والعلماءِ أشَدُّ مِنْ حاجتِهِمْ لكلِّ شيءٍ، وذلكَ لأنهُ لا وصولَ إلى الله تعالى إلا بطريقِ العِلمِ، ولا وصولَ إلى جنَّتِهِ ورضوانِهِ إلا بالعِلمِ، وإنما يُبَلِّغُ العِلْمَ وينشرُهُ في النَّاسِ العُلَمَاءُ

---

(١) طبقات الحنابلة ١/٢٧٤.

(٢) الآداب الشرعية ٢/١٤٢.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٠/٤٥.

(٤) تأريخ مدينة دمشق ٥/٣٢٢.

(٥) الجرح والتعديل ١/٣٤١.

(٦) الجرح والتعديل ١/٣٤٢.

الرَّبَّانيونَ، قالَ الإمامُ أحمدُ: النَّاسُ مُحتاجونَ إلى العِلْم أكثرَ مِن حاجتِهِمْ إلى الطَّعامِ والشرابِ؛ لأنَّ الطعامَ والشرابَ يُحتاجُ إليهِ في اليومِ مرَّةً أو مَرَّتينِ، والعِلمُ يُحتاجُ إليهِ في كلِّ ساعةٍ.(١) وقال الإمامُ الشافعيُّ: لا تسكنَنَّ بَلَدًا لا يكونُ فيه عالِمٌ يفتيكَ عن دِينكَ، ولا طبيبٌ ينبئكَ عن أمرِ بَدَنِكَ.(٢)

٥- إذا فُقِدَ العلماءُ الربانيونَ قَلَّ العِلمُ، وانتشرَ الجهلُ، وكثُرتِ البدعُ، وابتعدَ الناسُ عن الشريعةِ، وتصدَّرَ الجاهلونَ فَفَتَنُوا الناسَ عن الدِّينِ الحقِّ بِأقوالهم وأفعالهم، ولذلك فإنَّ على عمومِ الأمَّةِ وولاةِ أمرِهَا خاصَّةً الحرصُ على توافُرِ العلماءِ في البِلادِ، وذلكَ بالتشجيعِ على طلبِ العِلمِ الشرعيِّ وبَذْلِ أسبابِهِ، وتشجيعِ العُلماءِ على نَشْرِ العِلْمِ، وتيسيرِ أسبابِهِ لهم، وتركِ إيذائِهم ومضَايَقَتِهِمْ بكلِّ سبيلٍ، والدِّفاعِ عن حُرمتِهِمْ في وجهِ السُّفَهَاءِ والمغرِضينَ، وذلك حتَّى لا يتناقصَ العلماءُ ويذهبوا، وبِذهابهم يعمُّ الجهلُ ويسودُ الظلامُ.

٦- يجبُ تكريمُ العلماءِ، وتعظيمُهم بما عظَّمَهُمْ بهِ الله تعالى، ويحرمُ إيذاؤهم بأيِّ نوعٍ مِنَ الأذى، وللعلماءِ حُرمتانِ: حُرْمَةُ الإسلامِ، وحُرْمَةُ العِلْمِ، وقد رَفَعَ الله مكانَتَهُمْ فلا يجوزُ لأحدٍ أنْ يُذِلَّهُمْ أويَضَعَ مِن مَكَانَتِهِمْ، وبِعِزِّهِمْ ورِفْعَتِهِمْ يَعِزُّ الدِّينُ، وبإذلاَلِهِمْ يذِلُّ الدِّينُ لأنَّهُمْ حَمَلَتُهُ ورافعوا رايَتِهِ.

٧- القولُ في الدِّينِ بغيرِ عِلْمٍ ضَلالٌ في النَّفْسِ وإضلالٌ لِلْخَلقِ، وهو مِن أعظمِ والذنوبِ حتَّى إنَّ الله جل وعلاَ قَرَنَهُ بأعظمِ الفواحشِ والمنكراتِ، وجعَلَهَ قرينَ الشركِ بالله تعالى، فقال تعالى:(قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)(٣)، وذلكَ لأنهُ افتراءٌ على الله تعالى، ونِسْبَةُ شيءٍ إلى دِينِهِ بغيرِ عِلْمٍ، قال تعالى: (وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ) ثم هدَّدَهم الله تعالى بأعظمِ تهديدٍ فقال: (إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ)(٤).

٨- على المسلمِ أن يَسلُكَ الأدَبَ الشَّرعيَّ فيقولَ فيمَا لا يعلَمُهُ: (لا أَدْرِي)، ويربِّي نَفْسَهُ عَلَى ذلكَ حَتَّى يَتَعوَّدَهُ، وقدْ قالَ هذهِ الكلمةَ سيِّدُ الناسِ ﷺ وساداتُ العُلماءِ السابقينَ وهُمْ قُدْوَتُنَا وسَلَفُنَا، فعن جُبيرِ بن مُطعِمٍ رضي الله عنه أنَّ رجلاً سألَ النَّبيَّ ﷺ فقالَ: أيُّ البِلادِ شَرٌّ؟ قالَ النَّبيُّ ﷺ: «لا

---

(١) ينظر: مفتاح دار السعادة ٦١/١، وطبقات الحنابلة ١٤٦/١، والمقصد الأرشد ٣٥٥/١، والآداب الشرعية ٤٤/٢.

(٢) آداب الشافعي لابن أبي حاتم الرازي ص٣٢٢، ومن طريقه ابن عساكر في تأريخ مدينة دمشق ٤١٠/٥١.

(٣) سورة الأعراف آية ٣٣.

(٤) سورة النحل آية ١١٦.

أَدْرِي حَتَّى أَسْأَلَ» فَسَأَلَ جبريلَ عليهِ السلامُ عن ذلكَ، فقالَ: «لا أَدْرِي حَتَّى أَسْأَلَ رَبِّي» فانطلَقَ فَلَبِثَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ جَاءَ، فقالَ: «إنِّي سَأَلتُ رَبِّي عن ذلكَ فقالَ: شَرُّ البِلادِ الأسْواقُ»،رواه أحمدُ وغيرُه وحسَّنهُ ابنُ حَجَرٍ(١)، قال أبو عبد الله الْحاكم رحمه الله في الْمُسْتَدْرَكِ على الصَّحيحينِ: هذا الحديثُ أَصْلٌ في قولِ العَالِمِ: (لاَ أدْرِي).

٩- لقد أوجبَ اللهُ على الجاهلينَ أن يسألوا أهلَ العِلمِ فقالَ تعالى: (فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ)(٢)، وفي هذا تنبيهُ إلى أمرينِ:

الأول: أن لاَّ يَبقى الجاهلُ على جهلِهِ أو يعملَ بالجهلِ، بل ينبغي له السؤالُ حتى يعلمَ.

الثاني: أهميةُ أخذِ العِلمِ عن أهلِهِ العالمينَ به، فإنَّ الله تعالى أمَرَ بسؤالِ العلمَاءِ، ولَمْ يأمُرْ بسؤالِ غيرِ المعروفينَ بالعلم؛ فضلاً عنْ أهْلِ الجَهْلِ، فلا يَجوزُ لِلْمُسْلِمِ أن يسألَ مَن لاَّ عِلْمَ عِندَهُ لِمَا يُسَبِّبُهُ لَهُ مِن الضلالِ عن دِينِ اللهِ تعالى، يقولُ الإمامُ مُحَمَّدُ بنُ سِيرينَ رحمه الله تعالى مقرِّرًا هذِهِ الْمسألَةَ: «إنَّ هذا العِلْمَ دِينٌ، فانظروا عمَّنْ تأخُذونَ دِينَكُم».(٣)

١٠- على العالِمِ وطالبِ العِلمِ إذا سُئِلَ عن مسألةٍ أن يَتَرَيَّثَ فيها ولاَ يَتَعَجَّلَ بالفتوى حَتَّى تَتَبَيَّنَ له المسألةُ، قال ابنُ عيينةَ وسَحنونُ: أجْسَرُ الناسِ على الفُتيا أَقَلُّهمْ عِلْمًا.(٤)وكان السلفُ رحمهم الله حريصينَ على التثبتِ في الفُتيا، فمِمَّا روي عنهم:

أ- عن نافعٍ أن رجلاً سألَ ابنَ عمرَ عن مسألةٍ، فطأطأَ رأسَهُ ولم يجبهْ حتَّى ظن الناسُ أنه لَم يسمع مسألتَهُ، فقالَ له: يرحمكَ الله، أما سمعتَ مَسألتي؟ قالَ: بلى، ولكنَّكُم كأنَّكم تَرونَ أنَّ الله تعالى ليسَ بسائِلِنَا عمَّا تسألونَا عنه، أُتركنَا رَحمكَ الله حتَّى نَتَفَهَّمَ في مَسألَتِكَ، فإنْ كانَ لها جوابٌ عندنَا وإلاَّ أعلمنَاكَ أنهُ لا عِلمَ لنَا بِهِ. (٥)

ب- جاءَ رجلٌ إلى القاسمِ بنِ محمدٍ فسأله عن شيءٍ، فقالَ القاسمُ: لا أُحْسِنُهُ، فجَعَلَ الرجُلُ يقول: إني دُفعتُ إليكَ لا أعرفُ غيرَكَ، فقالَ القاسمُ: لا تَنظُرْ إلى طُولِ لِحْيَتِي، وكثرةِ الناسِ حَوْلِي،

---

(١) رواه أحمد ٨١/٤، والحاكم ٨٩،٩٠/١، والبزار (كشف الأستار ٨١/٢)، والطبراني في الكبير ١٢٨/١، قال الحافظ بن حجر (في موافقة الْخُبْرِ الْخَبَرَ في تخريج أحاديث المختصر ١٠/١، ١١): هذا حديث حسن، وقد ذكر في هذا الكتاب جملة من الآثار عن السلف في الموضوع، وانظر أيضاً: سنن الدارمي ٣٥/١-٥٦ باب الفتيا وما فيه من الشدة.

(٢) سورة النحل آية ٤٣، وسورة الأنبياء آية ٧.

(٣) رواه مسلم في مقدمة الصحيح ١٤/١.

(٤) بدائع الفوائد ٣ / ٧٩٣.

(٥) صفة الصفوة ٥٦٦/١.

والله لا أُحْسِنُهُ، فقالَ شيخٌ من قريشٍ جالسٌ إلى جنبهِ: يا ابنَ أخي الزَمْهَا، فوالله ما رأيتُ في مجلسِ أبيكَ مثلَ اليومِ، فقالَ القاسمُ: والله لئنْ يُقطعَ لساني أحبُّ إليَّ مِنْ أن أتكلَّم بما لا أعلمُ.[1]

ت- قال حماد: سئلَ أيوبُ السَّختَيانيُّ عن مسألةٍ فسكَتَ، فقال الرجلُ: يا أبا بكر لَمْ تفهم! أعيدُ عليكَ! فقال أيوبُ: قد فهمتُ، ولكني أفكرُ كيفَ أُجيبُكَ.[2] وقال حماد: دعَا بعضُ الأمراءِ أيوبَ فشاوَرَهُ في شيءٍ، فقالَ: ما سمعتُ فيهِ شيئًا أحدِّثُكَ به، فقالَ: فرأيكَ، قالَ: ليسَ لي فيه رأيٌ، قال: فاذهَبْ.[3]

ث- قال يعقوبُ بنُ بُختان: سألتُ أحمدَ بن حنبل عن مسألةٍ، فقالَ: يقالُ إن العِلْمَ خزائنٌ، والأسئلةُ تفتحُهُ، دَعْنِي حتَّى أنظرَ فيهَا.[4] وقال أحمد: ربما مكثتُ في المسألةِ ثلاثَ سنينَ قبلَ أن أعتقدَ منهَا شيئًا.[5]

---

(1) بدائع الفوائد ٣ / ٧٩٣ونقلها عن ابن عبدالبر.

(2) المعرفة والتاريخ ١٣٨/٢.

(3) المعرفة والتاريخ ١٣٨/٢.

(4) طبقات الحنابلة ٤١٦/١.

(5) مناقب أحمد لابن الجوزي ص٣٥٩.

أَدَبُ الاهْتِمَامِ بِالْوَقْتِ

٢٠- عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قالَ: قالَ النَّبِيُّ ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِن الناس: الصِّحَّةُ، وَالْفَرَاغُ».رواه البخاري.(١)

إرشادات الحديث:

١- الْغَبْنُ هو: النَّقْصُ والْخَسَارَةُ، وَمَعْنَى الحديثِ: أنَّ كثيرًا مِن الناسِ خاسرونَ حيثُ إنَّهم لَمْ يستفيدوا مِن هاتَيْنِ النِّعمتينِ، وهُمَا: الصحةُ والفراغُ، فهم يُضَيِّعُونَ أوقاتَهم أيامَ صِحَّتِهِمْ، ويُضَيِّعُونَ وَقْتَ فَراغِهِمْ، فلا هُمْ استَفَادوا منهُ في أمْرِ دِينِهِمْ وهو الأهمُّ، ولا في أمْرِ دُنياهُمْ، يقولُ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضي الله عنه: إنِّي لأَمقتُ الرَّجُلَ أن أَرَاهُ فَارِغًا؛ ليسَ في شيءٍ مِن عَمَلِ الدُّنْيا، ولا عملِ الآخِرةِ.(٢)

٢- سَبَبُ الاهتمامِ بالوقتِ أَنَّهُ الزَّمَنُ الذي تَقَعُ فيه الأعمالُ، وهذهِ الأعمالُ (خيرُها وشرُّها) هي التي يُقدِّمَهَا البَشَرُ لينالُوا بِهَا جزاءَ الخالقِ جلَّ وعَلا، وفي حديثِ أبي بَرْزَةَ الأسلميِّ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يوم الْقِيَامَةِ حتى يُسْأَلَ (عَنْ أَرْبَعٍ): عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ من أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاهُ».رواه الترمذي وصحَّحه(٣)، وإذا عَرَفْنَا هذا تَبَيَّنَ لنا أهَمِّيةُ الوقتِ، فهو في الْحَقيقَةِ حياتُنا عَلَى هذهِ الأرضِ لِكَيْ نُقَدِّمَ فيها مَا يُوصِلُنَا إلى الغَايَةِ الَّتِي لأَجْلِهَا خُلِقْنَا، فَ (الوقتُ هو الْحَيَاةُ).

٣- رأى شريح بن عبد الله القاضي المشهور جيرانًا له يجولون[يدورون في الشارع من الفراغ فاستغرب ذلك عليهم] وقال لهم: مالَكُمْ تجولون؟! فقالوا له: فَرَغْنَا اليوم! فقال لهم شريح رحمه الله: وبهذا أُمِرَ الفارغ!! (٤) يشير إلى قوله تعالى: (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ. وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ) (٥)، قال

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب ما جاء في الصحة والفراغ وأن لا عيش إلا عيش الآخرة ٥/٢٣٥٧(٦٠٤٩).

(٢) رواه ابن أبي شيبة ٧/١٠٨(٣٤٥٦٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/١٣٠، والطبراني في المعجم الكبير ٩/١٠٣.

(٣)رواه الترمذي في كِتَاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ، بَاب ما جاء في شَأْنِ الْحِسَابِ وَالْقِصَاصِ ٤/٦١٢(٢٤١٧)، والدارمي في المقدمة، باب من كره الشهرة والمعرفة ١/١٤٤، وأبو يعلى ١٣/٤٢٨(٧٤٣٤)، والرُّوْيَاني في مسنده ٢/٣٣٧(١٣١٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١٠/٢٣٢ ، وزيادة (عن أَرْبَعٍ) لهما، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في الصحيحة (٩٤٦)، وصحيح الجامع (٧٣٠٠)، وصحيح الترغيب والترهيب (١٢٦).

(٤) الزهد لهناد بن السري ٢/٣٥٧.

(٥) سورة الشرح الآيتان ٧-٨.

ابن كثير: إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها وقطعت علائقها فانصب في العبادة، وقم إليها نشيطا فارغ البال، وأخلص لربك النية والرغبة. [1]

٤- مِن النَّماذِجِ الْحَسَنَةِ في استثمارِ الوقتِ:

أ- تلكَ الكَلمةُ التي قَالَها شيخُ الحنابلةِ في وقتِهِ أبو الوَفاءِ عليُّ بنُ عقيلٍ-رحمه الله- لتكونَ نِبْرَاسًا لِذَوِي الْهِمَمِ العالِيَةِ، وتقويةً لِعزيمَةِ أصحابِ الْهِمَمِ الفَاتِرَةِ؛ يقولُ مُخْبِرًا عن نَفْسِهِ: إنِّي لا يَحِلُّ لي أنْ أُضَيِّعَ ساعةً مِن عُمُرِي؛ حَتَّى إذَا تَعَطَّلَ لِسَانِي عَن مُذاكَرَةٍ وَمُنَاظَرَةٍ، وبَصَرِي عَن مُطَالَعَةٍ، أَعْمَلْتُ فِكري في حَالِ رَاحَتِي وأنَا مُنْطَرِحٌ، فلا أنهضُ إلا وقد خَطَرَ لي مَا أُسَطِّرُهُ[2].اهـ ولذلكَ لَمَّا احْتُضِرَ هذا الإمامُ بَكَى النساءُ فَقَالَ: قد وقَّعْتُ عنهُ خمسينَ سَنَةً (يعني أنه كان يعلِّم الناس دينَ الله، ويُفْتِيهم فيه ويرشدهم إليه)، فدَعوني أتَهَنَّأُ بِلِقَائِهِ.[3]

ب- قال عُبيدُ بنُ يعيش: أقمت ثلاثين سنة ما أكلت بيدي بالليل، كانت أختي تُلْقِمني وأنا أكتب.[4]

ت- قال عبدُ الرحمنِ بنُ أبي حاتِمٍ الرازيُّ عن حالِهِ مع أبيه: ربما كانَ يأكلُ فأقرأُ عليهِ، ويمشي وأقرأُ عليهِ، ويدخلُ الخلاءَ وأقرأُ عليهِ، ويدخلُ البيتَ لطلبِ شيءٍ وأقرأُ عليهِ. [5]

ث- قال عبدُ الرحمن بن أبي حاتِمٍ: كنَّا بمصرَ سبعةَ أشهرٍ، لم نأكلْ فيها مَرَقَةً، كلُّ نهارِنا مقسَّمٌ لمجالسِ الشيوخِ، وبالليلِ النسخُ والمقابَلَةُ، قالَ: فأتينا يومًا أنا ورفيقٌ لي شيخًا، فقالوا: هو عليلٌ، فرأينَا في طريقِنَا سمكًا أعجبنا، اشترياه، فلمَّا صِرْنا إلى البيتِ حَضَرَ وقتُ مجلسٍ، فلم يمكنَّا إصلاحُهُ، ومضينَا إلى المجلسِ، فلم نزلْ حتى أتى عليهِ ثلاثةُ أيامٍ، وكادَ أن يتغَيَّر، فأكلناهُ نِيئًا، لم يكنْ لنَا فراغٌ أن نعطيَهُ مَن يشويهِ، ثم قالَ: لا يستطاعُ العِلمُ براحةِ الجسَدِ[6].

---

(1) تفسير ابن كثير ٥٢٧/٤.

(٢) شذرات الذهب ٣٧/٤.

(٣) المصدر السابق ٣٩/٤.

(4) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١٧٨/٢(١٥٤٢)، سير أعلام النبلاء ٤٥٩/١١، و عبيد بن يعيش المحاملي أبو محمد الكوفي العطار أحد الثقات؛ من شيوخ البخاري ومسلم، روى له مسلم في الصحيح، والبخاري خارج الصحيح، مات سنة ثمان وعشرين أو بعدها بسنة. (تقريب التهذيب ص٣٧٨، تهذيب الكمال ٢٤٩/١٩).

(٥) سير أعلام النبلاء ٢٥١/١٣.

(٦)المصدر السابق ٢٦٦/١٣.

ج- قال ابنُ القيِّم: حدثني أخو شيخِنا عبدُ الرحمن بن تيميَّةَ عن أبيه قالَ: كان الجدُّ إذا دَخَلَ الخلاء يقولُ لي: اقرأ في هذا الكتابِ وارفعْ صوتَكَ حَتَّى اسمع.(١)

ح- قال ابنُ القيِّم: أعرفُ مَن أصابَهُ مرضٌ مِنْ صُداعٍ وحُمَّى وكانَ الكتابُ عندَ رأسِهِ فإذا وَجَدَ إفاقَةً قَرَأَ فيهِ فإذَا غُلِبَ وضعهُ، فدخل عليه الطبيبُ يومًا وهو كذلك فقال: إن هذا لا يَحِلُّ لكَ فإنكَ تعينُ على نفسِكَ، وتكون سببًا لفواتِ مطلوبِكَ.(٢)

خ- قال ابنُ القيِّم: حدثني شيخُنا قال: ابتدأني مرضٌ فقالَ لي الطبيبُ: إن مطالَعَتَكَ وكلامَك في العِلم يزيدُ المرضَ. فقلتُ له: لا أصبرُ على ذلك، وأنا أحاكِمُكَ إلى عِلمكَ، أليستْ النفسُ إذا فَرِحَتْ وسُرَّتْ قَوِيَتِ الطبيعةُ فدفعَتِ المرَضَ؟ فقالَ: بلى. فقلتُ له: فإنَّ نفسي تُسَرُّ بالعِلْمِ فتقوَى به الطبيعةُ فأجدُ راحةً، فقالَ: هذا خارجٌ عن عِلاجنا أو كما قال.(٣)

٥- مِن الأسبابِ المعينةِ على الاهتمام بالوقتِ:

أ- استشعارُ مسؤوليةِ الإنسانِ عن وقته يومَ القيامةِ.

ب- تذكُّرُ حال الإنسان في الآخرة، وأنه بحاجة إلى كلِّ لحظةٍ من لحظات الدنيا يتمنى لو عمِلَ فيها صالحًا يرفعه فوقَ ما هو فيه، أو يخلِّصه مما هو فيهِ.

ت- مجالسةُ المهتمينَ بأوقاتهم، أو قراءةُ سِيَرِهِمْ.

ث- تعويدُ النفسِ على استغلالِ الوقتِ بما هو نافعٌ، فالخيرُ عادَةٌ.

ج- وضعُ برامجَ متنوعةٍ على الْمَدى القصير والطويل، وإشغالُ النفسِ بها.

ح- مشاركةُ الآخرينَ الجادِّين في البرامجِ النافعةِ، فإن الإنسانَ قد يَمَلُّ إذا كان منفردًا ببرامجه.

خ- الاستعانةُ بالله تعالى ودعاؤُه واللجوءُ إليه ليرزقَكَ الاهتمامَ بالوقتِ.

٦- لتضييع الوقت أسبابٌ كثيرة منها:

أ- عدمُ وضوحِ الغايةِ، أو عدمُ وجودِها، أو عدمُ التفكير فيها، أو عدمُ الانشغال بها والسعي لأجلها، وهذا أعظمُ سببٍ لضَياعِ الأوقاتِ، فمَنْ حدد هدفاً يسعى إليه – أيًّا كان الهدف – فإنه لنْ يضيعَ وقته، فالطالبُ الذي يريد التفوُّقَ لا يُكثرُ اللهوَ، ومَن يريدُ الزواجَ يسعى لتحصيلِهِ بأسبابه، ومَن يريد أن يكون تاجرًا فإنه يسعى لتحصيل ذلك، وهكذا، فحري بمن غايته الوصولُ

(١) روضة المحبين ص٧٠.

(٢)المصدر السابق ص٧٠.

(٣)المصدر السابق ص٧٠.

إلى الجنةِ ونعيمِها أن يسعى جادًا لتحصيلها، قال تعالى: (سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)[1]، ومَن كان في مسابقةٍ لَم يضيع فرصةَ الحياة، وفي الحديث عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، ألاَ إنَّ سِلْعَةَ اللهِ غاليةٌ، ألاَ إنَّ سِلْعَةَ اللهِ الْجَنةُ».رواه الترمذي.[2]

ب- قِلَّةُ الأعوانِ على استغلالِ الوقتِ، ومرافقةُ غيرِ الجادّين الذين يضيِّعون الأوقاتَ سدى، ولا يستفيدونَ مِن عمرهم.

ت- عدمُ معرفةِ ما ينبغي أن يشغلَ به الإنسانُ وقتَه.

ث- كثرةُ الملهياتِ والمغرياتِ فإذا انشغلَ بها المؤمنُ ضاعَ وقتُهُ وخسرَ عمُرَهُ.

٧- صورُ استغلال الوقت أكثرُ مِن أنْ تحصَرَ، ومنها: المحافظةُ على الصلوات في الجماعة، والتبكيرُ إلى المسجد وذكرُ الله، وقراءةُ القرآن، وخدمةُ الوالدين، وصلةُ الأرحام، والزياراتُ النافعةُ، وعيادةُ المرضى، والتعلّمُ، والتعليمُ، والانشغالُ بالدعوة إلى الله تعالى، والأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر، والتفكّرُ في خلق الله، والتفكيرُ في مصالح نفسك، ومصالح أمتك، والعملُ النافعُ المنتجُ، وكتابةُ البحوث، وتأليفُ الكتب، وحضورُ حلق العلم والقرآن، والاستماعُ لكل نافع ومفيد، ومساعدةُ المحتاجين، ووضعُ المسابقات المباحة النافعة، والمشاركةُ فيها، والتصفحُ المفيد للشبكة العنكبوتية، ودخولُ المواقعِ النافعةِ، والمشاركةُ فيها، والمشاركةُ في المنتديات النافعة، والدعوةُ إلى الله ونشرُ العلم أو تعلمهُ من خلال الشبكة العنكبوتية، وغيرُ ذلك كثير، بل إن انشغالك بالمباح – ولو كان نوماً أو اضطجاعًا بِنِّيَةِ ترويح النفس لتستعيد نشاطها وتَقوَى على الطاعة – من استغلال الوقتِ.

---

(١) سورة الحديد آية ٢١.

(٢) رواه الترمذي في كِتَاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ، باب (٨) ٤/٦٣٣(٢٤٥٠) وقال: هذا حديث حسن غريب، وصححه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٤/٣٤٣، والألباني كما في السلسلة الصحيحة (٢٣٣٥)، قال النووي: «أدْلج»: بإسكان الدال، ومعناه سار من أول الليل، والمراد التشمير في الطاعة(رياض الصالحين ص٩٤).

أَدَبُ الأُخُوَّةِ والصَّدَاقَةِ

٢١- عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ عن النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ رَجُلا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فلَمَّا أَتَى عَلَيهِ قالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هذهِ الْقَرْيَةِ، قالَ: هَلْ لكَ عليهِ مِن نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قالَ: لاَ، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عزَّ وجلَّ. قالَ: فَإِنِّي رسولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قد أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ».رواه مسلم.(١)

إرشادات الحديث:

١- لَمْ يَكن الناسُ في جاهليتِهم يعرفونَ شيئًا اسْمُهُ (الْحُبُّ في اللهِ)، وكانت العَلاقاتُ التي تربطُ بعضُهمْ ببعضٍ عَلاقاتٌ مَنشؤُها الأرضُ، أو النسبُ، أو الْمَصالِحُ الشخصيَّةُ، ولأجلها يتابِعُ بعضُهم بعضًا في الرُّشدِ والغِوايةِ، ويُمَثِّلُ هذَا شاعرُ هَوازنَ وفارِسُها دُرَيْدُ بن الصِّمَّةِ حيثُ يقولُ:

فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَى ... غِوايَتَهُمْ وأَنَّنِي غَيْرُ مُهْتَدِ

ومَا أَنَا إلاَّ مِنْ غَزِيَّةَ إنْ غَوَتْ ... غَوَيْتُ وإنْ تَرشُدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدِ

فَجَاءَ اللهُ بنورِ الإسلامِ، وسَمَا بتلكَ العَلاقاتِ، فَجَعَلَ عَلاقةَ الدِّينِ أرفعَهَا وأجلَّهَا، ورتَّبَ عَلَى هذه العَلاقةِ الأجْرَ والثوابَ، والْحُبَّ والبغضَ، فَنَشَأَ مَعَ الإسلامِ مُصطَلَحُ: (الأُخُوَّةِ في اللهِ).

٢- (الْحُبُّ في اللهِ) يَعْنِي: محبَّةَ الْمُسلِمِ لِمَا فيهِ مِنْ خِصالِ الْخيرِ وطاعةِ اللهِ تعالى، فليستْ لأَجلِ الْمالِ، ولا النَّسَبِ، ولا الوَطَنِ، ولا غيرِ ذلكَ، فَأَسْمَى العَلاقاتِ والصَّدَاقَاتِ مَا كانَتْ بِسَبَبِ الدِّينِ ولأَجْلِهِ.

٣- عَلَى الْمُسْلِمِ الحريصِ على دِينِهِ أنْ يَجعَلَ عَلاقاتِهِ بإخوانِهِ قائمةً عَلَى الْحُبِّ في اللهِ، فلا يُصاحِبْ إلا مَن يُقَرِّبُهُ مِنَ اللهِ والْجَنَّةِ، وقد حَثَّ اللهُ تعالى عَلَى صُحْبَةِ الصَّادِقِينَ؛ فقالَ تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ)(٢)، وقَالَ ﷺ: «لاَ تُصَاحِبْ إلاَّ مُؤْمِنًا، ولا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إلاَّ تَقِيٌّ».رواه أبو داود(٣).

---

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب في فضل الحب في الله ٤/١٩٨٨ (٢٥٦٧)، وقوله: «أرصد على مدرجته»: أقعده على طريقه يرقبه، وقوله: «تربها» بمعنى: تحفظها وتراعيها بذهابك إليه.

(٢) سورة التوبة آية ١١٩.

(٣) رواه أبو داود في الأدب، باب من يؤمر أن يجالس ٥/١٦٧(٤٨٣٢)، والترمذي في الزهد، باب ما جاء في صحبة المؤمن ٤/٦٠٠ (٢٣٩٥) وقال: حديث حسن.

٤- يجب على الْمسلِمِ أن يَحْذَرَ مِنْ صُحْبَةِ رفاق السُّوءِ، فهي تُضعِفُ الإيمانَ، وتسبب البعد عن الطاعات والكسل في أدائها، وتُؤدِّي لِلوقوعِ في الْمَآثِمِ مِن شُرْبِ الْمُسْكِراتِ وتَعاطِي الْمُخَدِّرَاتِ والسَّرِقَةِ والزِّنَا؛ بَلْ قد تُوصِلُهُ إلى الْقَتْلِ، وهي على كل حال تُقَرِّبُهُ مِنَ الشَّيطَانِ وتؤدِّي به إلى دخول النَّارِ.

٥- في الحديثِ إثباتُ أعظمِ فضيلةٍ لِلحُبِّ في اللهِ تعالى، وهيَ: مَحَبَّةُ اللهِ تعالى لِلْمُتَحَابِّينَ فيهِ، وفي الحديثِ القدسِيِّ: «وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، والْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، والْمُتَزاوِرِينَ فِيَّ، والْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ».رواه مالك[١]، ولو لم يكن للحب في الله إلا هذه الفضيلة لكفى بها شرفا ومنزلة، وله فضائل أخرى كثيرة منها:

أ- أنَّ الْمُتَحَابِّينَ في اللهِ تعالى في ظلِّ عَرْشِ اللهِ تعالى يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ، فعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يقولُ يومَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلالِي، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ في ظِلِّي، يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلِّي».رواه مسلم.[٢]

ب- أنَّ الصَّداقاتِ كلَّها تَنْقَلِبُ يومَ القيامةِ إلى بُغضٍ وعَداوةٍ إلا صَداقةَ أهلِ التَّقْوَى، قالَ تعالى: (الأخِلاَّء يومئذ بعضهم لبعضٍ عدوٌ إلا المتقين)[٣].

ث- الحبُّ في الله من أسباب دخول الجنة، فعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قالَ: قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: «[وَالَّذِي نَفْسِي بيده] لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، ولا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ: أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ».رواه مسلم.[٤]

٦- دلَّ الحديثُ على أنَّ مِن حقوقِ الأخُوَّةِ: التَّزاورُ في الله جل وعلا، سواءٌ أكانَ الإخوةُ في بلدٍ واحدٍ أمْ كانوا في بِلادٍ مُتَفَرِّقَةٍ، ومعنى التزاورِ في الله: زِيَارَةُ بعضِهِمْ لِبَعْضٍ حُبًّا في الله تعالى؛ لاَ لأجلِ مصالِحَ دُنيويَّةٍ، ولا لأغراضٍ مادِّيةٍ، والزيارةُ في الله تؤدِّي لزيادَةِ المحبةِ، وزيادةِ الإيمان، وهي مِن الأعمالِ الصالحةِ التي يحبُّها الله تعالى ويثيبُ عليها.

٧- للأخُوَّةِ في الله آدابٌ كثيرة منها:

أ- استعمالُ الأدَبِ في التعَامُلِ.

---

(١) رواه مالك في الموطأ، كتاب الشعر، باب ما جاء في المتحابين في الله ٢/٩٥٣، ٩٥٤.

(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب في فضل الحب في الله ٤/١٩٨٨(٢٥٦٦).

(٣) سورة الزخرف آية ٦٧.

(٤) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ١/٧٤ (٥٤)، وما بين قوسين من رواية أخرى له في الموضع نفسه.

ب- الموافقةُ في الخير وقلةُ المخالفة.

ت- التغافلُ عما قد يصدرُ من الغلط عفوًا.

ث- العفوُ عن الأخطاءِ والتسامحُ عن الزلاَّتِ، وقبولُ الاعتذار.

ج- التناصحُ في أمور الدِّينِ والدُّنيا، وكلِّ مَا يقرِّبُ إلى الله تعالى.

ح- التعاونُ على البِرِّ والتقوى.

خ- إحسانُ الظنِّ.

د- الدعاءُ للإخوان في وجوههم وفي ظهر الغيب.

ذ- إخبارُ الشخصِ الذي تحبهُ أنك تحبهُ في الله تعالى، فتقولُ: إني أحبك في الله، ويردُّ عليك: أحبَّك الله الذي أحببتني له.

٨- أحسنُ وصفٍ لصديقِ الخير وصديقِ السوءِ ما وَصَفَهُمَا بِهِ النبيُّ ﷺ في الحديثِ الذي رواه أبو مُوسى الأشعريُّ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قالَ: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ منه، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ منه رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً».متفق عليه.[1]

([1]) رواه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب المسك ٥/٢١٠٤(٥٢١٤)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء ٤/٢٠٢٦(٢٦٢٨).

أَدبُ التَّعامُلِ مَعَ الْمُشْتَبِهَاتِ

٢٢- عن النُّعْمَانِ بن بَشِيرٍ رضي الله عنهما قالَ: سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «إِنَّ الْحَلالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ؛ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فيه، ألا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، ألا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، ألا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وَهِيَ الْقَلْبُ».متفق عليه.(١)

إرشادات الحديث:

١- دلَّ الحديثُ على أنَّ الأشياءَ مِن حيثُ الحكمُ ثلاثةُ أقسامٍ:

القِسمُ الأوَّلُ: حلالٌ واضحٌ لا شبهةَ فيه، وهو: كلُّ ما أَذِنَ الشرع في فعله، **مِثْلُ**: أكلِ الطيباتِ مِن الزروع والثمارِ، وكلُّ ما أمَرَ الشرعُ بفعلِهِ كالواجباتِ والمستحباتِ.

القِسمُ الثَّاني: حرامٌ واضحٌ لا شبهةَ فيه، **مِثْلُ**: شُربِ الخمرِ وأكلِ الربا والزِّنا.

القِسمُ الثَّالثُ: مشتَبِهٌ بيْنَ الحلالِ والحرامِ، وهو: كلُّ ما تَرَدَّدَ المكلفُ في حكمِهِ واشتبه عليه أحلالٌ هو أمْ حرامٌ، **مِثْلُ**: المعاملات والمطعومات التي يُتردد في حكمها.

٢- الاِشْتِبَاهُ في معرفةِ الأحكامِ الشرعيةِ أمرٌ نِسْبِيٌّ؛ فقد يكونُ الحكمُ مُشْتَبِهًا عندَ شخصٍ واضحًا عند آخرَ، وقد يكونُ مُشْتَبِهًا في وقتٍ واضحًا في وقتٍ آخرَ، وذلك لأنَّ الاِشْتِبَاهَ غيرُ واقعٍ في أحكامِ الشريعةِ نفسِها، إنما هو واقعٌ في حقِّ مَن لم يعلمْ الحكمَ وأشكل عليه فَهمُهُ، وهو غير مُشتَبِهٍ على مَن عَلِمَهُ وتبيّنَ له، ولذلكَ قال ﷺ في المشتَبِهات: «لا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِن الناسِ»، فدلَّ على أنَّ بعضَ الناسِ يعلمهنَّ، وهؤلاءُ هم الراسخونَ في العِلمِ.

٣- الاشْتِبَاهُ نوعانِ:

النَّوعُ الأولُ: اشْتِبَاهٌ فِي الْحُكْمِ: ويكونُ في المسائلِ والأعيانِ التي يتجاذَبُهَا أصلانِ حاظِرٌ ومبيحٌ، **مِثْلُ**:

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، بَاب فَضْلِ من اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ ١/٢٨(٥٢)، ومسلم في كتاب المساقاة، بَاب أَخْذِ الْحَلالِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ ٣/١٢١٩(١٥٩٩)، وهذا لفظه.

أ- **المساهمةُ في الشركاتِ المختلِطةِ**، وهي التي أصلُ عملِها مباحٌ ولكنها تأخذُ الفوائدَ الرِّبويةَ على الودائعِ، أو تقترضُ وتدفعُ الفوائدَ الرِّبويةَ، وقد تَبيَّن حكمُها لبعض العُلماءِ فألحقهَا بالحرامِ البيِّنِ، وألحقهَا آخرون بالحلالِ البيِّن، فإذا أشكلَ حكمُها على أحدٍ فهي عندهُ مِن الْمُشْتَبِهَات، فيكونُ الأَولى له تجنُّبها.

ب- **تَشْقيرُ المرأةِ حَواجِبَهَا**، فقد جَزَمَ بعضُ العلماءِ بتحريمِهِ، وجزَمَ آخرونَ بإباحتِهِ، ولم يتبينْ حكمُهُ لآخرينَ فيكون عندهم مِن الْمُشْتَبِهَات، فيكونُ الأَولى بالمرأةِ التي هذَا حالُهَا أنْ تجتنبَهُ.

النَّوعُ الثَّاني: اشْتِبَاهٌ في الحالِ: كمَا حصَلَ للنبيِّ ﷺ أنَّهُ مَرَّ بِتَمْرَةٍ في الطَّرِيقِ فقال: «لَوْلا أَنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ لأَكَلْتُهَا».متفق عليه.(1)

٤- بيَّن النبيُّ ﷺ فائدتين عظيمتين تحصلُ لِمَن اتقى الشُّبهاتِ:

الفَائِدةُ الأولى: الاِسْتِبْرَاءُ للدِّين، ومعناه: صيانَةُ المسلمِ لِدِينِهِ مِن وقوعِهِ في النقصِ أو الخللِ لتساهلِهِ في هذه المشكلات.

الفَائِدةُ الثَّانيةُ: الاِسْتِبْرَاءُ لِلْعِرْضِ، ومعناه: صيانَةُ المسلمِ لعِرضِهِ مِن وقوعِ الناسِ في الطعنِ فيهِ لتساهلِهِ في هذه المشكِلات.

٥- بيَّن النبيُّ ﷺ الأثَرَ المترتبَ على الوقوعِ في الْمُشْتَبِهات، وهو الوقوعُ في الحرامِ، وهذا يَحتملُ معنيينِ:

الأول: أنَّ الذي يتعوَّدُ الوقوعَ في الشُّبُهاتِ ويتساهلُ فيها سوفَ يتجَرَّأُ على الوقوعِ في الْمُحَرَّماتِ البيِّنةِ.

الثاني: أنَّ الذي يقعُ في الشُّبُهاتِ سيقعُ في الْمُحَرَّماتِ؛ لأن الشُّبهةَ يمكنُ أن تكونَ مِن الْمُحَرَّماتِ.

٦- أفادَ الحديثُ أن الناس تُجَاهَ الشُّبُهَاتِ ثلاثة أقسامٍ:

القِسمُ الأوَّلُ: مَن يتَّقي الشُّبُهَاتِ، وهذا قد استبرأ لدينهِ وعِرضِهِ.

القِسمُ الثَّاني: مَن يقع في الشُّبُهَاتِ، وهذا قد عرَّض نفسَهُ للوقوعِ في الحرام.

---

(1) رواه البخاري في كِتَاب اللُّقَطَةِ، بَاب إذا وَجَدَ تَمْرَةً في الطَّرِيقِ ٢/٨٥٧(٢٢٩٩)، ومسلم في كتاب الزكاة، بَاب تَحْرِيمِ الزَّكَاةِ على رسول اللَّهِ ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَهُمْ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ دُونَ غَيْرِهِمْ ٢/٧٥٢(١٠٧١).

القِسمُ الثَّالثُ: مَنْ كان عالِمًا بحكمِهَا واتَّبع ما دلَّه عليه علمه، وهذا القسم أفضلُ الأقسامِ الثلاثة؛ لأنه عَلِمَ الحكم في هذه المشتبهات وعمِلَ بعلمِهِ، ولم يذكرْهُ النبيُّ ﷺ صراحةً لوضوحِهِ، وإنما أشارَ إليهِ إشارةً في قولِهِ: «لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ».

٧- لِلقلبِ أهميةٌ عظيمةٌ، فهو المحرِّكُ لسائرِ الأعضاء والحاكمُ عليها، فبأمرِهِ تأتمرُ وبنهيهِ تنتهي، وبصلاحِه يصلحُ جميعُ البَدَنِ، وبفسادِهِ يفسدُ جميعُ البَدنِ، فواجبٌ عَلَى الْمُسْلِمِ أنْ يَهْتَمَّ بِصَلاحِ قلبِهِ، ويحذرَ مِن فساده، فَيَتَفَقَّدَهُ دائِمًا، ويَتَجَنَّبَ ما قد يعرِضُ لَهُ مِن الْمُفْسِدَاتِ، سواءٌ أكانتْ مِنَ الشُّبُهَاتِ أمْ مِنَ الشَّهواتِ، وذلكَ لأنَّهُ إذا صَلَحَ القلبُ تَبِعَتْهُ جَمِيعُ أعضاءِ البَدَنِ، كَمَا ينبغي عَلَى الدُّعاةِ والْمُعَلِّمينَ أنْ يَهْتَمُّوا بإصلاحِ قلوبِ العِبَادِ، فإنَّهَا إذا صَلَحَتْ اسْتَجَابَ الناسُ لشريعةِ اللهِ، ورَغِبوا فيمَا عندَهُ.

٨- صلاحُ العملِ مرتبطٌ بصلاحِ القلبِ، وفسادُهُ مرتبطٌ بفسادِهِ، يقولُ الحافظُ ابنُ رجبٍ رحمه الله تعالى: القومُ إذا صَلَحَتْ قلوبُهُمْ فَلَمْ يَبْقَ فيهَا إرادةٌ لِغَيْرِ اللهِ عزَّ وَجَلَّ صَلَحَتْ جَوَارِحُهُمْ فَلَمْ تَتَحَرَّكْ إلاَّ للهِ عزَّ وجلَّ، وبِمَا فيهِ رِضاهُ.اهـ[1]، فإذا كان عَمَلُ المسلمِ موافقاً لِلشَّريعةِ فذلك دَالٌّ على صلاح قلبه، وإذا كان عَمَلُ المسلمِ مخالفًا لِلشَّريعةِ فذلك دَالٌّ على فسادٍ في قلبه، وبقدر قُربِهِ وبُعدِهِ عن أحكام الشرعِ يكونُ صلاحُ قلبِه وفسادُه، قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إلى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ».رواه مسلم.[2].

٩- مِمَّا يُعِينُ عَلَى صلاحِ القَلبِ: التَّضَرُّعُ إلى اللهِ تعالى، واللُّجوءُ إليهِ، وكثرةُ الدُّعاءِ، يقولُ اللهُ تعالى مُخبِرًا عن دُعَاءِ عِبَادِهِ الرَّاسِخينَ في العِلْمِ: (رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ)[3]، وكانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلوبِ، صَرِّفْ قُلوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ».رواه مسلم[4]، وكانَ يقولُ: «وأسْأَلُكَ لِسَانًا صَادِقًا، وقَلْبًا سَلِيمًا».رواه أحمد[5].

---

(١) جامع العلوم والحكم، آخر شرح الحديث رقم (٦) بتصرف يسير.

(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، بَاب تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ وَخَذْلِهِ وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ وَعِرْضِهِ وَمَالِهِ ٤/١٩٨٧(٢٥٦٤).

(٣) سورة آل عمران آية ٨.

(٤) رواه مسلم في كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء ٤/٢٠٤٥(٢٦٥٤).

(٥) رواه أحمد ٤/١٢٥، والترمذي في كتاب الدعوات، باب (٢٣) ٥/٤٧٦(٣٤٠٧)، والنسائي ٣/٥٤، وصححه ابن حبان(١٩٧٤).

١٠- صلاحُ القلبِ هو سِرُّ السَّعَادَةِ وسببُ التَّنَعُّمِ الحقيقيِّ بالحياةِ الدُّنيا، فيَنعمُ المرءُ بالحياةِ إذا كانَ قلبُهُ سليمًا وإن كانَ البَدَنُ قد يتألَّمُ بالمرضِ، فنعيمُ البَدنِ تابعٌ لنعيمِ الرُّوحِ، وعلى العكسِ تَرَى الرَّجلَ مُتَبَرِّمًا بالحياةِ ضيِّقَ الصدرِ، مَعَ ما هو فيهِ مِنْ صِحَّةِ البَدَنِ وكثرةِ الأموالِ، ومَا ذاكَ إلاَّ لِضيقِ الرُّوحِ وفَسَادِ القَلْبِ، وصدق الله تعالى إذ يقول: (فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى. وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى).[1]

(١) سورة طه الآيتان ١٢٣-١٢٤.

أَدَبُ الحرصِ على تَقويةِ الإيمَانِ

٢٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، اِحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللّهِ وَلاَ تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ: لَو أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَو تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ».رواه مسلم.(١)

إرشادات الحديث:

١- **الإيمانُ**: قولٌ باللِّسانِ، وتَصديقٌ بالقَلبِ، وعَمَلٌ بالجوارح الظاهِرَةِ، هذا هو مَذهبُ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعةِ، فَلا يَكفي في الإيمانِ مُجَرَّدُ تَصْدِيقِ القَلبِ كَمَا يقولُهُ بعضُ أهلِ البِدَعِ كالْكَرَّامِيَّةِ، ولا مُجَرَّدُ قَولِ اللِّسانِ وتَصْدِيقِ القَلبِ كَمَا يقولُهُ بعضُ أهلِ البِدَعِ كالْمُرْجِئَةِ، ولا مُجَرَّدُ عَمَلِ الجوارحِ معَ فسادِ الباطنِ كَمَا هُوَ حَالُ المنافقين، بل لا بُدَّ مِن اجتماعِ هذهِ الثلاثةِ.

٢- كلُّ مُؤمِنٍ فَفِيهِ خَيْرٌ بِإِيمَانِهِ باللهِ تعالى، ولكنَّ أَهْلَ الإيمانِ يَتَفَاوَتونَ في مَنَازِلِهِمْ، فَكُلَّمَا كانَ الْمُؤْمِنُ أقوى في إيمانِهِ وعَمَلِهِ الصالِحِ كانَ أحَبَّ إلى اللهِ تعالى، فَمَنْ أَرَادَ زِيادَةَ الْمَحَبَّةِ لَهُ مِنَ اللهِ تعالى وَزِيَادَةَ القُرْبَى والصِّلَةِ باللهِ؛ فَلْيَكُنْ حريصًا على تقويةِ إيمانِهِ، وليزدَدْ مِنَ اللهِ قُربًا.

٣- ينبغي أن يكونَ الْمُؤْمِنُ قَوِيًّا في كلِّ شيءٍ من الخير والمعروف، ذا هِمَّةٍ عاليةٍ في أَمْرِ دِينِهِ ودُنياهُ، لأن عمومَ الحديثِ يَشملُ ذلكَ كلَّه، ومن ذلك:

أ- أنْ يَكونَ قَوِيًّا في توحيدِهِ، فيعبد الله وحدَهُ لا شريكَ له، ويدعوه وحدَهُ ويستغيثُ به، ويتوكلُ عليه في أمورِهِ كلِّها، ويدعو إلى التوحيدِ وينْشُرُهُ، ويتجنبُ الشِّركَ صغيرَهُ وكبيرَهُ، فلا يعبدُ غيرَ الله، ولا يستغيثُ بغيرِهِ ولا يدعوه، ولا يرائي المخلوقينَ.

ب- أنْ يَكونَ قَوِيًّا فِي عبادَتِهِ، فهو قويٌّ في صَلاتِهِ فلا يفرِّط فيها أبدًا، يَحرصُ على أدائِها في بيوتِ الله تعالى، ويحرصُ على إتمامِهَا بالنوافِلِ التي تُكَمِّل ما قد ينقصُ منها، قَويٌّ في أداءِ ما أوجبَ الله عليهِ مِن الزَّكاةِ؛ فلا يُنْقِصُ منها شيئًا، ولا يُؤَخِّرَها عن وقتِهَا، ويؤدِّيها إلى مُستحِقِّيهَا، ويكمِّلُ ذلكَ بالصدقةِ الْمُستَحَبَّةِ، وهكذا في صيامِهِ وحَجِّه وبِرِّهِ بوالِدَيْهِ، وغيرِ ذلكَ.

---

(١) رواه مسلم في كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، والاستعانة باللّهِ، وتفويض المقادير للّه ٤/٢٠٥٢(٢٦٦٤).

ت- أنْ يَكونَ قَوِيًّا فِي الدعوةِ إلى الله تعالى وتبليغِ هذا الدِّينِ، والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ، فكلُّ مسلمٍ عليهِ مسؤوليةٌ تُجاه تبليغِ دِينِ الله تعالى بحسبِ ما عندهُ مِن العِلمِ، ولا يخلو مسلمٌ مِن علْمٍ ولو يسير، فليبلِّغْهُ لمن جهِلَهُ أو تَرَكَ العملَ بِهِ مسلمًا كانَ أمْ كافِرًا كلٌّ بِحَسَبِهِ، ولا يليقُ بالمسلمِ أنْ يكون سلبيًّا تُجاهَ ذلك.

ث- أنْ يَكونَ قَوِيًّا فِي تركِ كلِّ ما نهى الله تعالى عنه ورسولُه ﷺ مِن الشركِ بأنواعِهِ، والمعاصي الكبيرة والصغيرة، والأكملُ أن يتجنبَ أيضًا جميعَ المكروهاتِ لدخولها فيما نهى الله عنه ورسولُه ﷺ .

ج- أنْ يَكونَ قَوِيًّا فِي سلوكِهِ وأخلاقِهِ وتعامُلِهِ معَ الناسِ فيكونُ ليِّنَ الطبعِ خَلوقًا بَشوشًا، يعينُ من يستطيعُ إعانَتَهُ بقولِهِ أو فِعلِهِ أو جَاهِهِ، مُعْرِضًا عن الجاهلين، صابرًا محتمِلاً للأذى، حليمًا على مَن أخطأَ بحقِّهِ، متجنِّبًا للغضبِ وأسبابِهِ، وإذا غضِبَ كظمَ غيظَهُ وتجنَّبَ الانسياقَ وراءَهُ بِفعلِ مَا يُذَمُّ عليهِ.

ح- أنْ يَكونَ قَوِيًّا فِي عَمَلِهِ فِي دُنياهُ، ومعنى ذلك: أنْ يُحسِنَ فيهِ نِيَّتَهُ لِربِّه جَلَّ وعلا، فينوي كَسْبَ الرِّزقِ الْحَلالِ، ونَفْعَ إخوانِهِ الْمسلمينَ، ومساعدةَ الْمُحتاجينَ، ويؤدِّي عَمَلَهُ بأمَانةٍ وصِدقٍ، ويُتْقِنَهُ عَلَى الغَايةِ التي يستطيعُهَا. (١)

وبما تقدَّم كلِّه يكونُ الْمُؤْمِنُ قَوِيًّا فيمَا بينه وبينَ الله، وفيمَا بينَهُ وبينَ الناسِ، فَيَتَحَقَّقُ فيهِ وصفُ الْمُؤْمِنِ القَويِّ مِن جَميعِ جوانِبِهِ.

٤- لقد جاءتْ الأوامِرُ الشرعيةُ بالْحَثِّ عَلَى الاسْتِمسَاكِ بِدِينِ اللهِ تعالى بِقُوَّةٍ وعَزْمٍ، مَعَ ذَمِّ الذينَ يَعبُدونَ اللهَ عَلَى فُتورٍ وضَعْفٍ:

أ- قَالَ تعالى: (فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)(٢)، والْمَعْنَى: إنَّكَ على صراطٍ مستقيمٍ لا عِوَجَ فيهِ فَتَمَسَّكْ بِهِ.

ب- وقالَ تعالى: (يا يحي خذ الكتاب بقوة)(٣)، يعني: خُذْ هَذَا الدِّينَ بِجِدٍّ وعَزِيمةٍ مِنْ غيرِ توانٍ ولا تَكاسُلٍ، وهو أَمْرٌ لِذَوِي الْهِمَمِ العَالِيَةِ بالاسْتمسَاكِ بالِكِتابِ عِلْمًا وعَمَلاً.

---

(١) وليس المراد أن يكونَ لاهثًا في عملِ الدنيا مُعرِضًا عن عمل الآخرة التي هي الأصل، على حدِّ وصفِ النَّبِيِّ ﷺ في قوله: «إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ كُلَّ جَعْظَرِيٍّ جَوَّاظٍ، سَخَّابٍ بِالأَسْوَاقِ، جِيفَةٍ بِاللَّيْلِ، حِمَارٍ بِالنَّهَارِ، عَالِمٍ بِأَمْرِ الدُّنْيَا، جَاهِلٍ بِأَمْرِ الآخِرَةِ».صححه ابن حبان١/٢٧٤(٧٢)، وقوله تعالى: (يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) سورة الروم آية:٧.

(٢) سورة الزخرف آية ٤٣.

(٣) سورة مريم آية ١٢.

ت- وفي حديثِ العِرباضِ بنِ سَارِيةَ ﷺ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ: «فَعَليكُمْ بِسُنَّتِي، وسُنَّةِ الْخُلَفاءِ الْمَهديينَ الرَّاشدِينَ، تَمَسَّكوا بِهَا وعَضُّوا عليهَا بالنَّواجِذِ»(١)، وهذا يدلُّ عَلَى غَايَةِ الاسْتِمْسَاكِ وقُوَّتِهِ.

ث- وأخْبَرَ اللهُ تعالى عن دُعاءِ الْمُؤمنينَ فقالَ: (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً)(٢)، فَهُمْ لَمْ يَسألوا مُجَرَّدَ أن يكونوا مُتَّقِينَ بَلْ أَئِمَّةً لِلْمُتَّقينَ.

٥- وفي الْمُقَابِلِ جاءت النصوص الشرعية بذم الذين يعبدون الله على ضعفٍ وشكٍّ وريبةٍ، فقال اللهُ تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)(٣)، قالَ مجاهدٌ رحمه الله وغيرُه: (عَلَى حَرْفٍ) يَعنِي: عَلَى شَكٍّ، قالَ الطبريُّ رحمه الله: ذَكَرَ اللهُ تعالى قَومًا يعبدونَهُ عَلَى حَرْفٍ، وأَنَّهُمْ يَطمَئِنُّونَ بالدِّين إن أصَابوا خَيْرًا في عِبادَتِهِمْ إيَّاهُ، وأَنَّهُمْ يَرْتَدُّونَ عَن دِينِهِمْ لِشِدَّةٍ تُصيبُهُمْ فِيهِ.(٤)

٦- أخبَرَ النبيُّ ﷺ في هذا الحديثِ بأهمِّ الصفاتِ والخصالِ التي ينبغي توافُرُهَا في المؤمنِ القويِّ، وقد أجمَلَهَا في أربعِ صفاتٍ عليهَا مدارُ جميعِ الأعمالِ:

الأولى: الحرصُ عَلَى مَا يَنْفَعُه، وهذهِ كلمةٌ جامعةٌ جليلةٌ تشملُ الحرصَ على كلِّ ما ينفعه مِن خيري الدنيا والآخرةِ، اعتقادًا وعمَلاً، فِعلاً وتَرْكًا، فيعتقدُ الاعتقاداتِ الصحيحةِ، ويعملُ ما في عمَلِهِ نفعٌ له، ويتجنبُ ما في تركِهِ نفعٌ له، ويدخلُ في هذا الحرصُ على جميعِ الطاعاتِ، وتركِ جميعِ المنكراتِ.

الثانية: الاستعانةُ بِاللّهِ تعالى، وفي هذا التجاءٌ إلى الله تعالى وتوكُّلٌ عليه في كلِّ الأمورِ، ومِنْ ذلكَ الاعتمادُ عليهِ في تحصيلِ مَا ينفعُ واجتنابِ مَا يضرُّ.

الثَّالثَةُ: أن لاَّ يعْجزَ، وهذه الكلمةُ جامعةٌ لحثِّ الإنسانِ على عدمِ العجزِ عن الإتيانِ بكلِّ ما ينفعُهُ مِن فِعلِ الخيراتِ وتركِ المنكراتِ بعدَ استعانتهِ بالله تعالى، فليعزم وليستعنْ بالله، ولا يَتوانَ ولا يَتكاسَلْ.

---

(١) رواه أحمد ١٢٦/٤، وأبو داود ٢٠٠/٤ (٤٦٠٧) وهذا لفظه، والترمذي ٤٤/٥(٢٦٧٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه ابن حبان ١٧٨/١(٥) والحاكم في المستدرك ١٧٤/١، والألباني في الإرواء (٢٤٥٥)، وصحيح سنن ابن ماجه (٤٢).

(٢) سورة الفرقان آية ٧٤.

(٣) سورة الحج آية ١١.

(٤) تفسير الطبري ١٢٨/١٧ بتصرف يسير.

الرَّابِعةُ: إذا أصابه شَيْءٌ لا يريده فَلاَ يقُلْ: لَو أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ ليقُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، وذلكَ مِن التسليمِ لقضاءِ اللهِ وقَدَرِهِ، وعدمِ التَّسَخُّطِ عليهِ لأنَّ الأمورَ لا تسيرُ كَمَا يحبُّ المرءُ في جميعِ أحوالِهِ، فأرشدَهُ للتسليمِ لله تعالى ففيهِ راحةُ النفسِ، وقوةُ الإيمان، والارتباطُ بالله جل وعلا، وما وَقَعَ لا يمكنُ تدارُكُهُ، ولا ينفي ذلكَ أن يعملَ من الأسباب ما يتلافى به ما قد وقع.

ثم بيَّنَ ﷺ أنَّ هذا الاعتراضَ على القَدَرِ يفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ وَوَسْوَسَتَهُ، مما يُضعِفُ الإيمانَ واليقينَ.

٧- الإيمانُ يزيدُ بالطاعةِ وينقصُ بالْمَعْصيَةِ:

- فَمِنَ الطَّاعَاتِ الَّتِي يزيدُ الإيمانُ بها:

أ- توحيدُ الله تعالى بإخلاصِ العمل له وحدَه لا شريكَ له، ونبذِ الشركِ بأنواعِهِ، والتوكلِ عليه، ودعائِهِ والاستغاثةِ به وغيرِ ذلك.

ب- الحرصُ على الصَّلاةِ بأنواعها الفرائضِ ثم النوافلِ.

ت- ذكرُ الله تعالى بأنواعِهِ المشروعةِ.

ث- الإكثارُ مِن قراءةِ القرآنِ الكريمِ.

ج- تعلُّمُ عِلمِ الشريعةِ والحرصُ على مَجالسِ العِلمِ.

ح- الحرصُ على الرُّفقةِ الصالحةِ ومجالسةِ الصالحينَ.

- ومِن المعاصي التي يضعفُ الإيمانُ بها:

أ- الشركُ بالله تعالى بأنواعه، بل قد يزول بِهِ أصلُ الإيمانِ.

ب- التهاونُ بالصَّلاةِ.

ت- السبُّ والشتْمُ واللعنُ والكذبُ والغيبةُ، والفُحشُ في الكلامِ.

ث- الاستماعُ إلى اللَّهْوِ الباطلِ مِن الأغاني والمعازِفِ ونحوها.

ج- تعلُّمُ العلومِ الفاسِدَةِ.

ح- صحبةُ الرُّفقةِ السيئةِ ومجالسةُ الفاسقينَ وارتيادُ مجالسهم.

٨- الإيمانُ خصالٌ كثيرةٌ بيَّنَهَا النبيُّ ﷺ بقوله: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أو بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِن الإِيمَانِ».رواه

مسلم وأصلُه في البخاري[1]، فَمَنِ استكمَلَ خصالَ الإيمانِ فقد استكمَلَ الإيمانَ، ومَنْ تَرَكَ منها شيئًا فقد نَقَصَ مِنْ إيمانِهِ بقَدْرِ ما تَرَكَهُ مِنْهَا.

(1) رواه مسلم في كتاب الإيمان، بَاب بَيَانِ عَدَدِ شُعَبِ الإِيمَانِ وَأَفْضَلِهَا وَأَدْنَاهَا وَفَضِيلَةِ الْحَيَاءِ وَكَوْنِهِ من الإِيمَانِ ١/٦٣(٣٥)، وأصل الحديث في البخاري في كتاب الإيمان، بَاب أُمُورِ الإِيمَانِ ١/١٢(٩)، ولفظه: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ من الإِيمَانِ»، فليس فيه ذكر أعلاها وأدناها، وقال: «بِضْعٌ وَسِتُّونَ»، وقوله: «بِضْعٌ» معناه: العدد ما بين ٣ إلى ٩، و«شُعبة»: قطعة، والمراد الْخَصلة أو الجزء.

أَدَبُ الطَّعَامِ (الأكلِ والشُّرْبِ)

٢٤- عن عُمَرَ بنِ أبي سَلَمَةَ رضي الله عنهما قالَ: كُنْتُ غُلامًا في حَجْرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ في الصَّحْفَةِ، فقالَ لِي رَسولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا غُلامُ سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»، فما زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ.متفق عليه.(١)

إرشادات الحديث:

١- تُسنُّ التَّسْمِيَةُ عندَ ابتداءِ الطَّعَامِ، وهذا متَّفَقٌ عليه بينَ العُلمَاءِ رحمهم الله، واختلفوا في وجوبِها على قولينِ:

القولُ الأولُ: عدمُ وجوبِهَا وإنَّما هيَ سُنَّةٌ مُتَأَكِّدَةٌ، وهو مذهبُ جمهورِ العُلمَاءِ رحمهم الله(٢).

القولُ الثاني: وجوبُها، وذَهَبَ إليه بعضُ الحنابلةِ والمحدِّثين(٣)، وابنُ حَزْمٍ الظاهريِّ(٤) رحمهم الله جميعا، واختارَهُ العلاَّمة ابنُ الْقَيِّمِ رحمه الله تعالى فقالَ: الصحيحُ وجوبُ التَّسْمِيَةِ عندَ الأكْلِ، وأحاديثُ الأمْرِ بِها صحيحةٌ صَريحةٌ، ولا مُعَارِضَ لَهَا ولا إجماعَ يُسَوِّغُ مُخَالَفَتَهَا، وتَارِكُهَا شَرِيكُهُ الشيطانُ في طعامِهِ وشرابِهِ.اهـ(٥)، وهذا قولٌ قويٌّ كما ترى، فالذي ينبغِي على الْمُسلِمِ الْحِرصُ عليهَا وعدمُ تركِهَا.

٢- مَن نَسِيَ التَّسْمِيَةَ في أوَّلِ الطعامِ والشرابِ فإنَّهُ يُشرعُ لَهُ أنْ يقولَ: «بِسْمِ اللهِ أوَّلَهُ وآخرَهُ»، كما دل على ذلك حديث أمِّ الْمُؤمِنينَ عائشةَ رضي الله عنها أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «إذَا أَكَلَ أحَدُكُمْ فلْيذْكر اسْمَ اللهِ تعالى، فإنْ نَسِيَ أنْ يَذْكُرَ اسْمَ اللهِ تعالى في أوَّلِهِ فَلْيَقُلْ: بِسمِ اللهِ أوَّلَهُ وآخرَهُ». رواه أبو داود والتِّرمذيُّ وابنُ ماجَهْ، والنسائيُّ في الكبرى والحاكمُ.(٦)

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأطعمة، بَاب التَّسْمِيَةِ على الطَّعَامِ وَالأَكْلِ بِالْيَمِينِ ٥/٢٠٥٦(٥٠٦١)، ومسلم في كتاب الأشربة، بَاب آدَابِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَأَحْكَامِهِمَا ٣/١٥٩٩(٢٠٢٢).

(٢) ينظر: الإنصاف ٨/٣٢٦، والمغني ٩/٣٤٣، والمبدع ٧/١٨٩، وكشاف القناع ٥/١٧٣، وروضة الطالبين ٧/٣٤١، ومغني المحتاج ٣/٢٥٠، وإعانة الطالبين ٣/٣٦٧، وفتاوى السُّغدي ص٢٤٣، والفواكه الدواني ٢/٣١٦، وحاشية العدوي ٢/٦٠٢، والاستذكار ٨/٣٨٧.

(٣) ينظر: الإنصاف ٨/٣٢٦، وزاد المعاد ٢/٣٩٧-٣٩٨، ومسند أبي عوانة ٥/ ١٦٠ قال في أول كتاب الأطعمة: وجوب التسمية عند حضور الطعام وحضور الشيطان إذا تركت التسمية.

(٤) المحلى ٧/٤٢٤.

(٥) زاد المعاد ٢/٣٩٧-٣٩٨ باختصار.

(٦) رواه أبو داود في كتاب في كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام ٣/٣٤٧(٣٧٦٧)، والترمذي في كتاب الأطعمة، باب ما جاء في التسمية على الطعام ٤/٢٨٨(١٨٥٨)، وابن ماجه في كتاب الأطعمة، باب التسمية ثم الطعام ٢/ ١٠٨٦(٣٢٦٤)، والنسائي في السنن الكبرى

٣- صِفَةُ التَّسْمِيَةِ المشروعةِ عندَ الأكلِ والشُّربِ أنْ يقولَ: «بِسمِ اللهِ»، كما دل على ذلك هذا الحديث، وحديث عائشة السابق أيضا، ولفْظُ رواية التِّرمذيِّ والحاكِمِ له: «إذَا أَكَلَ أحَدُكُمْ طعامًا فَلْيَقُلْ: بِسمِ اللهِ»، ولا حاجَةَ هنا لزيادةِ: «الرحمن الرحيم»، لِعَدَمِ وُرُودِهَا، ولِتَصريحِ حديث عائشة بالاكتفاءِ بقولِ: «بسمِ اللهِ»، قالَ الحافظُ ابنُ حَجَرٍ رحمه الله تعالى: الْمُرادُ بالتَّسمِيَةِ عَلَى الطعامِ قولُ: «بِسمِ اللهِ» في ابتداءِ الأكلِ، وأمَّا قولُ النوويِّ: والأفضلُ أنْ يقولَ: «بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ»، فَلَمْ أَرَ لِمَا ادَّعَاهُ مِنَ الأَفْضَلِيَّةِ دَليلاً خَاصًّا.اهـ[1].

٤- لِلتَّسميةِ عَلَى الطعامِ فوائدُ عديدةٌ، مِنْهَا:

أ- حُلولُ الْبَرَكَةِ في هذا الطعامِ والشَّرابِ.

ب- مَنْعُ مُشارَكَةِ الشَّيطانِ لِلْعَبدِ في طعامِهِ وشَرابِهِ.

ت- تَذَكُّرُ العَبْدِ ارتِبَاطَهُ باللهِ تعالى في جَميعِ أمورِهِ، فهو يَذكُرُ اللهَ تعالى عندَ أكلِهِ وشُربِهِ، ودخولِ بيتِهِ وخروجه، ونومِهِ واستيقاظِهِ، ودخولِ الْخَلاءِ وخروجِه، وفي كل أحوالِهِ.

ث- الانْدِرَاجُ فيمَا حَثَّ اللهُ تعالى عليهِ مِن الإكثارِ مِنْ ذِكْرِهِ، قالَ تعالى: (يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً)[2]، وبِهَذَا يَحوزُ عَلَى الفضلِ العظيمِ لِلَّذِينَ يُكثرونَ مِنْ ذِكْرِ اللهِ؛ كَمَا في قولِهِ تعالى: (وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً).[3]

٥- السُّنَّةُ أنْ يأكُلَ الْمُسْلِمُ بيمِينِهِ، هكذا كانَ النَّبِيُّ ﷺ يفعلُ هو وأصحابُهُ ﷺ، وبهذا أَمَرَ أُمَّتَهُ، وهذا هو هديُهُ الذي لَمْ يزل عليه في حياتِهِ، وما زالَ عليهِ الْمُسلمونَ حَتَّى غَزَاهُمْ الْغَرْبُ الكَافرُ بعاداتِهِ الفاسِدَةِ، فصارَ كثيرٌ مِنَ الْمُنهَزِمينَ يُقَلِّدونَهُمْ في كُلِّ شَيءٍ حَتَّى في طَرِيقَةِ الأَكْلِ والشُّرْبِ، وقد اتَّفَقَ العُلمَاءُ على هذه السنة، وأنهُ لا ينبغي الأكلُ باليَسار.

٦- اختلف العُلمَاءُ في تحريمِ الأكلِ باليَسار على قولينِ، والصحيحُ أنه حَرامٌ إلاَّ مِن عُذْرٍ لأَدِلَّةٍ عديدة، منها:

٧٨/٦(١٠١١٢) والحاكم في المستدرك على الصحيحين ١٢١/٤(٧٠٨٧)، قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه ابن حبان ١٣/١٢(٥٢١٤)، وقال ابن القيم (زاد المعاد ٣٩٧/٢): حديث صحيح، وصححه الألباني في إرواء الغليل ٧/ ٢٤ (١٩٦٥) والسلسلة الصحيحة ١/ ٣٨٢(١٩٨).

(١) فتح الباري ٥٢١/٩ باختصار.

(٢) سورة الأحزاب آية ٤١.

(٣) سورة الأحزاب آية ٣٥.

أ- حديثُ جَابِرٍ ﷺ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «لا تَأْكُلُوا بِالشِّمَالِ، فإنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِالشِّمَالِ».رواه مسلم(١).

ب- حديثُ عبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «إِذَا أَكَلَ أحدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وإذا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ، فإنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ».رواه مسلم(٢)، قال ابنُ القيِّمِ رحمه الله تعالى: ومقتضَى هذا تَحريمُ الأكلِ بِها، وهو الصحيحُ، فإن الآكِلَ بِها إمَّا شيطانٌ، وإمَّا مشبّه بِهِ(٣).

ت- حديثُ سَلَمَةَ بنِ الأَكْوَعِ ﷺ أَنَّ رَجُلاً أَكَلَ عِنْدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ بِشِمَالِهِ، فقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كُلْ بِيَمِينِكَ»، قالَ: لا أَسْتَطِيعُ، قال: «لاَ اسْتَطَعْتَ، ما مَنَعَهُ إلا الْكِبْرُ» قالَ: فَمَا رَفَعَهَا إلى فِيهِ.رواه مسلم(٤)، قال ابنُ القيِّمِ رحمه الله تعالى: فلو كان ذلكَ جائزًا لَمَا دَعَا عليهِ بِفعلِهِ، وإنْ كانَ كِبْرُهُ حَمَلَهُ عَلَى تَرْكِ امتثالِ الأمْرِ؛ فذلكَ أبلَغُ في العِصْيانِ واسْتِحْقَاقِ الدُّعَاءِ عليهِ.اهـ(٥)

٧- السُّنَّةُ أنْ يأكلَ الإنسانُ مِمَّا يليهِ مِنَ الطعامِ، وهذا مِنَ الأدَبِ الرفيعِ، لأنَّ الأكلَ مِن نواحِي الإنَاءِ يؤذِي غيرَه مِنَ الآكلينَ، ويكدِّرُ عليهمْ صَفْوَ طَعَامِهِمْ، فكانَ مِنَ الأدبِ مُراعَاةُ مَشاعِرِهِمْ وَخصوصيَّاتِهِمْ إذَا كانَ الأكلُ مِن إناءٍ واحِدٍ، أمَّا إذَا كانَ الطَّعامُ أنواعًا مُختلِفَةً مُنتَشِرَةً هنا وهناكَ فَلا بأسَ أنْ يَمُدَّ الإنسانُ يدَهُ لألوانِ الطعامِ المختلِفَةِ إذَا لَمْ تكنْ خَاصَّةً بِأحَدٍ، مِنْ غيرِ أنْ يؤذِي الآخَرِينَ أثناءَ ذلكَ.

٨- في الحديثِ مَشروعيَّةُ تَربيةِ الصِّغارِ وعمومِ الناسِ على آدابِ الأكلِ والشُّرْبِ وبِخَاصَّةٍ إذا وَقَعَ منهم مَا يخالفُ الآدابَ الشرْعِيَّةَ، وأنه لا ينبغِي السكوتُ عَلَى الْمُخالفَاتِ الشرعيةِ في ذلك، وهذا مِن مصالحِ مُخالطةِ العُلماءِ للناسِ، وينبغي أنْ يُلتزَمَ في ذلك الأدبُ النبويُّ العَامُّ والخاصُّ، وفي هذا الحديثِ نَرَى النبيَّ ﷺ يخاطبُ الغُلامَ الصغيرَ بقولِهِ: «يَا غُلامُ»، وهو نِدَاءٌ حَسَنٌ لِلصَّبِيِّ، ليسَ فيهِ تعنيفٌ ولا سُخْرِيَةٌ ولا تَجْهيلٌ ولا إيذاءٌ، بل فيهِ تَلَطُّفٌ وأدبٌ مَعَ الصغيرِ.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما ٣/١٥٩٨ (٢٠١٩).

(٢) رواه مسلم في الموضع السابق رقم(٢٠٢٠).

(٣) زاد المعاد ٢/٤٠٥.

(٤) رواه مسلم في الموضع السابق ٣/١٥٩٩(٢٠٢١).

(٥) زاد المعاد ٢/٤٠٥.

أَدَبُ الاهتمامِ بحُقوقِ النَّاسِ

٢٥- عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ: «مَنْ أخَذَ أمْوالَ النَّاسِ يُرِيدُ أداءَهَا أدَّى اللهُ عنهُ، ومَنْ أخَذَهَا يُرِيدُ إتْلافَها أتْلَفَهُ اللهُ».رواه البخاري.(١)

إرشادات الحديث:

١- الأموالُ اسمُ جنسٍ يشملُ كلَّ مَا يُتمَوَّلُ وله قيمةٌ مِنَ النقودِ والعَقَارَاتِ والدَّوَابِّ وغيرِها، وقدْ عظَّم الإسلامُ شأنَ المالِ وأمَرَ بحفظِهِ ونَهَى عن تضييعِهِ، وذلك لأن بِهِ قِوامُ حياةِ النَّاسِ، قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾(٢)، ولذلك حَرَّمَ الشرعُ أموالَ الناسِ، فلا يجوزُ أخذُها بغيرِ رضًى منهم، ومَنْ أخَذَهَا عَلى وجهٍ بحيثُ يَجِبُ عليهِ رَدُّهَا أو رَدُّ مِثْلِهَا فالواجِبُ عليهِ العَزْمُ عَلى أدائِهَا إليهمْ حَسبَ الوقتِ المتَّفَقِ عليهِ بينهمْ.

٢- يشملُ الحديثُ كلَّ مَنْ أخَذَ أموالَ النَّاسِ بأيِّ طَرِيقٍ مُبَاحٍ، مثلُ: القرضِ أو العَارِيَّةِ أو الوديعَةِ، أوبيوعِ الْمُدَايَنَاتِ سواءٌ أكانَ دَفْعُ الثَّمَنِ كَامِلاً مؤجَّلا، أمْ بطريقِ التَّقْسِيطِ، ويَلحقُ بذلك الدُّيونُ الثَّابِتَةُ بأيِّ طَرِيقٍ: كَصَدَاقِ الزَّوْجةِ المؤخَّرِ، والحقوقِ الماليةِ الثابتةِ بسببِ الخِدماتِ المتنوعةِ كخِدْمَاتِ الكَهْرَبَاءِ والهاتِفِ وغيرِهِمَا، فلا بدَّ مِنْ أدائها للشركات المقدِّمَةِ لَها.

٣- مَنْ أخَذَ شيئًا مِنْ أموالَ النَّاسِ بطَرِيقٍ مُبَاحٍ وهو عازِمٌ عَلَى أدائها أعَانَهُ اللهُ تعالى عَلَى ذلكَ في الدُّنيا بأنْ يُيَسِّرَ لَهُ الأداءَ، أو يُعَطِّفَ أصحابَ الحقِّ عليه لِتَحْلِيلِهِ مِنَ الدَّين ونحوه، وفي الآخِرَةِ إن لَمْ يَتَيَسَّرْ لَهُ ذلكَ في الدُّنْيا بأنْ يُرضيَ عنهُ خُصومَهُ فَلا يأخُذوا مِنْ حَسَنَاتِهِ ولا تُرَدُّ عليهِ سَيِّئَاتُهُمْ، قالَ الحافظُ ابنُ حَجَرٍ رحمه الله: إمَّا بِأَنْ يَفْتَحَ عليهِ في الدُّنيا، وإمَّا بِأَنْ يَتَكَفَّلَ عنهُ في الآخِرَةِ(٣).اهـ وقالَ العَيْنِيُّ رحمه الله: يَسَّرَ لَهُ مَا يُؤَدِّيهِ مِنْ فَضلِهِ لِحُسْنِ نِيَّتِهِ(٤). اهـ وإنَّمَا يَسَّرَ اللهُ لَهُ ذلكَ لِصِدْقِ نِيَّتِهِ وقوةِ عَزِيمَتِهِ عَلَى أداءِ حُقوقِ النَّاسِ.

٤- في الحديثِ وعِيدٌ شديدٌ لِلَّذِينَ يأخذونَ أموالَ النَّاسِ وليسَ في نِيَّتِهِمْ أداؤُهَا، وقد تَوعَّدَهُم اللهُ تعالى بالإتلافِ، ومَعْنَاه: أَنَّهُمْ بِإِسَاءَتِهِمْ لِلنَّاسِ يستحقونَ العقوبةَ بإتلافِهِمْ بأيِّ نوعٍ مِنَ الإتلافِ،

---

(١) رواه البخاري في كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس،باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها ٢/٨٤١ (٢٢٥٧).

(٢) سورة النساء آية ٥.

(٣) فتح الباري ٥/٥٤.

(٤) عمدة القاري ١٢/٢٢٦.

في نُفوسَهُمْ، أوأموالهم، أو بنَزعِ البَرَكةِ مِنْهَا، قالَ الحافظُ ابنُ حَجَرٍ رحمه الله: قولُهُ: «أتلفَهُ اللهُ» ظَاهِرُهُ أنَّ الإتلافَ يقَعُ لَهُ في الدُّنيَا وذلكَ في مَعَاشِهِ أو في نَفْسِهِ، وقيلَ: الْمُرادُ بالإتلافِ عذابُ الآخِرَةِ. اهـ[1] وقالَ العَيْنِيُّ رحمه الله: «أتلفَهُ اللهُ» يَعنِي يُذهِبُهُ مِنْ يَدِهِ فلا يَنْتَفِعُ بِهِ لِسوءِ نِيَّتِهِ، ويَبْقَى عليهِ الدَّينُ ويُعاقَبُ بِهِ يومَ القِيامَةِ.اهـ[2]

٥- في الحديثِ الْحَثُّ عَلَى المبادرَةِ لأداءِ الحقوقِ إلى أهلِها، و هو واجبٌ، وهذا مِن محاسِنِ الشريعةِ، ومَكارِمِ الأخلاقِ، فإنَّ أداءَ الحقوقِ إلى أهلِهَا والمبادرةَ فيهِ دونَ تباطؤ وتأخيرٍ عونٌ على انتشارِ التعاونِ بينَ الناسِ وشيوعِ مَكارِمِ الأخلاقِ بينهم، بخلافِ المماطلةِ في ذلك فإنها تؤدِّي إلى قطعِ العَلاقاتِ والتعاونِ بين الناس، وتتسبَّبُ في تركِ المكارِمِ.

٦- يُسَنُّ الإحسانُ في الأداءِ، وذلك بردِّ أفضلَ مِن الذي عليهِ أو أكثرَ، وهذا مِن مَكارِمِ الأخلاقِ التي كانَ النبيُّ ﷺ يفعلُها ويأمُرُ بِها، ففي حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً أتى النبيَّ ﷺ يَتَقَاضَاهُ فَأَغْلَظَ، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعُوهُ فإنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالاً»، ثُمَّ قالَ: «أَعْطُوهُ سِنًّا مِثْلَ سِنِّهِ»، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ لاَ نجدُ إلا أَمْثَلَ مِنْ سِنِّهِ، فقالَ: «أَعْطُوهُ فإن مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ قَضَاءً».متفق عليه.[3]

٧- أفادَ الحديثُ جوازَ الاقتراضِ، والشراءِ بالدَّين، وقد قالَ الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه)[4]، وهذه الآيَةُ عامَّة في جَمِيعِ الدُّيونِ، ومنهَا: القَرْضُ وبيع السَّلَمِ، والشِّراءُ بالآجلِ ومنه: الشِّراءُ بالتَّقْسِيطِ.

٨- يَنبغي تَركُ الاقْتِراضِ وتَحَمُّلِ الدُّيونِ لِغَيْرِ حاجةٍ، فقد جاءتِ الأحاديثُ بالتَّرهيبِ مِنْ ذلك، ففي حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إلا الدَّيْنَ».رواه مسلم[5].

---

(١) فتح الباري ٥/٥٤ باختصار.

(٢) عمدة القاري ١٢/٢٢٦.

(٣) رواه البخاري في كتاب الوكالة، بَاب الْوَكَالَةِ فِي قَضَاءِ الدُّيُونِ ٢/٨٠٩(٢١٨٣)، ومسلم في كتاب المساقاة، بَاب من اسْتَسْلَفَ شيئا فَقَضَى خَيْرًا منه وَخَيْرُكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً ٣/١٢٢٥(١٦٠١)، وهذهِ الزِّيَادَةُ لا تدخلُ في القرضِ الذي يَجُرُّ نفعًا فإن ذلك في الزِّيادَةِ المشروطَةِ عندَ العقدِ، وهي مِن الرِّبا المحرَّم، أمَّا إذا لَمْ تَكُنْ مشروطةً، وكانتْ بعدَ قضاءِ الحقِّ أو مَعهُ فلا بَأسَ بذلك.

(٤) سورة البقرة آية ٢٨٢.

(٥) رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين ٣/١٥٠٢(١٨٨٦).

٩- مَن كان عليه حقوق ماليَّةٌ للناس وقد حل أداؤها، وجب عليه المبادرة بذلك مع القدرة عليه، فإن أخَّرَها مع القدرة ومَطَلَ بها أصحابَها فهذا من الظلم المحرم الذي يبيح للإنسان أن يشكوه ويطالب بسجنه، فعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ».متفق عليه[١]، وعن الشَّرِيدِ بن سُوَيْدٍ الثقفي ﷺ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيُّ الْوَاجِدِ يُحِلُّ عِرْضَهُ وَعُقُوبَتَهُ».رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه[٢]، قالَ وَكِيعٌ: «عِرْضُهُ»: شِكَايَتُهُ، «وَعُقُوبَتُهُ»: حَبْسُهُ. ذكره أحمد.[٣]

---

(١) رواه البخاري في كِتَاب الْحَوَالاتِ، بَاب في الْحَوَالَةِ وَهَلْ يَرْجِعُ في الْحَوَالَةِ ٢/٧٩٩(٢١٦٦)، ومسلم في كتاب المساقاة، بَاب تَحْرِيمِ مَطْلِ الْغَنِيِّ وَصِحَّةِ الْحَوَالَةِ وَاسْتِحْبَابِ قَبُولِهَا إذا أُحِيلَ على ملي ٣/١١٩٧(١٥٦٤).

(٢) رواه أحمد ٤/٢٢٢،٣٨٨ ، وأبو داود في كتاب الأقضية، بَاب في الْحَبْسِ في الدَّيْنِ وَغَيْرِهِ ٣/٣١٣(٣٦٢٨)، والنسائي في كتاب البيوع، باب مَطْلُ الْغَنِيِّ ٧/٣١٦(٤٦٨٩)، وابن ماجه في كتاب الصدقات، بَاب الْحَبْسِ في الدَّيْنِ وَالْمُلازَمَةِ ٢/٨١١(٢٤٢٧)، وصححه ابن حبان ١١/٤٨٦(٥٠٨٩)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ٤/١١٥.

(٣) مسند أحمد ٤/٢٢٢ .

الأدَبُ مَعَ بيوتِ الله تعالى

٢٦- عن أَنَسِ بن مَالِكٍ ﷺ قالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ جَاء أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فقالَ أَصْحَابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ: مَهْ مَهْ، قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تُزْرِمُوهُ، دَعُوهُ»، فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَاهُ فقالَ لَهُ: «إِنَّ هذِهِ الْمَسَاجِدَ لا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هذا الْبَوْلِ ولا الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عزَّ وجَلَّ، وَالصَّلاةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ»، قالَ: فَأَمَرَ رَجُلاً مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عليهِ. رواه مسلم وأصله في البخاري.(١)

إرشادات الحديث:

١- لِلْمَسَاجِدِ في الإسلامِ مكانةٌ عظيمةٌ شريفةٌ، تَتَمَثَّلُ فيما يلي:

أ- المسَاجدُ بيوتُ الله تعالى، قال تعالى: (وأن المساجد لله)(٢)، قال العلماءُ: وهذه الإضافةُ إضافَةُ تشريفٍ، وفي صحيحِ مسلم أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ» الحديثَ.رواه مسلم.(٣)

ب- المسَاجدُ أشرفُ البِقاعِ وأفضلُها وأطهرُها، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: «أَحَبُّ الْبِلادِ إلى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلادِ إلى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا».رواه مسلم.(٤)

ت- المسَاجدُ موضع أداءِ الصلاة المفروضة التي هي الركن الثاني من أركان الإسلام.

٢- أعظمُ ما بُنيتْ له المسَاجدُ: ذِكْرُ الله تعالى بأنواعه، ومِنْ أهمِّ أنواعِ الذِّكْرِ المشروعِ في المساجِدِ ما يلي:

أ- الصَّلاةُ، ويدخلُ في ذلك الصلواتُ المفروضةُ وغيرُها.

ب- قراءةُ القرآنِ الكريمِ وتَدَارُسُهُ، قالَ الله تعالى: (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ)(٥)، قالَ ابنُ كثير رحمه الله: أيْ: اِسْمَ اللهِ، قالَ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: يعني يُتْلَى

---

(١) رواه مسلم في كتاب الطهارة، بَاب وُجُوبِ غَسْلِ الْبَوْلِ وَغَيْرِهِ من النَّجَاسَاتِ إذا حَصَلَتْ في الْمَسْجِدِ وَأَنَّ الأَرْضَ تَطْهُرُ بِالْمَاءِ من غَيْرِ حَاجَةٍ إلى حَفْرِهَا ١/٢٣٦(٢٨٥)، وأصله في صحيح البخاري مختصرا في كتاب الوضوء، بَابُ يُهَرِيقُ الْمَاءَ على الْبَوْلِ ١/٨٩(٢١٩).

(٢) سورة الجن آية ١٨.

(٣) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، بَاب فَضْلِ الاجْتِمَاعِ على تِلاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ ٤/٢٠٧٤ (٢٦٩٩).

(٤) رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح وفضل المساجد ١/٤٦٤(٦٧١).

(٥) سورة النور آية ٣٦.

كِتَابُهُ.اهـ[1] وعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ الله فِيمَنْ عِنْدَهُ».رواه مسلم.[2]

ت- تَعلُّمُ العِلمِ الشرعي وتعليمُهُ.

٣- يَجِبُ صِيَانَةُ الْمَسَاجِدِ عَمَّا لاَ يَلِيقُ بِهَا، ويَحرُمُ تقذيرها بشيء مما يلي:

أ- النَّجَاسَاتُ، كالبول والغائط والدم.

ب- الأَقْذَارُ، كالبُصاقِ والمخاطِ والأوساخِ وبقايا السواكِ والمناديلِ المتسخةِ.

ت- الدخولُ إليها بالأحذيةِ المتسخَةِ أو الملابسِ التي تقذِّرُ المسجدَ.

٤- يشرعُ العناية بالْمَسَاجِدِ مِن نواحٍ متعدِّدَةٍ منها:

أ- تَطييبُهَا بالروائحِ الحسَنَةِ.

ب- نَظافتُها وكنسُها.

ت- إزالةُ ما يُرَى مِن الأذَى فيهَا، فعن أَنَسِ بن مَالِكٍ ﷺ أن النَّبِيَّ ﷺ قال: «الْبُزَاقُ فِي الْمَسْجِدِ خَطِيئَةٌ، وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا».متفق عليه[3]، وحيث لا يمكن الدفنُ فالكفارةُ إزالة ذلك القذَرِ، كما في حديث أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ النبيَّ ﷺ «أَبْصَرَ نُخَامَةً فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ، فَحَكَّهَا بِحَصَاةٍ».متفق عليه.[4]

٥- يَجِبُ صِيَانَةُ الْمَسَاجِدِ عَمَّا لاَ يَلِيقُ بِهَا مِنَ الكلامِ والمعاملاتِ، مثلُ: الكَلام السَّيِّء، واللَّغْوِ البَاطِلِ، والبيعِ والشراءِ والإيجارِ، أو الإعلاناتِ لذلك داخل المساجد، ونُشدانِ الضَّالَّةِ أو المسروقاتِ مِن الإبلِ أو السياراتِ وغيرِها.

٦- يُكرهُ التشويشُ على المصلّين أو القارئينَ برفعِ الصوتِ في المسجدِ، سواءٌ أكان ذلكَ بكلامٍ معتادٍ ومحادثةٍ، أم كانَ بقراءةِ القرآنِ الكريمِ بحيثُ يؤذي مَن بجانبِهِ، فعَنِ الْبَيَاضِيِّ الأنصاريِّ ﷺ أَنَّ

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٢٩٥.

(٢) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، بَاب فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ على تِلاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ ٤/٢٠٧٤ (٢٦٩٩).

(٣) رواه البخاري في أبواب المساجد، بَاب كَفَّارَةِ الْبُزَاقِ فِي الْمَسْجِدِ ١/١٦١(٤٠٥)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بَاب النَّهْيِ عن الْبُصَاقِ فِي الْمَسْجِدِ فِي الصَّلاةِ وَغَيْرِهَا ١/٣٩٠(٥٥٢) .

(٤) رواه البخاري في أبواب المساجد، بَاب لِيَبْزُقْ عن يَسَارِهِ أو تَحْتَ قَدَمِهِ الْيُسْرَى ١/١٦٠(٤٠٤)، و مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بَاب النَّهْيِ عن الْبُصَاقِ فِي الْمَسْجِدِ فِي الصَّلاةِ وَغَيْرِهَا١/٣٨٩(٥٤٨).

رَسُولَ الله ﷺ خَرَجَ عَلَى النَّاسِ وَهُمْ يُصَلُّونَ وقد عَلَتْ أَصْوَاتُهُمْ بِالْقِرَاءَةِ، فقال: «إِنَّ الْمُصَلِّيَ يُنَاجِي رَبَّهُ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ يُنَاجِيهِ بِهِ، وَلاَ يَجْهَرْ بَعْضُكُمْ على بَعْضٍ بِالْقُرْآنِ». رواه مالك وأحمد.(١)

٧- يَجوزُ لِمَنْ في المسجدِ الكلامُ القليلُ المباحُ في شؤونِ الدُّنيا مِن غير رفعِ صوتٍ يَشْغَلُ القُرَّاءَ أو الْمُصَلِّينَ(٢)، ومما يدل على جوازه حديثُ جَابِرِ بن سَمُرَةَ رضي الله عنهما قالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لا يَقُومُ مِنْ مُصَلاَّهُ الَّذي يُصَلِّي فيه الصُّبْحَ أو الْغَدَاةَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فإذا طَلَعَت الشَّمْسُ قامَ، وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ فَيَأْخُذُونَ في أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَيَضْحَكُونَ وَيَتَبَسَّمُ». رواه مسلم.(٣)

٨- يستحبُّ عند الخروجِ إلى المسجدِ التزامُ الآدابِ الشرعيةِ لذلك، ومنها:

أ- التبكيرُ في الذهابِ إلى المسجدِ، والحرصُ على الصَّلاةِ في الصفِّ الأوَّلِ، قال ﷺ: «لَوْ يَعْلَمُ الناسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا عليه لاسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لاسْتَبَقُوا إليه». متفق عليه(٤)، والتهجيرُ: التبكيرُ، قالَ شيخَ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ رحمه الله تعالى: مَن جاءَ أوَّلَ الناسِ وَصَفَّ في غيرِ الأوَّل، فقد خالفَ الشريعةَ.اهـ(٥)

وللتَّبْكير فوائدُ، منها: تعظيمُ الصَّلاةِ، وإدراكُها مِن أوَّلِها، وإدراكُ الصفِّ الأوَّلِ وتكبيرةِ الإحرامِ، وأداءُ النافلةِ، وقراءةُ القرآنِ، وحصولُ استغفارِ الملائكةِ، وأنه لا يزالُ في صَلاةٍ ما انتظرَ الصَّلاةَ، وهو أقربُ لإدراكِ الخشوعِ في الصَّلاةِ.

---

(١) رواه مالك في الموطأ في كتاب الصلاة، باب العمل في القراءة ١/٨٠(١٧٧)، ومن طريقه أحمد ٤/٣٤٤، والنسائي في السنن الكبرى ٥/٣٢(٨٠٩١)، والبيهقي ٣/١١، ورواه عبد الرزاق في مصنفه ٢/٤٩٨(٤٢١٧) فأرسله، وصححه ابن عبد البر في التمهيد ٢٣/٣١٩، والحافظ ابن حجر كما في المقاصد الحسنة للسخاوي ص٣٦١. ورواه بنحوه من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ عبد الرزاق في مصنفه ٢/٤٩٨(٤٢١٦)، ومن طريقه أحمد ٣/٩٤، وأبو داود في أبواب قيام الليل، بَاب فِي رَفْعِ الصَّوْتِ بِالْقِرَاءَةِ فِي صَلاةِ اللَّيْلِ ٢/٣٨(١٣٣٢)، والنسائي في السنن الكبرى ٥/٣٢(٨٠٩٢)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ١/٤٥٤، والبيهقي ٣/١١، قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه ابن عبد البر في التمهيد ٢٣/٣١٩، والنووي (خلاصة الأحكام ١/٣٩٣، والمجموع ٣/٣٤٧)، والحافظ ابن حجر كما في المقاصد الحسنة للسخاوي ص٣٦١، ورواه أحمد أيضا من حديث ابن عمر نحوه ٢/٣٦، ٦٧، ١٢٩.

(٢) ينظر: فتاوى اللجنة الدائمة ٦/٢٨٠، ومجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ١٣/١٥.

(٣) رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح وفضل المساجد ١/٤٦٣(٦٧٠).

(٤) رواه البخاري في كتاب الأذان، بَاب الاسْتِهَامِ فِي الأَذَانِ ١/٢٢٢(٥٩٠)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها والازدحام على الصف الأول ١/٣٢٥(٤٣٧).

(٥) مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٢/٢٦٢.

ب- المشيُ إلى المسجدِ بهدوءٍ وطُمأنينةٍ، قال ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمْ الإِقَامَةَ فَامْشُوا إِلَى الصَّلاةِ، وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، ولا تُسْرِعُوا، فما أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وما فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا».متفق عليه.[1]

ت- تقديمُ الرِّجلِ اليُمنى في الدخولِ، واليُسرى في الخروجِ، قالَ أنسٌ رضي الله عنه: مِن السُّنَّةِ إذَا دخلتَ المسجدَ أن تَبدَأ بِرِجلكَ اليُمنى، وإذا خرجتَ أن تبدَأ بِرِجلكَ اليُسرى.[2]

ث- قولُ الذِّكرِ الواردِ عندَ الدخولِ والخروجِ، ومنهُ ما أَمَرَ بِهِ النبيُّ ﷺ بقوله: «إِذَا دَخَلَ أحدُكم المسجدَ فَلْيقلْ: اللهمَّ افتحْ لي أبوابَ رحمتِكَ، وإذا خرجَ فليقلْ: اللهمَّ إني أَسألكَ مِنْ فضلكَ».رواه مسلم. [3]

٩- يسنُّ صلاةُ ركعتينِ تحيةً للمسجدِ قبلَ الجلوسِ في أيِّ وقتٍ كانَ، فعن أبي قَتادةَ بنِ رِبعي السلميِّ الأنصاري رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قالَ: «إذا دَخَلَ أحَدُكم المسجدَ؛ فلْيركعْ ركعتَينِ قبلَ أن يجلسَ».متفق عليه[4]، ويصليهَا الداخلُ ولو حالَ خُطبةِ الإمامِ يومَ الجمعةِ، ولكنْ يخفِّفُها، فعن جابرٍ رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «إذا جَاءَ أحدُكم والإمامُ يخطُبُ أو قد خَرَجَ فليصلِّ ركعتينِ»، متفق عليه[5]، وفي لفظٍ لمسلم: «ولْيَتَجَوَّزْ فيهما»[6]، يعني: يخفِّفُهمَا.

١٠- ينبغي الحرصُ على عِمارةِ المساجدِ، وهي نوعان:

أ – **العِمارة المادية**، والمرادُ بناؤها، وفيه فضلٌ عظيمٌ، فعن عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ؛ بَنَى اللهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ».متفق عليه[7].

ب– العِمارة المعنوية، والمرادُ: الصَّلاةُ فيها والاعتكافُ، والذكرُ، وقراءةُ القرآن، وتعلُّمُ العِلمِ النافع وتعليمُه، ونحوُ ذلك من الطاعات.

([1])رواه البخاري في كتاب الأذان، باب لا يسعى إلى الصلاة وليأت بالسكينة والوقار ٢٢٨/١ (٦١٠)،، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة والنهي عن إتيانها سعيا ٤٢٠/١ (٦٠٢).

(٢) رواه الحاكم ٢١٨/١، وقال: صحيح على شرط مسلم.

([3]) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب ما يقول إذا دخل المسجد ٤٩٤/١ (٧١٣).

([4]) رواه البخاري في أبواب المساجد، باب إذا دخل المسجد فليركع ركعتين ١٧٠/١(٤٣٣)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحية المسجد بركعتين وكراهة الجلوس قبل صلاتهما وأنها مشروعة في جميع الأوقات ٤٩٥/١(٧١٤).

([5]) رواه البخاري أبواب التطوع، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى ٣٩٢/١(١١١٣)، ومسلم في كتاب الجمعة، باب التحية والإمام يخطب ٥٩٦/٢(٨٧٥).

([6]) رواه مسلم في الموضع السابق ٥٩٧/٢.

(٧) رواه البخاري في أبواب المساجد، بَاب من بَنَى مَسْجِدًا ١٧٢/١(٤٣٩)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بَاب فَضْلِ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ وَالْحَثِّ عليها٣٧٨/١(٥٣٣).

ويجمع هذين النوعينِ قولُه تعالى: (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين)[1].

(١) سورة التوبة آية ١٨.

أَدَبُ الدَّعوةِ إلى اللهِ والتعامُلِ مَعَ الْمَدْعُوِّينَ

٢٧- عن أبي رِفَاعَةَ العَدَوِيِّ ﷺ قالَ: انْتَهَيْتُ إلى النبيِّ ﷺ وهو يَخْطُبُ، فقلتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ، رَجُلٌ غَرِيبٌ جَاءَ يَسْأَلُ عن دِينِهِ، لا يَدْرِي ما دِينُهُ. قالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حتى انْتَهَى إلَيَّ، فَأُتِيَ بِكُرْسِيٍّ حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيدًا، قالَ: فَقَعَدَ عليهِ رسولُ اللَّهِ ﷺ وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ الله، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ فَأَتَمَّ آخِرَهَا.رواه مسلم.[١]

إرشادات الحديث

١- الدَّعوةُ إلى الله تعالى أشرفُ الأعمالِ وأجَلُّها، قال الله تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)[٢]، ومعنى الآية: لا أحدَ أحسنُ مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا، وسبب ذلك:

أ- أنها مُهمةُ الأنبياءِ عليهم السلام.

ب- أن الله تعالى إنما خلقَ الخلقَ لعبادتِهِ وحدَهُ لا شريك له، والداعي إلى الله تعالى يُرشِدُ الناسَ إلى هذهِ الغايةِ العظيمَةِ، ويربِّيهِمْ عَلَيْهَا.

٢- الدَّعوةُ إلى الله تعالى واجبةٌ على الأُمَّةِ وجوبًا كِفَائِيًّا، إذا قامَ بها مَن يكفي سَقطَ الحرجُ عن الباقينَ، وقد تكونُ واجبةٌ وجوبًا عَيْنِيًّا على بعضِ الأشخاصِ في بعضِ الأزمنةِ، والأمكنةِ والأحوالِ[٣]، ونحنُ في هذا العصرِ أحوجُ ما نكونُ إلى الدُّعَاةِ الواعينَ بالشريعَةِ، العاملينَ مِن أجْلِ تبليغِهَا، وذلكَ لِكثْرَةِ الجهْلِ، وانتشارِ الشِّرْكِ والبِدَعِ والتَّغْرِيبِ، وكثرةِ الدُّعَاةِ إلى الباطِلِ، مَعَ كثرةِ أساليبِهِمْ وتَنَوُّعِهَا، وامتلاكِهِم للإمكانياتِ الضَّخْمَةِ في الدَّعوةِ لِبَاطِلِهِمْ.

٣- لِلدَّعوةِ إلى اللهِ تعالى فضائلُ كثيرةٌ، منهَا ما دلت عليه الأحاديث التالية:

---

(١) رواه مسلم في كتاب الجمعة، بَاب حديث التَّعْلِيمِ في الْخُطْبَةِ ٢/٥٩٧(٨٧٦).

(٢) سورة فصلت آية ٣٣.

(٣) مثل الأب يلزمه عينا دعوة أسرته، ومَن كان في موضع ليس فيه قادر على الدعوة غيره.

أ- حديثُ سهلِ بنِ سعدٍ ﷺ أن النبي ﷺ قال لِعَلِيِّ بنِ أبي طالبٍ ﷺ يومَ خيبر: « ثم ادْعُهُمْ إلى الإسلامِ، وأخبِرهم بما يجبُ عليهمْ، فوَ الله لأَن يهديَ الله بكَ رجلاً خيْرٌ لكَ مِنْ أنْ يكونَ لكَ حُمْرُ النَّعم».متفق عليه.[1]

ب- حديثُ أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ دَعَا إلى هُدًى كان لَهُ من الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ من تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذلك من أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلالَةٍ كانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ من تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»رواه مسلم.[2]

٤- الرِّفْقُ بالناسِ مِن أهمِّ صفاتِ الداعي إلى الله، وقدْ أمَرَ الله تعالى موسى وهارون عليهما السلام بالتلطُّفِ مَعَ فِرعونَ لعَلَّه أنْ يهتدِيَ، فقال: (فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)[3]، ونحنُ في هذا العصرِ أحوجُ ما نكونُ إلى دَاعيةٍ رَفيقٍ، فهذَا عصرُ الرِّفقِ، قال شيخُ الإسلام ابنُ بازٍ رحمه الله: هذا العصرُ: عصرُ الرِّفقِ والصبرِ والحكمةِ، وليسَ عصرُ الشِّدَّةِ، الناسُ أكثرُهم في جهلٍ، في غفلةٍ وإيثارٍ للدُّنيا، فلا بدَّ مِنَ الصبرِ، ولا بدَّ مِن الرِّفقِ حتَّى تصلَ الدعوةُ، وحتَّى يبلِّغ الناسُ، وحتَّى يُعلَّموا، ونسألُ الله للجميع الهدايةَ.اهـ[4]

٥- التلطُّفُ بالمدعوِّينَ مِن أقوى الأساليبِ الدَّعويةِ التي تؤتي ثِمارَها الطيِّبَةَ، ولِقُدْوَتِنَا ﷺ أروعُ الأمثلةِ في ذلك، فهَا هو في هذا الحديثِ يتلطَّفُ مع أبي رفاعةَ ﷺ كلَّ التلطُّفِ، ويظهرُ ذلك فيما يلي:

أ- أنه ﷺ لَمْ يعتَبْ عليهِ قطعَ خُطبتِهِ، مَعَ أنه إنما كانَ يعلِّم فيها الدِّين، فلَم يقل له: اجلسْ واستمعْ فمَا تطلبهُ هو مَا نقوله الآنَ.

ب- أنه ﷺ أَقْبَلَ عَلَيه وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ.

ت- أنه ﷺ لم يؤجِّلْه أبدًا، لا إلى وقتٍ قريبٍ ولا بعيدٍ، ولو كانَ التفتَ إليهِ وقالَ له: انتَظِرْ حتَّى أنتهي مِن خُطبتي، أو أشارَ إليه بيدِهِ أن انتَظِرْ، لكانَ هذا كافيًا، ولعُدَّ مِن أحسنِ اللُّطفِ والأدبِ في هذهِ الحالةِ، ولكنْ ما فَعلهُ النبيُّ ﷺ مِن تركِ الْخُطبةِ والنزولِ إليه هو الغايةُ في اللُّطْفِ والأدبِ، والرِّفقِ بالمتعلِّمِ، والحرصِ على دعوتِهِ وتعليمِهِ.

([1])رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل ٣/١٠٩٦(٢٨٤٧)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ٤/١٨٧٢(٢٤٠٦).

([2])رواه مسلم في كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة ٤/٢٠٦٠ (٢٦٧٤).

([3]) سورة طه آية ٤٤.

([4]) مجموع فتاوى سماحته (٨ / ٣٧٦) و (١٠ /91).

ث- أنه ﷺ نَزَل مِن مِنْبَرِه لأجلِهِ.

ج- أنه ﷺ تقدَّم إلَيه حَتَّى انْتَهَى إلى موضعه الذي هو فيه ولم يأمُرْه أن يتقدَّمَ هو إليه.

ح- أنه ﷺ جلسَ على كُرْسِيٍّ وكأنه يُشعِر الرَّجُلَ بالطُّمَأنينَةِ، وأنه سيعلِّمه على مَهَلٍ، فليسألْ عمَّا يشاءُ، فلا داعي للعَجَلَةِ.

خ- أنه ﷺ جَعَلَ يُعَلِّمُه مِمَّا عَلَّمَهُ الله، وهذا يُشعرُ بأنه علَّمه شيئًا كثيرًا يتناسبُ مَعَ مَا يريدُ، فلَمْ يعلِّمهُ شيئًا واحدًا فَحَسْبُ.

د- أنه ﷺ خصَّهُ بالتَّعليمِ وحدَهُ وكان يمكنُ أنْ يكتفيَ بتحويلِ الخُطبة إلى ما يريدُ ويعلِّمَهُ مَعَ غيرِه ليعمَّ النفعُ لكنَّهُ خَصَّهُ بذلكَ لِمَا لَهُ مِن الأَثَرِ الكبيرِ عليهِ، ولأنَّهُ أقربُ لِمقصودِهِ حيثُ جَاءَ والنَّاسُ يستمعونَ لِعِلْمٍ ودِينٍ فكأنَّه أرادَ الخُصوصيَّةَ فأجابَه النَّبِيُّ ﷺ لِمَا يريدُ.

ذ- أنه ﷺ علَّمَهُ بنفسِهِ، ولو وَكَلَ تعليمَهُ لأَيِّ واحدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ لكانَ هَذا كافِيًا في تعليمِهِ، وكلُّ واحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ كانَ يمكنُ أنْ يفيدَهُ عَمَّا سَأَلَ.

ر- أنه ﷺ عَلَّمَهُ بنفسِهِ مَعَ كثرةِ مَشَاغِلِهِ، وحالَ كونِهِ مشغولاً بشيءٍ مِنْهَا، وهو بَيْنَ أصحابِهِ ومُحِبِّيهِ، وهو مَنْ هو في مكانَتِهِ وعُلُوِّ منزلَتِهِ.

- فانظرْ إلى تأثيرِ كلِّ ذلك مجتمعًا على المدعُوِّ.

٦- على الداعي إلى الله تعالى أن يكونَ حريصًا على هدايَةِ الناس وإنقاذِهم مِن النارِ، فيسلكُ أفضلَ السُّبلِ وأحسَنَها لهدايتهم، ويتخذُ كلَّ وسيلةٍ ممكنةٍ مشروعةٍ لإقناعِهم، ويستغلُّ كلَّ فرصةٍ سانحةٍ لإرشادِهم، ويواصلُ الدعوةَ ولا ييأسَ أو يملَّ منها، ويكرِّرُ الدعوةَ وإن طالَ عِنادُهم، وظهَرَ استكبارُهم، حتَّى ينقذهم مما هُمْ فيهِ أو يُعذَرَ أمامَ الله جل وعلا، وهذا هو طريقُ الأنبياءِ عليهمُ السلامُ من نوحٍ عليه السلامُ إلى محمَّدٍ ﷺ .

٧- مِن شروطِ الداعي إلى الله تعالى: أن يكونَ عَلَى عِلْمٍ بِما يدعو إليهِ، فلا تَجوزُ الدَّعوةُ إلى الله تعالى بغيرِ عِلمٍ، لأنَّ مَنْ دَعَا بِالجهْلِ أوْشَكَ أنْ يَدعُوَ إلى البِدعَةِ والضَّلالَةِ وهو يظُنُّ أنه يدعو إلى الله، قال تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [1]، والبصيرةُ العِلم، فعلى الدَّاعي إلى الله تعالى أنْ يكونَ حريصًا على التزوُّدِ مِن العِلمِ الشرعيِّ ما أمكنه.

---

[1] سورة يوسف آية ١٠٨.

٨- مِن أهمِّ صفاتِ الداعي إلى الله تعالى: أن يكونَ قُدوةً فيما يأمرُ به، قدوةً فيما يَنهى عنه، وإلاَّ كانَ بِمخالفتِهِ لِمَا يأمرُ به ويَنهى عنه مِنَ الصَّادِّين عن سبيلِ الله تعالى، قال الإمامُ ابنُ القيِّم رحمه الله: علماءُ السوءِ جَلَسوا على بابِ الجنةِ يدعون إليها الناسَ بأقوالِهم، ويدعونَهم إلى النارِ بأفعالِهم، فكلمَّا قالتْ أقوالُهم للناس: هلمُّوا، قالتْ أفعالُهم: لا تسمعُوا منهم، فلَو كانَ مَا دَعَوْا إليهِ حقًّا كانوا أوَّلَ المستجيبين له، فَهُمْ في الصورةِ أَدِلاَّءُ، وفي الحقيقةِ قُطَّاعُ الطُّرُقِ.اهـ[1]

٩- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: الآمرُ بالمعروف والناهي عن المنكر لا يكون عمله صالِحًا إن لَّم يكنْ بعلمٍ وفقهٍ، فإنَّ العملَ إن لَّم يكنْ بعلمٍ كانَ جهلاً وضلالاً، فلا بُدَّ منَ العِلمِ بالْمَعروفِ والْمُنكَرِ، والتمييزِ بينهُمَا، ولا بُدَّ في ذلكَ مِنَ الرِّفْقِ، ولاَ بُدَّ أيضًا أن يكونَ حَلِيمًا صَبورًا عَلَى الأَذَى، فإنَّهُ لاَ بُدَّ أن يَحصل لَهُ أذًى، فإن لَمْ يَحلِم ويَصبر كانَ مَا يُفسدُ أكثرَ مِمَّا يُصلِحُ، فلا بُدَّ مِن هذه الثلاثةِ: العِلْمُ قبلَ الأمرِ والنهي، والرِّفقُ معه، والصَّبْرُ بعده.[2]

١٠- على الداعي إلى الله تعالى أن يكونَ حذِرًا مِن تيئيسِ الناسِ مِن رحمةِ الله، أو تقنيطِهِمْ، أو إملالِهِمْ بكثرةِ الوعظِ أو التشديدِ فيهِ، أو التطويلِ عليهمْ، قال أبو وَائِلٍ: كان عبدُ اللَّهِ بنُ مسعود ﷺ يُذَكِّرُنَا كُلَّ يَوْمِ خَمِيسٍ، فقال له رَجُلٌ: يا أَبَا عبد الرحمن، إِنَّا نُحِبُّ حَدِيثَكَ وَنَشْتَهِيهِ، وَلَوَدِدْنَا أَنَّكَ حَدَّثْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ، فقال: مَا يَمْنَعُنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ إِلاَّ كَرَاهِيَةُ أَنْ أُمِلَّكُمْ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ «كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ، كَرَاهِيَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا» متفق عليه.[3]

---

(١) الفوائد ص ٦١.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٨/١٣٥-١٣٧- مختصرا، وانظر نحوه أيضا ١٥/١٦٧.

(٣) رواه البخاري في كتاب العلم، بَاب من جَعَلَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَيَّامًا مَعْلُومَةً ١/٣٩(٧٠)،ومسلم في كِتَاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَاب الِاقْتِصَادِ فِي الْمَوْعِظَةِ ٤/٢١٧٢(٢٨٢١)، وهذا لفظه.

أدبُ الدُّعاءِ

٢٨- عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أن النبيَّ ﷺ قالَ: «لا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أو قَطِيعَةِ رَحِمٍ؛ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ» قِيلَ: يا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الاسْتِعْجَالُ؟ قالَ: «يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لي، فَيَسْتَحْسِرُ[1] عِنْدَ ذلكَ، وَيَدَعُ الدُّعَاءَ».متفق عليه.[2]

إرشادات الحديث:

١- للدعاء مكانة عظيمة تتمثل فيما يلي:

أ- الدُّعَاءُ مِن أعظم العبادات وأجلِّها، فعن النعمانِ بنِ بشيرٍ رضي الله عنهما أن النَّبِيَّ ﷺ قالَ: «الدُّعَاءُ هو الْعِبَادةُ».رواه أحمد وأهل السُّنَن.[3]

ب- الدُّعَاءُ محبوبٌ لِلَّهِ عزَّ وَجَلَّ فهذَا نَبِيُّهُ ﷺ يقولُ: «لَيسَ شَيءٌ أكرَمَ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الدُّعَاءِ».رواه أحمد[4].

ت- فِي الدُّعَاء إظهارٌ لذُلِّ الْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ تعالى، والافْتِقَارِ إِلَيْهِ، ونَفْيِ الْكِبْرِيَاءِ عن عبادته.

٢- يجبُ على المسلمِ إخلاصُ الدُّعاء لله وحده لا شريك له، ومِن أعظم الشِّركِ: دعاءُ غيرِ الله تعالى والاستغاثةُ به، وقد كانتْ هذه المسألةُ مِن أكبرِ المسائلِ التي جادَل فيها الأنبياءُ عليهم السلام أقوامَهم، ودَعوهم لإخلاصِها لله تعالى، وبيَّنوا لهم أنَّ صَرفَها لغيرِ الله مِن أعظمِ الشِّركِ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾[5].

٣- لا يجوزُ تركُ الدُّعاءِ استكبارًا على الله جل وعلا، بلْ يجبُ إظهارُ الافتقارِ إليهِ بعبادتِهِ ودُعَائِهِ والتَّذَلُّلِ لَهُ، قال الله تعالى: (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي

---

(١) معنى قولِهِ: «يَسْتَحْسِرُ»: يَنْقَطِعُ (فتح الباري ١١/١٤١).

(٢) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب يستجاب للعبد ما لم يعجل ٥/٢٣٣٥(٥٩٨١)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يُسْتَجَبْ لي ٤/٢٠٩٥(٢٧٣٥)، وهذا لفظه.

(٣) رواه أحمد ٤/٢٦٧، وأبو داود ٢/٧٦(١٤٧٩)، والترمذي ٥/٢١١(٢٩٦٩)، والنسائي في الكبرى ٦/٤٥٠(١١٤٦٤)، وابن ماجه ٢/١٢٥٨(٣٨٢٨)، قال الحافظ(فتح الباري١/٤٩): أخرجه أصحاب السنن بسند جيد.

(٤) رواه أحمد ٢/٣٦٢، والبخاري في الأدب المفرد (٧١٢)، وابن ماجه (٣٨٢٩)، وصححه الحاكم ١/٤٩٠، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد(٥٤٩).

(٥) سورة الأعراف آية ١٩٤.

سيدخلون جهنم داخرين)[1]، فَمَن اسْتَكْبَرَ عن عِبادَةِ اللهِ تعالى وتَرَكَ الدُّعَاءَ؛ أَدْخَلَهُ اللهُ تعالى جَهَنَّمَ صاغِرًا حَقِيرًا.

٤- دُعَاءُ الْمُسلِمِ لا يَضيعُ بإذن الله، وذلك لأمرين:

الأول: أنَّ الدُّعاءَ في ذِاتِهِ عبادةٌ مِنْ أجَلِّ العِباداتِ التي يُثابُ عليهَا المسلِمُ في ذاتِها، وهو عنوانُ التوحيدِ وعلامةُ الإخلاصِ.

الثاني: أنَّهُ إذَا دَعَا فلا بُدَّ لَهُ مِنْ إحْدَى ثَلاثٍ، بَيَّنَهَا النَّبِيُّ ﷺ كما في حديث أبي سعيدٍ الْخُدريِّ رضي الله عنه قالَ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدعو بِدَعوةٍ لَيْسَ فيهَا إِثْمٌ ولا قَطيعَةُ رَحِمٍ؛ إلا أعطاهُ اللهُ بِهَا إحدَى ثَلاثٍ: إمَّا أنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وإمَّا أنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ في الآخِرَةِ، وإمَّا أنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَها»، قالوا: إذًا نُكْثِرُ. قالَ: «اللهُ أَكْثَرُ».رواه أحمد.[2]

٥- تضمَّنَ الحديثُ جملةً مِن آدابِ الدعاءِ وأحكامِهِ، هي:

أ- مشروعيةُ الاستمرارِ على الدُّعَاءِ وملازمتُهُ وعدمُ الانقطاعِ عنهُ سَآمَةً منه ويأسًا مِنَ الاستجابةِ؛ لِمَا في ذلكَ مِنَ الانْقِيَادِ والاسْتِسْلامِ وإظْهَارِ الافْتِقَارِ، قَالَ بعضُ السَّلَفِ: لأَنَا أشَدُّ خَشْيَةً أنْ أُحْرَمَ الدُّعَاءَ مِنْ أنْ أُحْرَمَ الإجَابةَ[3]، وقالَ مُورِّقٌ العِجليُّ التابعيُّ العابِدُ رحمه الله: لَقَدْ سألتُ اللهَ عَزَّ وجلَّ حَاجَةً عِشْرِينَ سَنَةً، فَمَا شَفَّعَنِي فِيهَا، ومَا سَئِمْتُ مِنَ الدُّعَاءِ.[4]

ب- كراهيةُ استبطَاءِ الإجابَةِ.

ت- تحريمُ الدُّعَاءِ بالإثمِ، مثلُ: الدُّعَاءِ بضلالِ فلانٍ مِن الناسِ، أو الدُّعَاءِ عَلَى شخصٍ لم يظلمْكَ، أو دُعاءِ الإنسانِ على نفسِهِ أو مالِهِ بالذهابِ أو الخسارةِ.

ث - تحريمُ الدُّعَاءِ بما فيه قطيعةُ رحمٍ مثل: الدُّعَاءِ على الوالدَينِ فهو مِن العقوقِ وقطيعةِ الرَّحِمِ، وخلافُ ما أمَرَ الله به مِن الدُّعَاءِ لهما، أو الدُّعَاءِ على الأولادِ، أو الدُّعَاءِ على الأقاربِ مِن غير سببٍ.

٦- مِن آداب الدعاء أيضا مما تضمنته الأدلةُ الأخرى:

---

(1) سورة غافر آية ٦٠.

(2) رواه أحمد ١٨/٣، والبخاري في الأدب المفرد (٧١٠)، وابن أبي شيبة ٢٢/٦، والحاكم ٦٧٠/١ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، قال المنذري(الترغيب والترهيب٣١٤/٢): رواه أحمد والبزار وأبو يعلى بأسانيد جيدة، وقال الألباني في صحيح الأدب المفرد(٥٤٧): صحيح.

(3) ينظر: فتح الباري ١٤١/١١.

(4) تهذيب الكمال ١٧/٢٩.

أ- وجوبُ إخلاصِ الدُّعَاءِ لله تعالى وحدَه لا شريكَ له، قال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[1].

ب- اسْتِحْبَابُ اغْتِنَامِ أوقاتِ الإجابةِ وتحرِّيها، ومنها: الثلثُ الأخيرُ مِن الليلِ، وعندَ الأذانِ والإقامةِ، وأدبارُ الصلواتِ المكتوبةِ عَقِبَ الأذكارِ المشروعةِ، وعندَ صعودِ الإمامِ يومَ الجمعةِ على المنبر حتى تنقضي الصلاةُ، وآخرُ ساعةٍ بعدَ العصرِ من يومِ الجمعةِ.

ت- اسْتِحْبَابُ اغْتِنَامِ الأحوالِ التي يستجابُ فيها الدُّعَاءُ وتحرِّيها، مثلُ: حالِ السجودِ، والصيام، والسفرِ.

ث- وجوبُ إطابةِ المطعَمِ، وذلك بكسبِ الحلالِ، وتجنبِ الكسبِ الحرامِ.

ج- اسْتِحْبَابُ رفعِ اليدينِ مكشوفتينِ، وبسطُهمَا حيالَ الصدرِ أو الوجهِ، وجعلُ بطونِهما إلى السماءِ، مع ضمِّهمَا معًا، أو التفريجِ اليسير بينهُما، أمَّا ما يفعلهُ كثيرٌ مِن الناسِ مِن التفريجِ بينَ الكفَّينِ كثيرًا فلا أصلَ له، ولا قالهُ أحدٌ مِن أهلِ العلم فيمَا علمناهُ.

ح- اسْتِحْبَابُ تَكرارِ الدُّعاءِ والإلحاحِ فيه، وهذا يشملُ نوعينِ مِن التَّكرارِ:

الأول: تَكرَارُه في الحالِ الواحدة مِن الدُّعاءِ بأن يكرِّرَهُ ثلاثًا إذا دَعَا، قالَ عبدُ الله بنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «كانَ النبيُّ ﷺ إذَا دَعَا دَعَا ثَلاثًا، وإذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلاثًا».رواه مسلم[2].

الثاني: تَكرَارُهُ مرارًا في جميعِ أحوالِ العبدِ وأوقاتِهِ، ومَنْ أكثر وأَلَحَّ على الله تعالى فسَرعانَ ما يُستجابُ لهُ.

خ- مَشْرُوعِيَّةُ استحضارِ القلبِ حينَ الدعاءِ، وعدمِ الغفلةِ فيه.

د- مَشْرُوعِيَّةُ الإيقانِ بالإجابةِ أو رجائها حينَ الدعاءِ.

ذ- اسْتِحْبَابُ ابتداءِ الدعاءِ المستقلِّ[3] بحمدِ الله والثناءِ عليه، والصلاةِ والسلامِ على رسولِهِ ﷺ.

---

(1) سورة غافر آية ١٤.

(2) رواه مسلم في كتاب الجهاد والسير، بَاب ما لَقِيَ النبي ﷺ من أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ٣/١٤١٨(١٧٩٤)، وأصله في صحيح البخاري في قصة سلا الجزور في مواضع منها: في أبواب سترة المصلي، بَاب الْمَرْأَةِ تَطْرَحُ عن الْمُصَلِّي شيئًا من الأَذَى ١/١٩٤(٤٩٨)، وليس فيه موضع الشاهد بلفظه، لكن فيه أنه دعا عليهم ثلاثا قال: «اللهم عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، اللهم عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، اللهم عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ».

(3) أما الدعاء العارض أو في أثناء العبادة كالصلاة أو الطواف فظاهر السنة عدم وضع مقدمات له كما في نصوص كثيرة.

ر- مَشْرُوعِيَّةُ دعاءِ الله تعالى بأسمائِهِ الحسنى المناسبةِ للدعاءِ المطلوبِ، ففي الدعاء بالمغفرة والرحمة يُدعى باسمه الغفورِ والغفارِ والرحيمِ والرحمنِ، وعند الدعاءِ بطلبِ المالِ والولدِ يُدعى باسمِهِ الكريمِ والمنانِ والوهابِ، ونحو ذلك.

ز- مَشْرُوعِيَّةُ التوسل إلى الله تعالى بصفاتِهِ الحسنى، مثل: برحمتكَ أستغيثُ، بجودِك أستجيرُ، بكرمِكَ ألوذُ، أو بالأعمالِ الصَّالحةِ التي عَمِلَها الإنسانُ مخلِصًا لله تعالى فيها، مثلُ: أسألكَ بِصَلاتي لَمَا وفقتني، أو بِبِرِّي بِوَالِدَيَّ لَمَا رَحِمْتَنِي.

س- اسْتِحْبَابُ الطهارةِ أثناءَ الدعاءَ.

ش- اسْتِحْبَابُ استقبالِ القبلةِ أثناءَ الدعاءِ.

ص- تجنُّبُ موانعِ استجابةِ الدعاءِ، ومنها: التوسُّعُ فِي الْحَرام أكلاً وشربًا ولُبسًا وتغذيةً[1]، ومنها: الاستعجالُ وتركُ الدعاءِ. [2]

لا تَسْأَلَنْ بُنَيَّ آدمَ حاجَةً ... وسَلِ الذي أبوابُه لا تُحْجَبُ

اللهُ يَغضبُ إنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ ... و بُنَيَّ آدَمَ حِينَ يُسألُ يَغْضَبُ

---

(1) هذا لفظ الإمام ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص ١٠٧، وهو أدق من قول بعضهم: (أكل الحرام) من وجهين: أن كلامه يشمل أكل الحرام ولبس الحرام، وهذا أوفق للحديث: «وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ» رواه مسلم ٢/٧٠٣(١٠١٥)، والثاني: أنه لا يشمل إلا من توسع في ذلك دون من حصل منه أحيانا، وهذا أيضا أوفق للحديث المذكور، والله أعلم.

(2) للتوسع في موانع الإجابة ينظر: شروط الدعاء وموانع الإجابة في ضوء الكتاب والسنة، للدكتور سعيد بن علي بن وهف القحطاني.

أَدَبُ التعامُلِ مَعَ النِّسَاءِ

٢٩- عن عبد الله بنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قالَ: سَمِعتُ النَّبِيَّ ﷺ يَخْطُبُ يقولُ: «لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إلا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ، ولا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ إلاَّ مَعَ ذِي مَحْرَمٍ»، فَقَامَ رَجُلٌ فقالَ: يا رَسُولَ اللَّهِ، إنَّ امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَّةً، وإنِّي اكْتُتِبْتُ في غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا، قالَ: «انْطَلِقْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ». متفق عليه.(١)

إرشادات الحديث:

١- «النساءُ شَقائقُ الرِّجالِ»(٢)، وقد كرَّمَ الإسلامُ المرأةَ ورَفَعَ شَأنَها، فهي الأُمُّ التي يجبُ بِرُّهَا والإحسانُ إليها بل حقها مقدَّم على حقِّ الأبِ، وهيَ البِنْتُ التي يَجبُ تربيتُها والقيامُ بحقوقِها والنفقةُ عليها وحسنُ اختيار الزوج لها واستئذانُها في ذلك، وهي الأختُ المكرَّمَةُ التي تَجبُ صلتها وتحرم قطيعتها، وهي العمةُ والخالةُ التي تجبُ صِلتُهُمَا بأنواعِ الصِّلَةِ والبِرِّ.

٢- مَنْ عَمِلَتْ من النساءِ بِطاعَةِ اللهِ تعالى فلها السعادةُ في الدنيا، ولها أجرُها في الآخرةِ ولا تُظلمُ مِنْ حَقِّهَا شَيْئًا، قالَ الله تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)(٣).

٣- جاءتِ الشريعةُ المباركةُ بالمحافظةِ على الضروراتِ الخمسِ مِن كلِّ ما يمكنُ أن يُخِلَّ بها، ومِن هذه الضروراتِ: المحافظةُ على العِرْضِ والنسبِ، فحافظتْ عليهِ مِن كلِّ ما يشينُهُ ويخدِشُهُ، وذلك بطرقٍ كثيرةٍ منها: الحثُّ على النكاحِ الشرعيِّ، والأمرُ بالحجابِ وغضِّ البصرِ، وتحريمِ الزِّنا، والوسائلِ التي قد تؤدِّي إليهِ كالنظرِ للأجنبياتِ، واختلاطِ النساءِ بالرجالِ، والتَّبَرُّجِ والسُّفُورِ، والخَلْوَةِ بالأجنبيةِ، وسفرِ المرأةِ بدونِ مَحْرَمٍ.

٤- خَلْوَةُ الرَّجُلِ مَعَ امْرَأَةٍ مِنْ غَيْرِ مَحَارِمِهِ حرامٌ بإجماعِ العلماءِ، قال الإمامُ النوويُّ رحمه الله: إذا خلاَ الأجنبيُّ بالأجنبيةِ مِن غير ثالثٍ معهما فهو حرامٌ باتفاقِ العلماءِ، وكذا لو كانَ معهمَا مَن لا

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، بَاب من اكْتُتِبَ في جَيْشٍ فَخَرَجَتْ امْرَأَتُهُ حَاجَّةً وكان له عُذْرٌ هل يُؤْذَنُ له ٣/١٠٩٤(٢٨٤٤)، ومسلم في كتاب الحج، بَاب سَفَرِ الْمَرْأَةِ مع مَحْرَمٍ إلى حَجٍّ وَغَيْرِهِ ٢/٩٧٨(١٣٤١)، وهذا لفظه.

(٢) هذا اللفظ نص حديث رواه أحمد ٦/٢٥٦، وأبو داود في كتاب الطهارة، باب في الرجل يجد البِلَّة في منامه١/٦١(٢٣٦)، والترمذي في كتاب الطهارة، بابُ مَا جَاء فِيمَنْ يَسْتَيْقِظُ فَيَرَى بَلَلاً ولاَ يَذْكُرُ احْتِلاَماً ١/١٨٩(١١٣)، من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨٦٣)، وجاء أيضا من حديث أم سُليم عند أحمد ٦/٣٧٧، وأنس عند الدارمي١/٢١٥(٧٦٤)، وأبي عوانة ١/٢٤٤.

(٣) سورة النحل آية ٩٧.

يُستحيا منهُ لِصِغَرِهِ كابنِ سنتينِ وثلاثٍ ونحو ذلك فإن وجودَه كالعدمِ.اهـ[1]، ويستوي في ذلك المرأة الشابَّة والكبيرةُ، والرجلُ الشابُّ والكبيرُ، وسواءٌ أُمِنَت الفِتنةُ أمْ لَمْ تُؤْمَنْ، وسواءٌ أكانَا عَدْلَيْنِ أمْ لَمْ يَكونَا كذلك.

٥- **الْمُرَادُ بالْخَلْوَةِ المحرَّمةِ**: اجتماعُ المرأة برجلٍ أجنبيٍّ عنها؛ بحيث لا يكون معهما في الموضعِ أحدٌ سواهما، ولا يطَّلع عليهمَا أحدٌ، وسواءٌ أكان هذا الاجتماعُ في بيتٍ، أم مكتبٍ، أم خيمةٍ، أمْ سيارةٍ، ومن صورها: الخَلْوَةُ بِالخادِمَةِ، وخلوةُ الطبيبِ مَعَ الْمُمَرِّضَةِ، والْخَلْوةُ بالمخطوبة قبلَ عَقْدِ النكاحِ.

٦- مِنَ الْخَلْوَةِ المحرَّمةِ: الخلوةُ بالأقاربِ والأصهارِ غيرِ المحارمِ، قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ»، فقالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟ قالَ: «الْحَمْوُ الْمَوْتُ».متفق عليه.[2] قالَ النَّوَوِيُّ رحمه الله: اتَّفَقَ أهلُ اللُّغةِ عَلَى أنَّ الأَحْمَاءَ أقاربُ زوجِ الْمَرْأَةِ؛ كعَمِّهِ وأخيهِ وابنِ أخيهِ وابنِ عمِّهِ ونحوِهم.اهـ[3]، وإنَّمَا شدَّدَ النَّبِيُّ ﷺ في ذلكَ لأنَّ الناسَ يتساهلونَ فيهِ.

٧- حَرَّمَ الإسلامُ الْخَلْوَةَ بالأجنبية لِمَا قد يُفْضِي إليهِ مِنَ الوُقوعِ في الفَاحِشَةِ أو مُقَدِّمَاتِهَا، وقد نَهَى الله تعالى عن الزِّنا وعن الطُّرقِ المفضِيةِ إليه فقال تعالى: (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا)[4]، وَنَبَّهَ النبيُّ ﷺ إلى أن الْخَلْوَةَ مدخلٌ مِن مداخلِ الشَّيطانِ للإفسادِ كما في حديث عُمَرَ بنِ الخطَّابِ رضي الله عنه أنَّ الصادقَ الْمَصدوقَ ﷺ خَطَبَ بِهِمْ فَقَالَ في خُطبَتِهِ: «ألاَ لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرِأَةٍ إلاَّ كانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيطَانُ».رواه أحمدُ وغيره[5].

٨- في تحريم الْخَلْوَةِ حمايةٌ لكلٍّ مِنْ:

أ-الرَّجلِ: مِن الوقوعِ في جريمةِ الزِّنا أو مقدِّماتها.

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٩/ ١٠٩، وينظر فتح الباري ٤/٧٧.

(٢) رواه البخاري في كتاب النكاح، بَاب لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إلا ذُو مَحْرَمٍ وَالدُّخُولُ على الْمُغِيبَةِ ٥/٢٠٠٥(٤٩٣٤)، مسلم في كتاب السلام، بَاب تَحْرِيمِ الْخَلْوَةِ بِالْأَجْنَبِيَّةِ وَالدُّخُولِ عليها ٤/١٧١١(٢١٧٢)، وهذا لفظه.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١٤/١٥٤، وذكر أولهم الأب، وهو من الأحماء لكنه لا يدخل في تحريم الخلوة لأنه من المحارم فحذفته، وانظر: فتح الباري ٩/٣٣١.

(٤) سورة الإسراء آية ٣٢.

(٥) رواه أحمد ١/١٨، والترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة ٤/٤٦٥ (٢١٦٥) وهذا لفظه، والنسائي في السنن الكبرى ٥/٣٨٧(٩٢١٩)، وصححه ابن حبان ١٠/٤٣٦(٤٥٧٦)، و١٥/١٢٢ (٦٧٢٨)، والضياء في الأحاديث المختارة ١/١٩١- ١٩٢ (٩٦)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن عمر عن النبي ﷺ، وصححه الألباني في الإرواء ٦/٢١٥ (١٨١٣)

ب- **المرأةِ**: مِنْ أن تقعَ في الفسادِ، أو أن تقعَ فريسةً لأهلِ الأهواء، وما قد ينجَرُّ عليها بعدَ ذلك مِن مفاسدَ متنوعة.

ت- **الأسرةِ**: مِن التفكُّكِ والانهيارِ بسببِ ما قد يترتبُ على الخلوةِ مِن مفاسدَ أقلُّها وقوعُ الشكِّ مِن الزوجِ أو غيرِه مِن أولياءِ المرأةِ.

ث- **المجتمع**: مِنْ أسبابِ الرذيلةِ والتفككِ والانحلالِ السلوكي والأخلاقي، ومِن وقوعِ الفتنِ والمشاكلِ بين العوائلِ أو القبائلِ بسببِ الزِّنا أو التحرُّش الجِنْسِيّ.

ج- **الأعراضِ**: مِنْ التدنُّسِ بالْعَارِ.

ح- **الأنسابِ**: مِنْ الاختلاطِ.

٩- كانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ رحمهم الله تعالى عَلَى عِلْمِهِمْ وَوَرَعِهِمْ وصَلاحِهِمْ لا يَتَساهلونَ في الْخَلْوَةِ بغيرِ مَحارِمِهِمْ، ويَحْذَرُونَهَا عَلَى أنفُسِهِمْ، ومن ذلك:

أ- قالَ عُبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ ﷺ وهو مِن أكابرِ الأنصارِ ﷺ: ألا تَرَوْنِي لا أقومُ إلا رِفدًا، ولا آكل إلا ما لُوِّقَ (يعني: لُيِّن وسُخّن)، وقد ماتَ صاحبي منذُ زمانٍ (يعني ذَكَرَهُ)، ومَا يَسُرُّنِي أَنِّي خَلَوْتُ بِامْرَأَةٍ لاَ تَحِلُّ لِي وَأَنّ لِي مَا تَطْلُعُ عليهِ الشَّمْسُ؛ مَخَافَةَ أَنْ يأتِيَ الشيطانُ فَيُحَرِّكَهُ[1].

ب- قالَ مَيمونُ بنُ مِهرانَ: قالَ لِي عُمَرُ بنُ عبدِ العزيزِ: يا مَيمونَ بنَ مِهرانَ إنِّي أوصيكَ بوصيَّةٍ فَاحْفَظْهَا: إيَّاكَ أنْ تَخْلُوَ بِامْرَأَةٍ غيْرِ ذاتِ مَحْرَمٍ؛ وإنْ حَدَّثَتْكَ نَفْسُكَ أنْ تُعَلِّمَهَا القرآنَ[2].

ت- قالَ سعيدُ بنُ الْمُسيَّبِ رحمه الله: ما أيِسَ الشيطانُ مِنْ شَيءٍ إلاَّ أتَاهُ مِنْ قِبَلِ النِّسَاءِ، ثم قال- وهو ابنُ أربعٍ وثمانينَ سنةٍ وقد ذَهَبَتْ إحدى عينيهِ وهو يعشُو بالأخرى- : ما شيءٌ أخوفُ عندي مِنَ النِّسَاءِ[3]، وقال أيضًا: ما خِفتُ عَلَى نَفْسِي شَيئًا مَخَافَةَ النِّسَاءِ، فقيلَ لَهُ: يا أبا مُحَمَّدٍ إنَّ مِثْلَكَ لاَ يُرِيدُ النِّسَاءَ، ولا تُرِيدُهُ النِّسَاءُ! فقالَ: هو مَا أقولُ لَكُمْ، وكانَ شيْخًا كبيرًا أعْمَشَ.[4]

١٠- دلَّ الحديثُ على تحريمِ سَفَرِ المرأة بدون محرمٍ، وإنما منعهَا الشرعُ مِن ذلكَ حفاظًا على عِفَّتِهَا وكرامتِها، ولأجلِ توفيرِ الحمايةِ لها حتَّى لا يَتَعَرَّض لها ذوُوا النفوسِ الضعيفةِ، أو يطمعَ فيها مَن في قلبِهِ مرضٌ، وقد مَنَعَ النبيُّ ﷺ المرأةَ مِن السفرِ بدونِ محرمٍ حتَّى في أداءِ شعيرةٍ عظيمةٍ ورُكنٍ مِن

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢/٨، وقوله: لا أقوم إلا رفدا: أي إلا بمساعدة ومعاونة، يشير بذلك إلى كبر سنه.

(٢) حلية الأولياء ٥/٢٧٢.

(٣) سير أعلام النبلاء ٤/٢٣٧.

(٤) سير أعلام النبلاء ٤/٢٤١.

أركانِ الإسلامِ وهو الحجُّ، وأمَرَ زوجَها أن يتركَ الجهادَ – مع أهميته – ويرافقَ امرأتَه، وهي مَعَ رُفقةٍ آمنةٍ مِن الصحابةِ ﷺ، فكيفَ في غيرِ هذهِ الحالِ؟

أَدَبُ الْمُحَاسَبَةِ والاستعْدَادِ ليومِ الْمَعَادِ

٣٠- عن أبي بَرْزَةَ نَضْلَةَ بنِ عبيدٍ الأسلميِّ ﷺ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَن (أَرْبَعٍ): عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاهُ».رواه الترمذي وهو صحيح.(١)

إرشادات الحديث:

١- في الحديث إثباتُ الحسابِ يومَ القيامةِ، **وَمَعْنَاهُ:** أن يَعرضَ الله تعالى على عباده أعمالَهم الحسنةَ والسيئةَ في أرض الْمَحْشر، ويؤتيهم كُتُبَ أعمالهم فيها حسناتُهم وسيئاتُهم، ويُسائلهم عنها ويذكِّرُهم بها، فمَنْ كانَ مِن أهلِ النجاةِ اكتُفي بالعرضِ عليهِ، ثم يعفو الله عنهُ ويدخِلُهُ الجنةَ، وهذا هو: **الْحِسَابُ اليَسِيرُ**(٢)، ومَن كانَ هالكًا فإنهُ يناقشُ الحسابَ، ويدقَّقُ عليهِ فيهِ، ويُسألُ عن كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ، ولا يُقبلُ منه عذْرٌ ولا حُجةٌ، فيهلِكُ مع الهالكينَ، وهذا هو: **الْحِسَابُ العَسِيرُ**.

٢- حِسابُ يومِ القيامةِ يدعونَا لِمُحاسَبَةِ أنفسِنَا في هذه الدنيا، فإنهُ مَن حَاسَبَ نفسَهُ اليومَ خَفَّ عليهِ الحسابُ يومَ القيامةِ، وسهلَ عليهِ إجابةُ الأسئلةِ يومئذٍ، قال الله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ)(٣)، قال ابنُ كثير رحمه الله في معنى الآية: أيْ: حاسِبُوا أنفُسَكُمْ قَبْلَ أنْ تُحَاسَبُوا، وانظُروا مَاذَا ادَّخَرْتُمْ لأنْفُسِكُمْ مِنَ الأعمالِ الصَّالِحَةِ ليومِ مَعَادِكُمْ وَعَرْضِكُمْ عَلَى رَبِّكُمْ.اهـ(٤)

٣- **الْمُرَادُ بِالْمُحَاسَبَةِ:** أن ينظرَ العبدُ في أعمالِهِ وأقوالِهِ فمَا وَجَدَ مِنْ حَسَنَةٍ حَمِدَ الله عليها وحافظَ على فِعلها، ومَا وَجَدَ مِن تقصيرٍ سَعَى لتداركِهِ، وما وجَدَ مِنْ سيئَةٍ أحدثَ لها توبَةً واستغفارًا، وليس لِلمُحَاسَبةِ صفةٌ مُعَيَّنَةٌ وَرَدَ الشرعُ بِهَا.

٤- لَمَّا أدرك السلفُ الصالِحُ ﷺ أهميةَ المحاسبةِ كثُرَ في كلامِهم الدَّعوةُ إليها، والتنبيهُ إلى أهميتها، ومن ذلك:

---

(١) رواه الترمذي ٦١٢/٤ (٢٤١٧)، والدارمي في المقدمة، باب من كره الشهرة والمعرفة ١٤٤/١، وأبو يعلى ٤٢٨/١٣(٧٤٣٤)، والرُّوْيَاني في مسنده ٣٣٧/٢(١٣١٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢٣٢/١٠ ، وزيادة (أرْبَعٍ) لهما، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في الصحيحة (٩٤٦)، وصحيح الجامع (٧٣٠٠)، وصحيح الترغيب والترهيب (١٢٦).

(٢) يستثنى من ذلك الأنبياء عليهم السلام، ومن يدخلون الجنة بغير حساب.

(٣) سورة الحشر آية ١٨.

(٤) تفسير ابن كثير ٣٤٣/٤.

أ- قالَ أميرُ المؤمنينَ عمرُ بنُ الخطَّابِ ﷺ: «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قبل أَنْ تُحَاسَبُوا، وزِنُوا أنفسَكمْ قَبْلَ أن تُوزَنُوا؛ فإنَّه أهونُ عَليكُم في الحسابِ غَدًا أن تحاسِبُوا أنفسَكم، وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الأَكْبَرِ: (يومَئذ تُعرضون لا تَخفي منكم خافيةٌ)[1]»[2].

ب- قالَ الْحَسَنُ البصريُّ رحمه الله تعالى: «إنَّ الْمُؤمِنَ قَوَّامٌ عَلَى نفسِهِ، يُحاسِبُ نَفْسَهُ لِلَّهِ عزَّ وَجَلَّ، وإنَّمَا خَفَّ الْحسابُ يومَ القِيامَةِ عَلَى قَوْمٍ حَاسَبوا أنفسَهم في الدُّنيا، وإنَّما شَقَّ الْحسابُ يومَ القيامَةِ عَلَى قَومٍ أخَذُوا هَذَا الأَمْرَ مِنْ غَيْرِ مُحاسَبَةٍ»[3].

٥- كان السلفُ رحمهم الله مِنْ أحرصِ الناسِ على مُحاسَبَةِ أنفُسِهِمْ مَعَ مَا هُمْ عَليهِ مِنَ التَّقْوَى والعَمَلِ الصَّالِحِ فَمَنْ كانَ أقلَّ منهم تقوَى وعملاً، وأكثرَ ذَنْبًا فهو أولى منهم بمحاسبةِ نفسِهِ، ومِنْ صور ذلك:

أ- دخل عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ ﷺ على أبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ وهو يَجْبِذُ لِسَانَهُ، فقالَ له: مَهْ غَفَرَ الله لك! فقالَ أبو بَكْرٍ: إنَّ هذا أوردني الْمَوَارِدَ.رواه مالك[4].

ب- قالَ أَنَسُ بنُ مَالِكٍ ﷺ: سمعت عُمَرَ بن الْخَطَّابِ ﷺ وَخَرَجْتُ مَعَهُ حَتَّى دخَلَ حَائِطًا فَسَمِعْتُهُ وهو يقول -وبيني وَبَيْنَهُ جِدَارٌ- وهو في جَوْفِ الْحَائِطِ: عُمَرُ بن الْخَطَّابِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ! بَخٍ بَخٍ، وَاللهِ (بُنيّ الخطّاب) لَتَتَّقِيَنَّ الله أو لَيُعَذِّبَنَّكَ.رواه مالك[5].

٦- نَبَّهَ النبيُّ ﷺ على أهمِّ الأسئلةِ التي يواجِهُهَا العَبْدُ يومَ القيامةِ، وبيَّن بيانًا شافيًا أنَّ أهمَّ ما يُحاسب عليه أربعةُ أمورٍ تشملُ الحياةَ كلَّها، ومعرفةُ المؤمن بهذه الأسئلة التي سوف يسألُ عنها يومَ القيامةِ يدعوهُ إلى إعدادِ الإجابةِ المناسبةِ لكلِّ سؤالٍ، فبين يديهِ اختبارٌ مفتوحٌ مكشوفُ الأسئلةِ، فمِن الغفلةِ والخسارةِ الْمُبينةِ أن يرسبَ الْمَرءُ في امتحانٍ تيسَّرت أسبابُ النجاحِ فيه، واتَّضَحتْ سبيلُ النجاة مِنْ سُوءِ عَاقِبَتِهِ.

---

(١) سورة الحاقة آية ١٨.

(٢) رواه أحمد في الزهد ص١٢٠، وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس رقم (٢٢) و (١٦)، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٥٢/١، وابن أبي شيبة ٩٦/٧(٣٤٤٥٩)، وابن المبارك في الزهد ص١٠٣، وعلّقه الترمذي فقال: يروى عن عمر ٦٣٨/٤.

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد ص١٠٣، وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس ص ١٨، وأبو نعيم في الحلية الأولياء ١٥٧/٢.

(٤) رواه مالك في الموطأ ٩٨٨/٢(١٧٨٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه ٤٣٢/٧ (٣٧٠٤٧)، وابن أبي عاصم في الزهد ٢٥/١(٢٢).

(٥) رواه مالك في الموطأ ٩٩٢/٢(١٨٠٠)، ومن طريقه أحمد في الزهد ص١١٥، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٢٩٢/٣، وابن أبي الدنيا في المحاسبة(٣).

٧- مِمَّا يُسأل عنهُ العبدُ يومَ القيامة: عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، فَيُسألُ فِيمَ قضى عُمُرَهُ؟ هل قضاه في طاعة الله تعالى أو معصيته؟ هل استقامَ فيه على أمرِ الله تعالى ونهيِه أو خالفَ ذلك؟ هل حفظَ نفسَه أو ضيعَها، وأخَصُّ مَا يُسأل عنهُ الشخصُ فترةَ الشبابِ، فقد رَوَى هذا الحديثَ ابنُ مسعود ﷺ مرفوعًا وزاد فيه: «وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلاهُ»(١)، وما ذلك إلا لأهميةِ هذهِ الفترةِ، فالواجبُ على الشابِّ بالخصوصِ أنْ يحفظَ نفسَهُ مما يُسخطُ الله تعالى.

٨- مِمَّا يُسأل عنه العبدُ يومَ القيامةِ مالُهُ، وعليهِ سؤالانِ:

أ- **السؤالُ الأولُ**: مِن أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ هل اكتسبَهُ مِن حلالٍ أو مِن حرامٍ؟ فواجبٌ على المسلمِ أن يكونَ حريصًا على حِلِّ كلِّ مالٍ يكتسبه، وأن يتجنَّبَ كلَّ مالٍ حرام، فهل بعدَ عِلمِ المسلمِ بهذهِ الْمُسَاءَلَةِ يأكل الرِّبا أو مالَ اليتيمِ، أو الرِّشوةَ، ولا يبالي من أين اكتسب المال؟

ب- **السؤال الثاني**: فِيمَ أَنْفَقَهُ، هلْ أنفقَهُ في الحلالِ أو الحرامِ؟ فالواجبُ على المسلمِ قبلَ أن يُنفقَ مالَه أن يعرفَ أين يضعُهُ؟ هلْ هو فيما يُرضي الله تعالى أو يُسخطه؟

٩- مِمَّا يُسألُ عنهُ العبدُ يومَ القيامةِ: جِسْمُهُ فِيمَ أَبْلاهُ، فَيُسالُ عن بَدَنِهِ مِنْ حَال قُوَّتِهِ وفُتُوَّتِهِ وشبابِهِ إلى حالِ ضعفه وكُهولتِهِ وشيخوختِهِ؛ أيُّ شيءٍ عملَ فيهِ مِنَ الخيرِ والشَّرِّ؟ فَيُسألُ عن مَشْي قدميهِ، وبطشِ يديهِ، ونظرِ عينيهِ، وسمعِ أُذنيهِ، وعمومِ ما عملهُ ببدنِهِ: هل أطاع بِهِ أو عَصَى؟ وهلْ أخلصَ في عملِهِ لله أو رَاءَى؟ فليكُن العبدُ مستعدًّا للجوابِ؛ لينجوَ يومَ الحساب.

١٠- للمحاسبةِ آثارٌ جليلةٌ، وفوائدُ كثيرةٌ، منها:

أ- تحقيقُ سعادةِ الدارَينِ، لأنه بمحاسبةِ نفسِهِ سيؤُولُ حالُهُ إلى أمرَيْنِ: أولهما: شكرُ الله على ما يَسَّرَ له مِن فِعلِ الخيراتِ وتركِ المنكراتِ، والثاني: مراجعةُ النفسِ فيما قصَّرَتْ بِهِ من حقِّ الله تعالى، وتداركُ ذلك.

ب- الاستشعارُ الدائمُ للغايةِ التي خُلقَ الإنسانُ مِن أجْلِها، وتصحيحُ المسارِ للوصولِ إليها.

ت- الاجتهادُ في الطاعاتِ، فإنَّ مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ أدركَ تَقصيرَهَا، وَوَجَّهَهَا لطاعة الله تعالى.

ث- اجتنابُ المعاصي صغيرِها وكبيرِها، فإنَّ مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ على المعصية دعاهُ ذلك إلى أن لاَّ يعمَلها مرَّةً أخرى.

---

(١) رواه الترمذي في كِتَاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ، بَاب ما جاء في شَأْنِ الْحِسَابِ وَالْقِصَاصِ ٤/٦١٢(٢٤١٦) وضَعَّفَه، وأبو يعلى في مسنده ٩/١٧٨(٥٢٧١)، والبزار ٤/٢٦٦(١٤٣٥)، قال المنذري(الترغيب والترهيب ١/٧٣): هذا الحديث حسن في المتابعات، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة٢/٦٦٦(٩٤٦).

ج- التوبةُ والإنابةُ فيما بينهُ وبينَ الله، وفيمَا بينهُ وبينَ العبادِ بِرَدِّ الحقوقِ إلى أهلِها، أو التحلُّلِ منهم.

أَدَبُ الاهْتِمامِ بالأعمالِ التي لا ينقطعُ ثوابها بعدَ الموتِ

٣١- عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أن النبيَّ ﷺ قالَ: «إذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنه عَمَلُهُ إلاَّ مِن ثَلاثَةٍ: إلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أو وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ».رواه مسلم.(١)

إرشادات الحديث:

١- مِن رَحمةِ اللهِ تعالى بعبادِهِ الْمُؤمِنينَ أنْ أبقَى لَهُمْ بعدَ مَوتِهِمْ مِنَ الأعمَالِ ما لا يَنقطِعُ ثَوابُهُ عنهم، فهو يُدِرُّ عليهِمْ مِنَ الحسناتِ ما يُكَفِّرُ سيئاتِهم، ويرفعُ درجاتِهم، فَحَرِيٌّ بِالْمؤْمِنِ أنْ يكونَ حريصًا عَلَى هذِهِ الأعمالِ الَّتِي لا تَنْقَطِعُ بعدَ الْموتِ؛ إذْ هو أحوجُ ما يكونُ بعدَ موتِهِ إلى ثوابِها.

٢- مِنَ الأعمالِ التي لا تنقطعُ بعدَ الْمَوتِ: الصَّدَقَةُ الجارِيَةُ، ولذلك صور متعددة منها:

أ- الأوقافُ بأنواعها، سواءٌ أكانتْ مُسْتَقِلَّةً بأن يقِفَهَا وحدَهُ، أمْ كانتْ مُشْتَرَكَةً مع الآخرينَ، مثلُ: بناءِ المساجدِ، أو وقفِ المساكنِ أو المحلاَّتِ التجاريَّةِ، وجعلِ ريعِها في أوجهِ البِرِّ مِن الدعوةِ إلى الله تعالى وكفالةِ الأيتامِ، والصدقةِ على الفقراءِ والمحتاجينَ، وقضاءِ الدَّيْنِ عن الْمَدينين.

ب- حَفْرُ الآبارِ، ووضعُ برَّادَاتِ المياهِ في المساجدِ والأسواقِ والطُّرُقاتِ.

٣- مِنَ الأعمالِ التي لا تنقطعُ بعدَ الْمَوتِ: نَشْرُ العِلْمِ النَّافِعِ، وهو عِلْمُ الشَّرِيعَةِ الْمَأخوذُ مِنَ الكتابِ والسُّنَّةِ، وكلُّ عِلمٍ يَنتفِعُ بِهِ الْمُسلِمونَ إذَا صَدَقَتْ فيهِ النِّيَّةُ، ولنشره طرق متعددة منها:

أ- تَعليمُ الناسِ.

ب- تأليفُ الكُتُبِ النَّافعةِ ونشرِها.

ت- نشرُ العِلمِ بالْمَالِ، مِثلُ: طبعِ الكُتبِ النافِعةِ أو توزيعِها عَلَى المنتفعينَ بِها، والإسهامِ في افتتاحِ دُورِ العِلمِ وحِلَقِ تحفيظِ القرآنِ الكريمِ.

٤- مِنَ الأعمالِ التي لا تنقطعُ بعدَ الْمَوتِ: دعاءُ الأولادِ، وهذا الدعاءُ نوعانِ:

أ- الدُّعَاءُ الْمُبَاشِرُ، ومِن أفضلِهِ ما وَرَدَ به الكتابُ العزيزُ وهو الدعاءُ لهم بالرحمةِ والمغفرةِ، كقولِهِ: ربِّ اغفر لي ولوالديَّ، أو ربِّ ارحمهما كما ربَّيَاني صغيرًا، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾(٢)، ومِنْ دُعَاءِ إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ

(١) رواه مسلم في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ٣/١٢٥٥(١٦٣١).

(٢) سورة الإسراء آية ٢٤.

﴿ٱلْحِسَابُ﴾[1]، ومِنْ دُعَاءِ نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[2]

ب- الدُّعَاءُ بِالتَّسَبُّبِ، بحيثُ إذا أحسنَ الأولادُ إلى الناسِ دعَوْا لوالدَيْهم.

٥- يشملُ الحديثُ جميعَ الأولادِ الصَّالِحِينَ فلا يختص بالذَّكرِ مِن الأولادِ، بل يدخلُ فيهمُ البَنَاتُ وأولادُ البَنِينَ، لأن الولدَ في اللغةِ يدخلَ فيهِ كلُّ هؤلاء، فَيُشرَعُ للأحفَادِ الدُّعَاءُ لأجدادهم، ويحتملُ أيضًا دخولُ أولادِ البناتِ في هذا، فيكونُ مشروعًا لهم أن يدعُوا لأجدادِهم.

٦- في الحديثِ بيان أهميَّةِ الدعاء للوالدَين، وأنه ينبغي على الوَلَدِ أن يحرصَ على الدُّعاءِ لوالدَيْهِ، وأنَّ هذا الدعاءَ ينفعهم بإذنِ الله تعالى، وفي حديثِ أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ في الْجَنَّةِ، فيقولُ: يا رَبِّ أَنَّى لي هذِهِ؟ فيقولُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لك».رواه أحمد[3].

٧- جاءَ في حديثٍ آخَرَ عن النبيِّ ﷺ ما يوضِّح هذا الحديثِ ويُبَيِّنُ ما أُجْمِلَ فيهِ، ويفصِّلُ أوجُهَ البِرِّ التي اشتمَلَ عليها، وذلك فيمَا رواه أبو هريرة ﷺ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِن عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أو مَسْجِدًا بَنَاهُ، أو بَيْتًا لابن السَّبِيلِ بَنَاهُ، أو نَهْرًا أَجْرَاهُ، أو صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِن مَالِهِ في صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ يَلْحَقُهُ مِن بَعْدِ مَوْتِهِ».رواه ابنُ ماجهْ.[4]

٨- في الحديثِ إشارةٌ إلى أنَّ المسلمَ لا ينبغي له أن يتمَنَّى الموتَ أو يدعوَ بهِ على نفسِهِ؛ لأنه بالموتِ ينقطعُ عنهُ عملُهُ وهو بحاجةٍ إلى مَا يزيدُ ثوابَه، وقد جاءَ هذا صريحًا معلَّلاً بهذهِ العِلَّةِ كمَا في حديث أبي هُرَيْرَةَ ﷺ مرفوعًا: «لاَ يَتَمَنَّى أَحَدُكُم الْمَوْتَ، ولا يَدْعُ بِهِ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُم انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمُرُهُ إلا خَيْرًا».رواه مسلم[5].

---

(١) سورة إبراهيم عليه السلام آية ٤١.

(٢) سورة نوح عليه السلام آية ٢٨.

(٣) رواه أحمد ٥٠٩/٢، وابن أبي شيبة ٥٨/٣(١٢٠٨١) وعنه ابن ماجه١٢٠٧/٢(٣٦٦٠)، قال العراقي (المغني عن حمل الأسفار ٢٧٠/١(١٠٣٧)): إسناده حسن، وقال ابن كثير (في تفسيره ٢٤٣/٤)، والبوصيري في مصباح الزجاجة ٩٨/٤(٢٧٢١):إسناده صحيح، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٩٨).

(٤) رواه ابن ماجه في المقدمة، بَاب ثَوَابِ مُعَلِّمِ النَاس الْخَيْرَ ٨٨/١(٢٤٢)، وصححه ابن خزيمة ١٢١/٤(٢٤٩٠) ولم يذكر المصحف، قال المنذري(الترغيب والترهيب ٥٥/١، و ١٢١/١): رواه ابن ماجه بإسناد حسن، وقال ابن الملقن(البدر المنير ١٠٢/٧): إسناده حسن.

(٥) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب تمني كراهة الموت لضر نزل به ٢٠٦٥/٤ (٢٦٨٢).

٩- في الحديثِ حثٌّ للإنسانِ على اغتنامِ الحياةِ بعملِ الصالحاتِ؛ لأنهُ بالموتِ ينقطعُ عملُهُ، وأمَّا هذِهِ الأعمالُ التي يستمِرُّ نَفعُهَا بعدَ الموتِ فالحقيقَةُ أنَّها مِنْ عَمَلِ الإنسانِ في حياتِهِ ولكنَّهُ يَستَمِرُّ نفعُهَا بعدَ موتِهِ، رحمةً مِن الله تعالى بعبادِهِ، وحثًّا لهم على اغتنامِ الفرصةِ لاستكثارِ أعمالِهم.

ما أعدَّه الله تعالى لِلْمُسْتَمْسِكِينَ بِشريعَتِهِ وآدَابِهَا

٣٢- عن أبي سَعِيدٍ الخدريِّ ﷺ قالَ: قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: «يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يومَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَالُ: يا أَهْلَ الْجَنَّةِ، هَلْ تَعْرِفُونَ هذا؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هذا الْمَوْتُ. قالَ: وَيُقَالُ: يا أَهْلَ النَّارِ، هَلْ تَعْرِفُونَ هذا؟ قالَ: فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هذا الْمَوْتُ. قالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ، قالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلا مَوْتَ، قالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: (وَأَنْذِرْهُمْ يوم الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ)». وَأَشَارَ بيدِهِ إلى الدُّنْيَا.رواه مسلم.(١)

إرشادات الحديث:

١- لَمَّا كانَ أهلُ الْجَنَّةِ لا يَيْأسونَ كَتَبَ اللهُ لَهُمُ الْخلودَ، ومَنَعَ الْموتَ عَنْهُمْ فَذَبَحَهُ بينَ أيدِيهِمْ، في مشهَدٍ مَهولٍ يَحضُرُهُ كُلُّ النَّاسِ أصحابُ الْجَنَّةِ وأصحابُ النَّارِ، وبعدَ ذَبحِ الْموتِ ماذا يَحدثُ لِلْفَريقينِ؟ يحدِّثنا عنْ ذلكَ النَّبِيُّ ﷺ كما في حديثٍ آخرَ يَرويهِ ابنُ عُمَرَ رضي الله عنهما فيقولُ ﷺ: «فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إلى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إلى حُزْنِهِمْ».رواه البخاري.(٢)

٢- جَنَّةُ اللهِ تعالى فيهَا السَّعادَةُ الكامِلَةُ والأُنسُ التَّامُّ الَّذي لا يُنَغِّصُهُ شيءٌ أبَدًا، فَكَمَا أراحَهُمْ اللهُ مِنَ هَمِّ الْموتِ فَذَبَحَهُ بينَ أيدِيهِمْ فَمَا عَادُوا يُفَكِّرونَ فيهِ، فقدْ أرَاحهُمْ أيضًا مِنْ هَمِّ الأوسَاخِ والقَاذُورَاتِ، وهَمِّ إخراجِهَا والتَّنَظُّفِ مِنْهَا، ففي حديثِ أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ عنْ أهلِ الْجَنَّةِ :«لا يَبُولُونَ، ولا يَتَغَوَّطُونَ، ولا يَمْتَخِطُونَ، ولا يَتْفُلُونَ،(آنِيَتُهُمْ و) أَمْشَاطُهُمْ (مِنَ) الذَّهَب(وَالْفِضَّةِ)، وَرَشْحُهُمْ الْمِسْكُ».رواه مسلم(٣)، وفي حديثِ جابرِ بنِ عبدِاللَّهِ رضي الله عنهما قالَ: قالُوا فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قالَ: «جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ».رواه مسلم.(٤)

---

(١) رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، بَاب النَّارُ يَدْخُلُهَا الْجَبَّارُونَ وَالْجَنَّةُ يَدْخُلُهَا الضُّعَفَاءُ ٤/٢١٨٨ (٢٨٤٩) .

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق، بَاب صِفَةِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ٥/٢٣٩٧ (٦١٨٢).

(٣) رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، بَاب أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ على صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَصِفَاتُهُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ ٤/٢١٧٨(٢٨٣٤)، والزيادة بين قوسين من بعض رواياته في الموضع نفسه، والألوة: العود الذي يتبخر به، والرشح: العرق.

(٤) رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها،بَاب فِي صِفَاتِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِهَا وَتَسْبِيحِهِمْ فيها بُكْرَةً وَعَشِيًّا ٤/٢١٨٠ (٢٨٣٥).

٣- اللهُ تعالى هو القادِرُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ، وقد أخْبَرَ الصَّادقُ الْمَصدوقُ ﷺ أنَّ الْمَوتَ يُصوَّرُ بِصُورَةِ كَبْشٍ أمْلَحَ، فَيَعْرِفُهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ، أهْلُ الْجَنَّةِ وأهْلُ النَّارِ، كَمَا أخْبَرَ أنَّهُ يُذْبحُ أمامَهمْ، وكلُّ هذا حَقٌ عَلَى حَقِيقَتِهِ، نُثْبِتُهُ كَمَا أخبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ وآمَنَ بِهِ سَلَفُ الأُمَّةِ ﷺ دُونَ تأويلٍ أو تَحريفٍ للأَخْبَارِ عَنْ ظَاهِرِهَا.

٤- كَتَبَ الله تعالى الخلودَ لأهلِ الدَّارَيْنِ، ومعناهُ: الإقامةُ الدَّائمَةُ، وهُمَا خُلودَانِ:

أ- **خلودُ أهلِ الجنة**ِ، وهو نعيمٌ دائمٌ لا انقطاعَ له، ولاَ كدَرَ فيهِ، لاَ تبلى ثيابُهم، ولا ينقطعُ شبابُهم، (مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ) [١].

ب- **خلودُ أهلِ النَّارِ**، وهو شقاءٌ دائمٌ، وعذابٌ لا ينقطعُ، (إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى) [٢]، (وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى.الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى. ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى) [٣].

٥- جَنَّةُ اللهِ تعالى الَّتِي أَعَدَّهَا لِعِبادِهِ الصَّالِحِينَ وأَعَدَّ لَهُمْ فِيهَا مِنْ أنواعِ الملذَّاتِ والطَّيِّبَاتِ، لا تُردُّ لَهُمْ فيها رَغْبَةٌ (لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ)[٤]، وقال الله تعالى: (وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[٥]، وعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «قالَ اللهُ تعالى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»، قالَ أبو هُرَيْرَةَ ﷺ: اقْرَؤُوا إنْ شِئْتُمْ: (فلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لهم من قُرَّةِ أَعْيُنٍ).متفق عليه.[٦]

٦- جَنَّةُ اللهِ تعالى الَّتِي أَعَدَّهَا لِعِبادِهِ الصَّالِحِينَ لا بُؤْسَ فِيهَا ولا شَقَاءَ، فَعَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ ﷺ قالَ: قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يوم الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ في النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فيقول: لا واللهِ يا رَبِّ. وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ الناسِ بُؤْسًا في الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً في الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ له: يا ابْنَ آدَمَ، هَلْ

---

(١) سورة الرعد آية ٣٥.

(٢) سورة طه آية ٧٤.

(٣) سورة الأعلى الآيات ١١- ١٣.

(٤) سورة ق آية ٣٥.

(٥) سورة الزخرف آية٧١.

(٦) رواه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة السجدة، بَاب قَوْلِهِ: (فلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لهم من قُرَّةِ أَعْيُنٍ)٤/١٧٩٤(٤٥٠١)، ومسلم في في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها٤/٢١٧٤(٢٨٢٤).

رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فيقولُ: لا واللهِ يا رَبِّ ما مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، ولا رأيتُ شِدَّةً قَطُّ».رواه مسلم(١)، وعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أن النبيَّ ﷺ قالَ: «مَن يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لا يَبْأَسُ، لا تَبْلَى ثِيَابُهُ، ولا يَفْنَى شَبَابُهُ».رواه مسلم.(٢)

٧- الْجَنَّةُ قَرِيبَةُ الْمَنَالِ، سَهْلَةُ الطَّرِيقِ، والوصولُ إليها لَيسَ بالأمرِ العسيرِ عَلَى مَن يَسَّرَهُ اللهُ عليهِ، وكذا النَّارُ أعاذَنَا اللهُ مِنْهَا، فعن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ ﷺ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «الْجَنَّةُ أقربُ إلى أحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، والنَّارُ مِثْلُ ذلكَ».رواه البخاري(٣).

٨- مَنْ أرادَ الْجَنَّةَ فعليهِ أنْ يُؤْثِرَهَا عَلَى الدُّنيا، بأنْ تكونَ هَمَّهُ، ولَهَا سعيُهُ، (وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً)(٤)، ولا يجوزُ أنْ تكونَ الدُّنيا الفَانيةُ هَمَّهُ، ولَهَا سعيُهُ، فهذا مِنِ انْعِكَاسِ الْمَوازِينِ، قالَ اللهُ تعالى: (وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)(٥)، يعني: أنَّ الْحياةَ الْحَقِيقِيَّةَ الدَّائِمَةَ هيَ الْحياةُ الآخِرَةُ.

٩- سِلْعَةُ اللهِ الْجَنَّةُ ثَمِينةٌ لا تُمنَحُ لِكُلِّ أحَدٍ، فعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، ومَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، ألاَ إنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ، ألا إنَّ سِلعَةَ اللهِ الْجَنَّةُ».رواه الترمذي(٦)، وقد بيَّن النَّبِيُّ ﷺ ثَمَنَهَا كَمَا في حديثِ أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إلاَّ مَنْ أَبَى!»، قالوا: يا رسولَ اللهِ، ومَنْ يأبَى؟ قالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى».رواه البخاريُّ(٧)، قال تعالى: (وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَاباً أَلِيماً)(٨).

---

(١) رواه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، بَاب صَبْغِ أَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا فِي النَّارِ وَصَبْغِ أَشَدِّهِمْ بُؤْسًا فِي الْجَنَّةِ ٤/٢١٦٢ (٢٨٠٧).

(٢) رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، بَاب فِي دَوَامِ نَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ٤/٢١٨١ (٢٨٣٦).

(٣) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك ٥/٢٣٨٠(٦١٢٣).

(٤) سورة الإسراء آية ١٩.

(٥) سورة العنكبوت آية ٦٤.

(٦) رواه الترمذي في كِتَاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ، باب (٨) ٤/٦٣٣ (٢٤٥٠) وقال: هذا حديث حسن غريب، وصححه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٤/٣٤٣، والألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣٣٥)، قال النووي: «أدْلج»: بإسكان الدال، ومعناه سار من أول الليل، والمراد التشمير في الطاعة(رياض الصالحين ص٩٤).

(٧) رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ٦/٢٦٥٥(٦٨٥١).

(٨) سورة الفتح آية ١٧.

قائمة بأهم المراجع

١. الآداب الشرعية والمنح المرعية، تأليف: أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، الطبعة: الثانية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط / عمر القيام.

٢. الأدب المفرد، تأليف: أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، دار النشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت - ١٤٠٩ - ١٩٨٩، الطبعة: الثالثة، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.

٣. الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، تأليف: أبي زكريا يحي بن شرف النووي، دار النشر: دار الكتب العربي - بيروت - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٤. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، إشراف زهير الشاويش، المكتب الإسلامي- بيروت، دمشق، ط.الثانية ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م .

٥. الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، تأليف: أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: سالم محمد عطا-محمد علي معوض.

٦. الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة، لزين الدين بن إبراهيم الشهير بابن نجيم الحنفي، ط. الأولى ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية-لبنان.

٧. الإصابة في تمييز الصحابة، تأليف: أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، دار النشر: دار الجيل - بيروت - ١٤١٢ - ١٩٩٢، الطبعة: الأولى، تحقيق: علي محمد البجاوي.

٨. البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، لسراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي المعروف بابن الملقن، ت/محيي الدين بن جمال الدين، ومصطفى أبو الغيط عبدالحي، ط.الأولى ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م ، دار الهجرة للنشر والتوزيع-السعودية-الثقبة.

٩. بلوغ المرام من أدلة الأحكام، للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، ت/سمير بن أمين الزهيري، ط. الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م ، مكتبة الدليل، الجبيل الصناعية- المملكة العربية السعودية.

١٠. تأريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، تأليف: أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٩٩٥، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري.

١١. تحفة المودود بأحكام المولود، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، دار النشر: مكتبة دار البيان - دمشق، الطبعة: الثانية ١٤٠٧، تحقيق: بشير عيون.

١٢. تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، لمحمود بن محمد الحداد، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٩٧م، دار العاصمة-الرياض.

١٣. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، تأليف: أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٧، الطبعة: الأولى، تحقيق: إبراهيم شمس الدين.

١٤. تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، تأليف: أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، دار النشر: دار المعرفة - بيروت، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك.

١٥. تفسير القرآن العظيم، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠١.

١٦. تقريب التهذيب، تأليف: أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، دار النشر: دار الرشيد - سوريا - ١٤٠٦ - ١٩٨٦، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عوامة.

١٧. التلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير، تأليف: أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - المدينة المنورة - ١٣٨٤ - ١٩٦٤، تحقيق: السيد عبدالله هاشم اليماني المدني.

١٨. تنقيح تحقيق أحاديث التعليق، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٨م، الطبعة: الأولى، تحقيق: أيمن صالح شعبان.

١٩. تهذيب التهذيب، تأليف: أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠٤ - ١٩٨٤، الطبعة: الأولى.

٢٠. تهذيب الكمال، تأليف: أبي الحجاج يوسف بن الزكي عبدالرحمن المزي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٠ - ١٩٨٠، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. بشار عواد معروف.

٢١. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، المكتب الإسلامي، الطبعة السابعة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٢٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تأليف: أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥.

٢٣. الجامع الصحيح المختصر، تأليف: أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، دار النشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

٢٤. سنن الترمذي، تأليف: أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

٢٥. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، تأليف: زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، الطبعة: السابعة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط / إبراهيم باجس.

٢٦. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تأليف: أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار النشر: دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥، الطبعة: الرابعة.

٢٧. روضة الطالبين وعمدة المفتين، تأليف: أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار النشر: المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٥، الطبعة: الثانية.

٢٨. رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، تأليف: أبي زكريا يحي بن شرف النووي، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م، الطبعة: الثالثة.

٢٩. زاد المعاد في هدي خير العباد، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت - الكويت - ١٤٠٧ - ١٩٨٦، الطبعة: الرابعة عشر، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط.

٣٠. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي- بيروت، دمشق، ط.الثانية ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م (من١-٤).

٣١. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف- الرياض، ط.الأولى ١٤١٢هـ،١٩٩١م (من٥-٧).

٣٢. سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيئ على الأمة، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي- بيروت، دمشق، ط.الرابعة ١٣٩٨هـ (من١-٤).

٣٣. سنن ابن ماجه، تأليف: أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني، دار النشر: دار الفكر - بيروت - -، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٣٤. سنن أبي داود، تأليف: أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار النشر: دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

٣٥. سنن البيهقي الكبرى، تأليف: أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، دار النشر: مكتبة دار الباز - مكة المكرمة - ١٤١٤ - ١٩٩٤، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.

٣٦. سنن الدارقطني، تأليف: أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني البغدادي، دار النشر: دار المعرفة - بيروت - ١٣٨٦ - ١٩٦٦، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني.

٣٧. سنن الدارمي، تأليف: أبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، دار النشر: دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٧، الطبعة: الأولى، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، وخالد السبع العلمي.

٣٨. السنن الكبرى، تأليف: أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١١ – ١٩٩١، الطبعة: الأولى، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن.

٣٩. سنن النسائي (المجتبى)، تأليف: أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، دار النشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب – ١٤٠٦ – ١٩٨٦، الطبعة: الثانية، تحقيق: د. عبدالفتاح أبو غدة.

٤٠. سير أعلام النبلاء، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٣، الطبعة: التاسعة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، ومحمد نعيم العرقسوسي.

٤١. الشرح الممتع على زاد المستقنع، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، اعتنى به: الدكتور سليمان بن عبدالله أبا الخيل، والدكتور خالد بن علي المشيقح، ط. الأولى ١٤١٤هـ، مؤسسة آسام للنشر– الرياض.

٤٢. شرح النووي على صحيح مسلم، تأليف: أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٣٩٢، الطبعة: الثانية.

٤٣. شعب الإيمان، تأليف: أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٠، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.

٤٤. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تأليف: أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٤ – ١٩٩٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

٤٥. صحيح ابن خزيمة، تأليف: أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري، دار النشر: المكتب الإسلامي – بيروت – ١٣٩٠ – ١٩٧٠، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي.

٤٦. صحيح الجامع الصغير وزيادته، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي– بيروت، دمشق، ط. الثالثة ١٤٠٢هـ ،١٩٨٢م.

٤٧. صحيح مسلم، تأليف: أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٤٨. صفة الصفوة، تأليف: أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، دار النشر: دار المعرفة – بيروت – ١٣٩٩ – ١٩٧٩، الطبعة: الثانية، تحقيق: محمود فاخوري – و د.محمد رواس قلعه جي.

٤٩. الصلاة وحكم تاركها ، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي المشهور بابن قيم الجوزية، ت/محمد نظام الدين الفتيح، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، مكتبة دار التراث-المدينة المنورة.

٥٠. الضعفاء الكبير، تأليف: أبي جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي، دار النشر: دار المكتبة العلمية – بيروت – ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي

٥١. الطبقات الكبرى، تأليف: أبي عبدالله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري، دار النشر: دار صادر — بيروت.

٥٢. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، تأليف: بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٥٣. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب الشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدّويش ط.الأولى ١٤١٦ – ١٩٩٦ ، دار العاصمة .

٥٤. الفتاوى الهندية في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، تأليف: الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند، دار النشر: دار الفكر – ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

٥٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، دار النشر: دار المعرفة – بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب.

٥٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري؛ لزين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، ت/محمود شعبان عبد المقصود ومجدي عبد الخالق الشافعي وجماعة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م، مكتبة الغرباء الأثرية-المدينة المنورة.

٥٧. الفوائد، تأليف: أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٣٩٣ – ١٩٧٣، الطبعة: الثانية.

٥٨. فيض القدير شرح الجامع الصغير، تأليف: عبد الرؤوف المناوي، دار النشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر – ١٣٥٦هـ، الطبعة: الأولى.

٥٩. القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ت/ يوسف البقاعي، دار الفكر.

٦٠. الكبائر، تأليف: محمد بن عثمان الذهبي، دار النشر: دار الندوة الجديدة – بيروت.

٦١. كشاف القناع عن متن الإقناع، تأليف: منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، دار النشر: دار الفكر – بيروت – ١٤٠٢، تحقيق: هلال مصيلحي مصطفى هلال.

٦٢. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، لإسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٠٥، ط. الرابعة، /: أحمد القلاش.

٦٣. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تأليف: علي بن أبي بكر الهيثمي، دار النشر: دار الريان للتراث/دار الكتاب العربي – القاهرة ، بيروت – ١٤٠٧.

٦٤. المجموع شرح المهذب، تأليف: أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار النشر: دار الفكر – بيروت – ١٩٩٧م.

٦٥. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، لأبي العباس أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني، دار النشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية، جمع وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي.

٦٦. مجموع فتاوى و مقالات متنوعة للشيخ عبدالعزيز بن باز، جمع وإشراف د.محمد بن سعد الشويعر، ط.الأولى ١٤٢٠، دار القاسم.

٦٧. مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا للنشر.

٦٨. مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر الرازي، طبعة: ١٩٨٩– مكتبة لبنان–لبنان.

٦٩. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تأليف: علي بن سلطان محمد القاري، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: جمال عيتاني.

٧٠. مسند أبي عوانة، تأليف: أبي عوانة يعقوب بن إسحاق الاسفرائيني، دار النشر: دار المعرفة – بيروت.

٧١. مسند أبي يعلى، لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي، دار النشر: دار المأمون للتراث – دمشق – ١٤٠٤ – ١٩٨٤، الطبعة: الأولى، تحقيق: حسين سليم أسد.

٧٢. مسند إسحاق بن راهويه، تأليف: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي، دار النشر: مكتبة الإيمان – المدينة المنورة – ١٤١٢ – ١٩٩١، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي.

٧٣. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تأليف: أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، دار النشر: مؤسسة قرطبة – مصر.

٧٤. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي– مكتبة لبنان–لبنان.

٧٥. المصنف في الأحاديث والآثار، تأليف: أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، دار النشر: مكتبة الرشد – الرياض – ١٤٠٩، الطبعة: الأولى، تحقيق: كمال يوسف الحوت.

٧٦. المصنف، تأليف: أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، دار النشر: المكتب الإسلامي – بيروت – ١٤٠٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.

٧٧. المعجم الكبير، تأليف: أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، دار النشر: مكتبة الزهراء – الموصل – ١٤٠٤ – ١٩٨٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي.

٧٨. المغني شرح مختصر الخرقي، تأليف: أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، دار النشر: دار الفكر – بيروت – ١٤٠٥، الطبعة: الأولى.

٧٩. المغني عن حمل الأسفار، تأليف: أبي الفضل العراقي، دار النشر: مكتبة طبرية – الرياض – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، الطبعة: الأولى، تحقيق: أشرف عبد المقصود.

٨٠. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تأليف: أبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، دار النشر: دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عثمان الخشت.

٨١. موافقة الخُبر الخَبر في تخريج أحاديث المختصر؛ للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت/حمدي عبد المجيد السلفي، وصبحي السامرائي، ط.الأولى ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، مكتبة الرشد، الرياض– السعودية.

٨٢. موطأ الإمام مالك، تأليف: أبي عبدالله مالك بن أنس الأصبحي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – مصر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٨٣. النهاية في غريب الحديث والأثر، تأليف: أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، دار النشر: المكتبة العلمية – بيروت – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – ومحمود محمد الطناحي.

٨٤. الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، للدكتور محمد صدقي البورنو، مكتبة المعارف– الرياض، ط. الثانية ١٤١٠هـ ، ١٩٨٩م .

الفهرس

الموضوع	الحديث	الصفحة
المقدمة		٣
أَدَبُ النِّيَّةِ	١- «إنما الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لامرئٍ ما نَوَى».	٥
الأَدبُ مَعَ اللهِ تَعالى	٢- كانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ .. قالَ: «أَفَلا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا».	٩
الأَدبُ مَعَ النبيِّ ﷺ	٣- قول عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ: يا رَسُولَ اللَّهِ، لأَنْتَ أَحَبُّ إلي مِن كلِّ شَيْءٍ إلا مِن نَفْسِي! فقال النبي ﷺ: «لا وَالَّذِي نَفْسِي بيده، حتى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ من نَفْسِكَ».	١٢
الأَدَبُ مَعَ القُرآنِ الكَرِيمِ	٤- «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الذي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ (وَيَعْمَلُ بِهِ) كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الذي لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لا رِيحَ لها وَطَعْمُهَا حُلْوٌ».	١٦
الأَدَبُ مَعَ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ	٥- «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عليها بِالنَّوَاجِذِ».	١٩
أَدَبُ الذِّكْرِ	٦- «سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ»، قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ».	٢٢
الأَدَبُ مَعَ النَّفْسِ	٧- قول سَلْمَان لأبي الدَّرْدَاءِ: «إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ». وقول النَّبِيِّ ﷺ: «صَدَقَ سَلْمَانُ».	٢٦
الأَدَبُ مَعَ الوَالِدَيْنِ والأَقَارِبِ	٨- جاء رَجُلٌ إلى رسول اللَّهِ ﷺ فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ، مَن أَحَقُّ الناس بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قال:«أُمُّكَ».	٣١
الأَدَبُ مَعَ الأولاَدِ	٩- «مُرُوا أولادَكُمْ بالصَّلاةِ وَهُمْ أبناءُ سبعِ سِنينَ، واضْرِبُوهمْ عليْها وَهُمْ أبناءُ عَشْرٍ، وفَرِّقوا بَيْنَهم في الْمَضَاجِعِ».	٣٤
أَدَبُ التَّعَامُلِ مَعَ الْحُكَّامِ	١٠- «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ على الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، ما لم يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ».	٣٧

أَدَبُ التَّعَامُلِ مَعَ النَّاسِ	١١- «فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عن النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وهو يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إلى الناس الذي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إليه».	٣٩
أَدَبُ النَّصِيحَةِ	١٢- «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قال:«لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، ولأئمة الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ».	٤٣
الأَدَبُ مَعَ أصحابِ النَّبِيِّ ﷺ	١٣- «مَثَلُ الذي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وهو حَافِظٌ له مع السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ».	٤٧
الأدبُ مَعَ آلِ بيتِ النَّبِيِّ ﷺ	١٤- «وأنا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا: كِتَابُ اللَّهِ فيه الْهُدَى وَالنُّورُ ... وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ في أَهْلِ بَيْتِي».	٥١
أدبُ التعاملِ مَعَ الشبابِ	١٥- إِنَّ فَتًى شَابًّا أتى النبيَّ ﷺ فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لي بِالزِّنَا!	٥٣
أدبُ الاستقامةِ والتوسُّطِ والاعتدالِ في الدِّينِ وتركِ الغُلوِّ	١٦- «لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ»، قالوا: ولا أنت يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال:«ولا أنا؛ إلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي الله بِرَحْمَةٍ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا».	٥٦
أدبُ الحرصِ عَلَى فِعْلِ المعروفِ قليلِهِ وكثيرِهِ	١٧- «لا تَحْقِرَنَّ من الْمَعْرُوفِ شيئًا؛ وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ».	٦٠
أَدَبُ التَّحِيَّةِ والسَّلامِ	١٨- «(وَالَّذِي نَفْسِي بيده) لا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حتى تُؤْمِنُوا، ولا تُؤْمِنُوا حتى تَحَابُّوا، أَوَلا أَدُلُّكُمْ على شَيْءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ: أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ».	٦٣
أَدَبُ الْعِلْمِ والتَّعَامُلِ مَعَ العُلَمَاءِ	١٩- «إِنَّ اللَّهَ لا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ من الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ».	٦٦
أَدَبُ الاهْتِمَامِ بِالْوَقْتِ	٢٠- «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ من الناس: الصِّحَّةُ، وَالْفَرَاغُ».	٧١
أَدَبُ الأُخُوَّةِ والصَّدَاقَةِ	٢١- «أَنَّ رَجُلا زَارَ أَخًا له في قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ الله له على مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فلما أتى عليه قال: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قال: أُرِيدُ أَخًا لي في هذه الْقَرْيَةِ، قال: هل لك عليه من نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قال: لا، غير أني أَحْبَبْتُهُ في اللَّهِ عز وجل».	٧٥

أَدبُ التَّعامُلِ مَعَ الْمُشْتَبِهَاتِ	٢٢- «إِنَّ الْحَلالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ».	٧٨
أَدَبُ الحرصِ على تَقويةِ الإيمَانِ	٢٣- «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ».	٨٢
أَدَبُ الطَّعَامِ (الأكلِ والشُّرْبِ)	٢٤- «يا غُلامُ سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ».	٨٧
أَدَبُ الاهتمامِ بحُقوقِ النَّاسِ	٢٥- «مَن أخَذَ أموالَ الناسِ يريدُ أداءَها أدَّى اللهُ عنه، ومَن أخَذَها يريد إتْلافَها أتلفَهُ اللهُ».	٩٠
الأدَبُ مَعَ بيوتِ الله تعالى	٢٦- «إِنَّ هذه الْمَسَاجِدَ لا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ من هذا الْبَوْلِ ولا الْقَذَرِ، إنما هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عز وجل، وَالصَّلاةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ».	٩٣
أَدَبُ الدَّعوةِ إلى اللهِ والتعامُلِ مَعَ الْمَدْعُوِّينَ	٢٧- يا رَسُولَ اللَّهِ، رَجُلٌ غَرِيبٌ جَاءَ يَسْأَلُ عن دِينِهِ، لا يَدْرِي ما دِينُهُ. قالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ.. وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ الله.	٩٨
أدبُ الدُّعاءِ	٢٨- «لا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أو قَطِيعَةِ رَحِمٍ؛ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ»..قالَ: «يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذلكَ، وَيَدَعُ الدُّعَاءَ».	١٠٢
أَدَبُ التعامُلِ مَعَ النِّسَاءِ	٢٩- «لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إلا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ، ولا تُسَافِرْ الْمَرْأَةُ إلا مع ذِي مَحْرَمٍ».	١٠٦
أَدَبُ الْمُحَاسَبَةِ والاستعْدَادِ ليومِ الْمَعَادِ	٣٠- «لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يوم الْقِيَامَةِ حتى يُسْأَلَ عن (أَرْبَعٍ)».	١١٠
أَدَبُ الاهْتِمامِ بالأعمالِ التي لا ينقطعُ ثوابها بعدَ الموتِ	٣١- «إذا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنه عَمَلُهُ إلا مِن ثَلاثَةٍ: إلا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أو وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ».	١١٤
ما أعدَّه اللهُ تعالى لِلْمُسْتَمْسِكِينَ بِشريعَتِهِ	٣٢- «يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يومَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ... فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ، قالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يا أَهْلَ الْجَنَّةِ	١١٧

وأَدَائِهَا	خُلُودٌ فَلا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلا مَوْتَ».	